النبوة

فى نهج البلاغة

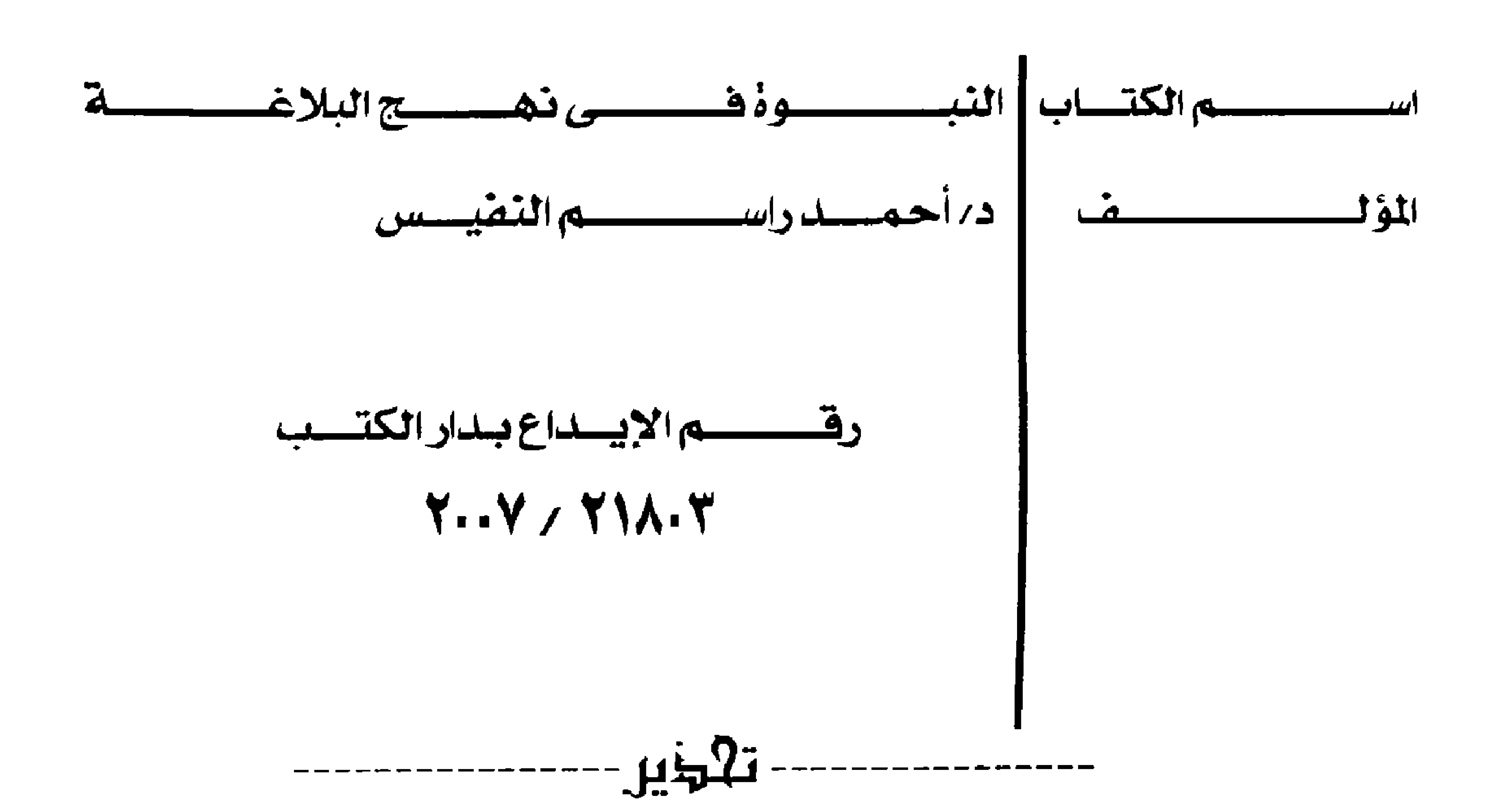
د/ أحمد راسم النفيس

النبوةُ

في نهج البلاغة

قراءةٌ عَلَويةٌ للسيرةِ المحمدية

دكتور / أحمد راسم النفيس



اسم الكتاب | النبوة فى نهج البلاغة

المؤلف | د/ أحمد راسم النفيس

رقم الإيداع بدار الكتب

٢١٨٠٣ / ٢٠٠٧

تحذير

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف وغير مسموح بأعادة نشر أو إنتاج الكتاب أو جزء منه أو تخزينه عل أجهزة استرجاع أو استرداد إلكترونية أو نقله بأية وسيلة أخرى أو تصويره أو تسجيله على أى نحو بدون أخذ موافقة كتابية مسبقة من المؤلف.

مقدمة لازمة

إنه ليس كتابا تقليديا يحكي سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله بل هو قراءة في الرؤية العلوية للسيرة المحمدية العطرة.

إنها مفاتيح نراها ضرورية وبالغة الأهمية وسط ذلك الجدل القديم الجديد حول النبوة.

نكتب هذه السطور وسط الضجة المثارة حول الإساءات الموجهة لنبينا الأكرم من الصحافة الدانماركية منبهين إلى أن الإساءات الموجهة لرسول الله من قبل بعض المنتمين للإسلام لا تقل سوءا ولا بشاعة عن الإساءات الموجهة إلى رسولنا الأكرم من أناس ليسوا على ديننا ولا يعرفون عن هذا الدين ولا رسوله الكريم شيئا ولا حتى أقل القليل.

لم يكن الدافع لكتابة هذا الكتاب هو (الفتنة الدانماركية) الأخيرة وما أحدثته من ردة فعل هزت الشارع المسلم فالقضية مثارة من قبل هذا وقد هالنا حجم الإهانات التي يوجهها البعض من أهل ديننا لمقام النبوة من دون أن ينتبه أحد لجسامة ما يلحقه من أذى بمقام النبوة الذي هو ركن ركين من أركان الإيمان الحقيقي فالرسول من وجهة نظر البعض قد أخطأ في موضع كذا وكذا وهو كان أميا لا يقرأ ولا يكتب والهدف من هذه الفرية هو اختلاق طبقة (أمناء الوحي) الذين ائتمنهم رسول الله صلى الله عليه وآله على ما لا يعرف كما أن عصمة النبي كانت قاصرة بزعمهم على مجال التبليغ أما غير ذلك فكان كغيره من البشر وحسبك أن ينسب إليه (أنتم أعلم بشئون دنياكم) كدليل ساطع وبرهان قاطع على أنه لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين!!.

من ناحية أخرى فنحن نشك أن أغلب المسلمين قد قرءوا السيرة النبوية كاملة من كتب التراث وهو ما ينطبق أيضا على التاريخ الإسلامي وكل ما قرءوه في الغالب الأعم هو مقتطفات من هنا وهناك.

ولا شك أن قراءة التاريخ من المصادر التراثية هو عمل شاق ومجهد يحتاج إلى فرز وغربلة لتلك الروايات المتناقضة وهو ما يستلزم من الأساس وجود رؤية مركزية يجري من خلالها التمييز بين الغث والثمين والأموي المدسوس والرسالي الأصيل.

تلك هي القضية!!!.

لقد قامت الرؤية الأموية على بث الشكوك ونشرها حول شخص الرسول الأكرم لأنهم لم يؤمنوا بالرسول طرفة عين.

إنهم يرونه خصما سياسيا لدودا نجح في الإمساك بالسلطة وتوحيد العرب تحت رايته حتى **لقد قال أبو سفيان للعباس قولته الشهيرة (لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما).**

ولذا نرى من الضروري أن نقدم تلك الرؤية المركزية المتفقة مع السياق القرآني للنبوات بصورة عامة والتي أغفلها أو تغافل عنها كتاب السيرة المعاصرون فما بالك بخطباء المنابر الندابين الذين استقوا علمهم ومعرفتهم عبر السماع والشياع على طريقة من كل بستان زهرة ومن كل كأس رشفة.

د /أحمد راسم النفيس
فبراير ٢٠٠٦
محرم الحرام ١٤٢٧.

النبوة في نهج البلاغة

بسم الله الرحمن الرحيم

نفتتح بكلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب:

أَحْمَدُهُ اسْتِتْماماً لِنِعْمَتِهِ، وَاسْتِسْلاَماً لِعِزَّتِهِ واسْتِعْصَاماً مِنْ مَعْصِيَتِهِ وَأَسْتَعِينُهُ فَاقَةً إِلى كِفَايَتِهِ، إِنَّهُ لاَ يَضِلُّ مَنْ هَدَاهُ، وَلا يَئِلُ مَنْ عَادَاهُ، وَلا يَفْتَقِرُ مَنْ كَفَاهُ; فَإِنَّهُ أَرْجَحُ مَا وُزِنَ، وَأَفْضَلُ مَا خُزِنَ. وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ، شَهَادَةً مُمْتَحَناً إِخْلاَصُهَا، مُعْتَقَداً مُصَاصُهَا نَتَمَسَّكُ بها أَبَداً ما أَبْقانَا، وَنَدَّخِرُهَا لأَهَاوِيلِ مَا يَلْقَانَا، فَإِنَّها عَزِيمَةُ الإِيمَانِ، وَفَاتِحَةُ الإِحْسَانِ، وَمَرْضَاةُ الرَّحْمنِ، وَمَدْحَرَةُ الشَّيْطَانِ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالدِّينِ المشْهُورِ، وَالعَلَمِ المأْثُورِ، وَالكِتَابِ المسْطُورِ، وَالنُّورِ السَّاطِعِ، وَالضِّيَاءِ اللاَّمِعِ، وَالأَمْرِ الصَّادِعِ، إزَاحَةً لِلشُّبُهَاتِ وَاحْتِجَاجاً بِالبَيِّنَاتِ وَتَحْذِيراً بِالآيَاتِ وَتَخْوِيفاً بِالمَثُلاَتِ.[1]

ونقول ثانيا أن من أراد الدين الحق فليأت البيوت من أبوابها فإن من أتى البيوت من غير أبوابها سمي سارقا وباب مدينة علم رسول الله والعلم برسول الله هو علي بن أبي طالب وأهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ولا يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّد مِنْ هذِهِ الأُمَّةِ أو من غيرها أَحَدٌ من الناس فهُمْ أَسَاسُ الدِّينِ، وَعِمَادُ اليَقِينِ، إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الغَالي وبِهِمْ يَلْحَقُ التَّالي وَلَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الوِلاَيَةِ، وَفِيهِمُ الوَصِيَّةُ وَالوِرَاثَةُ.[2]

من أراد أن يعرف رسول الله فليسأل عليا عليه السلام.

المطلع على السيرة النبوية كما يقدمها القوم في مراحل التعليم المختلفة أو من خلال كتب الإسلاميات يرى بوضوح أن التصور المتعلق بمقام النبوة قد أصبح محملا بكم هائل من المتناقضات التي لا يقبلها عقل سوي ولا يقرها ضمير مستقيم.

الآن تقوم الدنيا ولا تقعد بسبب تهجم فريق من الغربيين على مقام الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيجتمع القوم على الأرض أو على الهواء لمناقشة أسباب تلك الهجمة الصليبية على رسول الله فيدلي كل منهم بدلوه ثم ينفض الجمع من دون أن

---

[1]- نهج البلاغة، الخطبة الثانية.

[2]- نهج البلاغة ، الخطبة السابقة .

يعطينا أحد جوابا شافيا عمن وفر المادة اللازمة لشن هذه الحملة وعن المسئولية التي ينبغي أن يتحملها هؤلاء في صناعة تلك الصورة المشوهة لسيد الكونين والثقلين من عرب ومن عجم؟؟!!.

هل هو الغرب وحده أم أن على هؤلاء السادة التي غصت كتبهم بكل ما هو سيئ ورديء في حق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يتحملوا نصيبهم من المسئولية عن هذا الهذيان والتخبط؟.

أي عقل أو منطق يدفعنا لمطالبة الصحافة في الدانمارك بتحري الدقة والأمانة فيما يتعلق بمقام النبوة بينما نرفض نحن تحري هذه الدقة والأمانة لئلا نتهم بالتشيع لأهل بيت النبوة ولأننا لا نقدر ولا نجرؤ على نقد ما أورده البخاري ومسلم في كتابيهما ولأننا نصر على اعتبار عروة بن الزبير قديسا ومعصوما من الخطأ رغم أنه ألحق بنا وبرسولنا الأكرم أبلغ أنواع الإساءات والأضرار؟؟.

لو قارنا بين التصور المسيحي لعيسى بن مريم عليه السلام الذي يرى فيه ابنا لله وإلها متجسدا يمشي على الأرض والتصور الذي يقدمه بعض شيوخنا عن رسول الله والذي يرى فيه شخصا عاديا ليس له أي قيمة إضافية في غير مجال التبليغ والنقل عن جبريل عليه السلام ولذا فقد ارتكب كما لا بأس به من الأخطاء السياسية بل والشرعية وكأنه سلام الله عليه كانت مهمته أن يعلم الأمة فن الخطأ لا فن الصواب؟؟!!.

فهو صلاة الله وسلامه عليه أخطأ يوم بدر في تحديد الموقع ثم أخطأ بعد ذلك عندما قبل بأخذ الفداء من الأسرى كما أنه أخطأ يوم أن أشار على أهل المدينة بعدم تأبير النخل فجاءت الثمار شيصا (فاسدة) وغيرها من الأخطاء التي أثبتها البخاري ومسلم (؟!) نقلا عن عروة وعكرمة وأبي هريرة وابن شهاب الزهري (**الذين لم يخطئ أي منهم خطأ واحدا في نقل السنة النبوية؟!**) رغم وجود مرويات أخرى في كتب القوم لا تعتمد نفس النهج بل وتقارب ما روي عن أئمة أهل البيت عليهم السلام لنفس الوقائع والأحداث.

ولا أدري كيف استقام للقوم القول بعصمة رسول الله وأنه سيد الخلق أجمعين وهم يقدمونه في صورة نبي يخطئ فيصحح له الصحابة ويعاتبه ربه ليعلمنا (فن الخطأ) ويربينا على (حق النقد) وهم يرون أن نقد (النبوة) لا يخرج من الملة بل هو الدرس الأول في (الديموقراطية) كما يزعم البعض بينما هم يرفضون استخدام هذا المنطق النقدي مع

الصحابة والتابعين وتابعي التابعين ويرون في ذلك مؤامرة لهدم الإسلام وبث الشكوك حول من قاموا بنقل الكتاب والسنة إلينا؟؟.

القوم قد تربوا على عصمة وتنزيه الصحابة وعدم السماح بالمس بـهم وإغلاق بعض المناطق في وجه الدراسة والتمحيص ولو كان الأمر كله لا يزيد عن سرد بعض الوقائع التاريخية الثابتة من مصادرها بينما بقي مجال الجرح والتعديل لمقام النبوة مفتوحا عندهم وهم يرون أن عصمة الرسول صلى الله عليه وآله كانت قاصرة على مجال التبليغ لا أكثر ولا أقل أما الوهابيون فقد جاءوا بما هو أدهى وأطم عندما اعتبروا أن (الغلو) في النبي صلى الله عليه وآله حيا وميتا هو أصل البلاء ومكمن العلة والداء وأن هذا الغلو هو سبب الكفر والشرك.

يقول لنا القوم أن رسول الله صلى الله عليه وآله عندما جاء إليه جبريل عليه السلام بالوحي وهو في سن الأربعين بقي فترة تائها متحيرا لا يدري ماذا يجري له أو من حوله ولولا (**القس المسيحي الطيب ورقة بن نوفل**) لبقي في تخبطه وحيرته في حين أن عيسى بن مريم عليه السلام تكلم في المهد صبيا وقال {إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا} سورة مريم : ٣٠، من دون حاجة لمساعدة من ورقة مكتوبة أو ورقة بن نوفل أو أي ورقة على الإطلاق؟؟!!.

كما يقول لنا القوم أيضا أن الوحي قد انقطع يوم أن مات ورقة (**ثم لم يلبث أن مات ورقة وفتر الوحي!!**) أي أن ورقة على ما يبدو كان عنصرا أساسيا من عناصر نزول الوحي واستمراره وأن الوحي قد انقطع ربما حتى عثر رسول الله على ورقة أخرى؟!.

ولا أدري ماذا يقصد القوم وأي دور وضعوه لورقة في نزول وتلقي الوحي؟!.

كلام مخجل ومشين!!!.

السبب الأول وراء هذا التخبط هو افتقاد القوم لرؤية مركزية منهجية محددة يمكن للمسلم أن يستلهمها ثم يقيس عليها أشتات الروايات المجتمعات في كتب يرى القوم أن الحكم بصحتها هو من البديهيات والمسلمات ويعدون نقدها من المحرمات.

رؤية مركزية تقدمها قيادة الأمة الشرعية أي الإمامة باعتبارها مسئولة قبل غيرها عن رسم الخطوط العامة والملامح الرئيسية الهامة للإلهيات والنبوات ناهيك عن قواعد الأخلاق ومعالم الحلال والحرام.

فلماذا تفتقد أمتنا تلك الفلسفة المركزية المحورية وهل قصرت أو أهملت قيادة الأمة الشرعية في تقديم هذه الصورة أم أنها قامت بتقديمها بالفعل ولكن القوم أعرضوا عنها واستغاثوا كدأبهم بعمرو وعروة وعكرمة رغم علمهم أن المستجير بعمرو كالمستجير من الرمضاء بالنار!!.

أما السبب الثاني فيرجع إلى الخصومة التاريخية القائمة بين هؤلاء القوم وبين العقل والمنطق وعجزهم بالتالي عن اعتماد فلسفة إسلامية عقلانية متماسكة فضلا عن اتباعهم الأهواء وإخلادهم إلى الأغلال والأصفاد التي ألزمهم بها أهل الأرض والتي قادتهم إلى الإقرار بكل هذه الأشتات المتناقضات إما مع القرآن أو فيما بينها إذعانا منهم لما يظنه البعض حكما للشرع وخوفا من الخروج عن الطريق الأعوج المرسوم لهم من قبل المستولين على السلطة والثروة فخابوا وضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

الخبر الإلهي الصحيح لا يمكن له أن يناقض العقل بأي شكل كان والتناقض العقلي بين هذه الروايات وبينها وبين القرآن الكريم شاهد على وضعها وافتعالها على الله ورسوله.

السبب الثالث: لهذه الحالة هو إصابة البحث العلمي ومن ثم الإنتاج الفكري في أمتنا بسكتة دماغية منذ عديد القرون ومنذ أصبح المصدر الرئيس للثقافة الدينية إما كتاب المدرسة الذي أعدته لجنة من هؤلاء وهؤلاء أو من أفواه شيوخنا المنتشرين في المساجد ووسائل الإعلام يتناقلون المعلومات فيما بينهم شفاهة من دون حاجة إلى رجوع إلى مصدر (ولا حتى ورقة؟!) بنوفل أو من دون نوفل؟؟!!.

ومن باب أولى من دون حاجة إلى بحث ولا تمحيص.

رواة نزول الوحي في كتاب البخاري

إنها أي رواية نزول الوحي واحدة من تلك الروايات التي شكلت وعي المسلمين بالإسلام وبصورة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهي الرواية التي أكدت على (الدور الهام؟!) لورقة بن نوفل وذكرت أن الرسول الأكرم قد فاجأه الوحي وذكرت تلك الطريقة الفظة التي عامله به جبريل عليه السلام وأثبتت للمسلمين وللبشرية جمعاء أمية الرسول صلى الله عليه وآله عندما قال (ما أنا بقارئ) إلى آخر هذه التصورات الخزعبلات.

فمن الذي رواها؟؟!!

بالرجوع إلى البخاري سنجد أنه يسند هذه الروايات كالآتي: **(حَدَّثَنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ قَالَ أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ)**[3] و**(حَدَّثَنا يَحْيى بْنُ بُكَيْرٍ قَالَ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ)**.[4]

أما رواية نزول الوحي ودور ورقة المزعوم فإسنادها كالآتي:

(حَدَّثَنَا عَبْدَانُ قَالَ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ، قَالَ أَخْبَرَنَا يُونُسُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، وَحَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ قَالَ أَخْبَرَنَا يُونُسُ وَمَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ، نَحْوَهُ قَالَ أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ).[5]

ولن نخوض الآن في مسألة صحة الأسانيد أو صدق الرواة من عدم صدقهم.

لكننا سنطرح سؤالا جوهريا هو:

لماذا بقي الأخذ والرد حول تلك القضية الخطيرة في إطار تلك الحلقة الضيقة من الرواة بينما جرى تجاهل بقية الروايات وسائر الرواة فضلا عن شهادة شاهد الوحي الأول علي بن أبي طالب أول من أسلم وربيب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والذي عاش في كنفه في هذا التوقيت بالذات؟؟!!.

---

[3] – البخاري ، كتاب بدء الوحي ،باب شدة الوحي على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب.

[4] – البخاري ، كتاب بدء الوحي ،باب الرؤيا الصالحة أول ما بدء به (صلى الله عليه وآله وسلم).

[5] البخاري ، كتاب بدء الوحي ، باب رسول الله أجود الناس .

ولماذا جرى التمسك بروايات القديس عروة بن الزبير بن العوام ابن أسماء بنت أبي بكر الذي روى عن عائشة لأنه كان ابن شقيقتها بينما تم تجاهل روايات سائر الصحابة؟؟.

إن رواية الطريقة التي استقبل بها رسول الله صلى الله عليه وآله الوحي لا يمكن قبولها إلا عن طريقين:

الأول: من خلال من شاهد وعاين تلك المرحلة ممن سبقت علاقته برسول الله صلى الله عليه وآله نزول الوحي وهي منزلة لم ينلها إلا علي بن أبي طالب عليه السلام ربيب رسول الله أو خديجة بنت خويلد زوجه أم الزهراء التي انتقلت إلى رحاب الله قبل مرحلة التدوين كما هو معلوم للجميع.

والطريق الثاني: هو رواية رسول الله نفسه عن الحدث وهو ما لا ينطبق بحال على مرويات البخاري التي لا تنقل على لسان رسول الله بل عن عروة عن عائشة!!!.

إننا إذا أمام تصور للنبوة يطرحه نجوم البلاط الأموي فقد كان القديس عروة والقديس ابن شهاب الزهري من العاملين في البلاط الأموي ومن لا يعجبه كلامنا فليرجع إلى كتب التاريخ (**الطبري والعقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي**).

يعلم الجميع أن عائشة أم المؤمنين يوم أن نزل الوحي على رسول الله لم تكن زوجة للرسول ولم تشهد تلك الواقعة في حين كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يومها في بيت رسول الله صلى الله عليه وآله شاهدا على هذا الحدث الجليل فلماذا تجاهل القوم شهادته وأسقطوا روايته؟؟.

نماذج من التصورات المتداولة عن النبي محمد ﷺ

من بين هذه التصورات ما ذكره الدكتور طه حسين في كتابه الفتنة الكبرى **(عثمان)** عن بشرية الرسول صلى الله عليه وآله وأنه كان في بعض أحكامه يصدر عن تلك البشرية التي تصيب وتخطئ وضرب مثلا على ذلك بقصة أسرى بدر ونزول القرآن ينحي باللائمة عليه!!! لقبوله فداء الأسرى في قوله تعالى **{ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة}الأنفال : ٦٧.** [٦]

كما أن الشيخ محمد أبو زهرة يستدل في كتابه عن الإمام الصادق عليه السلام على نفي عصمة الرسول الأكرم بنفس تلك الواقعة المزعومة عن أسرى بدر. [٧]

إننا أمام نماذج من العلماء والمفكرين الذين لا يسعنا غض الطرف عن آرائهم فهم كانوا طلائع لمدرسة تجديدية في تناول التراث الإسلامي غير أنهم من الناحية الواقعية ظلوا أسرى للكثير مما هو سائد ومتداول في ساحة هذا التراث ولم يمتد مفعول هذا التحرر العقلي والفكري إلى كل ما ينبغي مراجعته فهم كانوا في النهاية أبناء مدرسة عكرمة وعروة وابن شهاب الزهري.

عندما اطلعت على ذلك الكتاب القيم الذي ألفه الدكتور (محمد حسين هيكل) ونعني به (حياة محمد) لاحظت أن المراجع التي استند إليها ذلك المفكر المجدد ليس فيها مرجع واحد ينتمي لمدرسة أهل البيت عليهم السلام رغم أنه خرج عن المألوف عندما ذكر رواية نزول الوحي فأوردها كالآتي (وفيما هو نائم بالغار يوما جاءه ملك وفي يده صحيفة فقال اقرأ فأجاب مأخوذا: ما اقرأ؟؟) على عكس الشائع وهو (قال اقرأ قال ما أنا بقارئ!!) أي أن التساؤل عما هو مطلوب قراءته قد تحول بقدرة عروة وعكرمة إلى نفي مطلق لمعرفة القراءة وإثباتا لا يقبل التحويل أو التعديل لأمية الرسول إلى يوم الدين!!!.

---

[٦] - **طه حسين ، الفتنة الكبرى (عثمان) ، ص٢٣. دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٠.**

[٧] - **محمد أبو زهرة ، الإمام الصادق ، ص ٥٨. دار الفكر العربي ١٩٩٣.**

ويلاحظ أن الدكتور هيكل عليه رحمة الله قد أسند هذه الرواية إلى كتب السيرة الأولى وتحديدا لابن إسحاق بينما اكتفى القوم بما ورد في البخاري نقلا عن ابن شهاب الزهري عن عروة.

الرؤية والرائي والفخر الرازي

لا شك أن التصورات المطروحة الآن عن النبوة والنبوات بل وعن الدين عامة تعبر عن حالة الفوضى والاضطراب التي تسود الساحة الدينية نظرا لاعتمادها على أسلوب (من كل بستان زهرة) أو أسلوب الاقتطاف وجمع الأشتات التي رواها (الثقات) من دون الاعتماد أو الارتكاز على وجهة نظر مركزية وثابتة لا تتوفر إلا لشيعة أهل البيت عليهم السلام الذين يستقون تصوراتهم من أئمة أهل البيت عليهم السلام.

إن هذا الأسلوب في الجمع يعكس مزاج الرائي وحالته النفسية وموقفه من النبوة والعبارة الشائعة (كن جميلا ترى الوجود جميلا) لم تخرج عن الصواب وعكسها لا بد أن يكون صحيحا (**كن قبيحا ترى الوجود قبيحا**) والقبح هنا هو القبح الأخلاقي وظلمة اتباع الهوى والشهوات **{ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور}**!!.

الراوي كالرائي سواء بسواء حتى ولو لم يرى أو يسمع بنفسه فهو يعكس في روايته حاله ومزاجه النفسي حتى ولو لم يتعمد الكذب أو تشويه الحقيقة ولذا فإن عجبي لا ينقضي من أمة تستقي تصوراتها عن النبوة ومن ثم عن الدين من عكرمة وعروة وتهمل علي بن أبي طالب وهو القائل **(وأنا من رسول الله (صلى الله عليه وآله) كالضوء من الضوء، والذراع من العضد)** ولا شك أن وسيلة إيصال الضوء لا تقل أهمية عن مصدر الضوء ذاته وأن زجاج المصباح الوسخ أو المعتم يمكن له أن يطمس الإضاءة الصادرة من أقوى المصابيح ولا أدري كيف أعرض القوم عمن كان من رسول الله بمنزلة الضوء من الضوء {نور على نور} ونور من نور واستعانوا بمن لم يزده ماله وولده وعمله في خدمة بني أمية إلا خسارا.

قلنا أننا نكتب عن (النبوة) كما قدمها لنا الإمام علي بن أبي طالب في خطبه المجموعة في نهج البلاغة ولذا فنحن نستعرض نماذج من التصورات التي طرحها القوم عن النبوة قربا أو بعدا من التصور الأصيل الذي لا يقدر على طرحه وتقديمه إلا المتجردون لله رب العالمين من آل بيت النبوة وفي مقدمتهم علي بن أبي طالب.

وسنرى في كلام الرازي نموذجا لمن يحوم حول الحقيقة ولكنه لا يقدر على الوصول إليها أو الإمساك بها فالتخبط هو السمة السائدة لمن ألزموا أنفسهم بما لا يجوز الالتزام به وجعلوا من لزوم ما لا يلزم قاعدة حاكمة على فهمهم لكتاب الله وسنة رسوله.

ورغم أن الفخر الرازي صاحب (مفاتيح الغيب) يبدو مختلفا في تفسيره عن المنهج السائد خاصة عندما تعرض لشرح **قوله تعالى {إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين * ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم} آل عمران: ٣٣-٣٤، حيث قال: اعلم أنه تعالى لما بين أن محبته تعالى لا تتم إلا بمتابعة الرسل بين علو درجات الرسل وشرف مناصبهم فقال: {إن الله اصطفى آدم} اعلم أن المخلوقات على قسمين المكلف وغير المكلف واتفقوا على أن المكلف أفضل من غير المكلف، واتفقوا على أن أصناف المكلف أربعة: الملائكة، والإنس والجن، والشياطين أما الشياطين فهم كفرة أما إبليس فكفره ظاهر لقوله تعالى: {وكان من الكافرين} (البقرة: ٣٤) ،وأما سائر الشياطين فهم أيضا كفرة بدليل قوله تعالى {وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون} (الأنعام: ١٢١) .**

والاصطفاء يدل على مزيد الكرامة وعلو الدرجة، فلما بين تعالى أنه اصطفى آدم وأولاده من الأنبياء على كل العالمين وجب أن يكونوا أفضل من الملائكة لكونهم من العالمين.

{اصطفى} في اللغة اختار، ومعنى: اصطفاهم، أي جعلهم صفوة خلقه تمثيلا بما يشاهد من الشيء الذي يصفى وينقى من الكدر ونظير هذه الآية قوله لموسى **{إني اصطفيتك على الناس برسالاتي} (الأعراف: ١٤٤) وقال في إبراهيم {وإسحاق ويعقوب* وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار} (ص: ٤٧).**

ومعنى أن الله اصطفاهم أي صفاهم من الصفات الذميمة وزينهم بالخصال الحميدة وهو موافق لقوله تعالى: **{الله أعلم حيث يجعل رسالته} (الأنعام: ١٢٤)** وذكر الحليمي في كتاب "المنهاج" أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا بد وأن يكونوا مخالفين لغيرهم في القوى الجسمانية، والقوى الروحانية، أما القوى الجسمانية، فهي إما مدركة وإما محركة. أما المدركة فهي الحواس الظاهرة والحواس الباطنة، أما الحواس الظاهرة فهي خمسة أحدها: قوة البصر، ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم مخصوصا بكمال هذه الصفة ويدل عليه وجهان **الأول**: قوله صلى الله عليه وسلم: "**زويت لي الأرض فأريت مشارقها مغاربها**"

والثاني: **قوله صلى الله عليه وسلم : "أقيموا صفوفكم وتراصوا فإني أراكم من وراء ظهري"** ونظير هذه القوة ما حصل لإبراهيم صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى: **{وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض} (الأنعام: ٧٥)**. ذكروا في تفسيره أنه تعالى قوى بصره حتى شاهد جميع الملكوت من الأعلى والأسفل قال الحليمي رحمه الله: وهذا غير مستبعد لأن البصراء يتفاوتون فروي أن زرقاء اليمامة كانت تبصر الشيء من مسيرة ثلاثة أيام، فلا يبعد أن يكون بصر النبي صلى الله عليه وسلم أقوى من بصرها وثانيها: قوة السمع، وكان صلى الله عليه وسلم أقوى الناس في هذه القوة، ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم: "**أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع قدم إلا وفيه ملك ساجد لله تعالى" فسمع أطيط السماء والثاني: أنه سمع دويا وذكر أنه هوي صخرة قذفت في جهنم فلم تبلغ قعرها إلى الآن، ونظير هذه القوة لسليمان عليه السلام في قصة النمل {قالت نملة يأيها النمل ادخلوا مساكنكم} (النمل: ١٨)**، فالله تعالى أسمع سليمان كلام النمل وأوقفه على معناه وهذا داخل أيضا في باب تقوية الفهم، وكان ذلك حاصلا لمحمد صلى الله عليه وسلم حين تكلم مع الذئب ومع البعير **ثالثها:** تقوية قوة الشم كما في حق يعقوب عليه السلام، فإن يوسف عليه السلام لما أمر بحمل قميصه إليه وإلقائه على وجهه فلما فصلت العير **قال يعقوب {إني لأجد ريح يوسف} (يوسف: ٩٤)**، فأحس بها من مسيرة أيام **ورابعها:** تقوية قوة الذوق، كما في حق رسولنا صلى الله عليه وسلم حين قال: "إن هذا الذراع يخبرني أنه مسموم" **وخامسها:** تقوية القوة اللامسة كما في حق الخليل حيث جعل الله تعالى النار بردا وسلاما عليه فكيف يستبعد هذا ويشاهد مثله في السمندل والنعامة وأما الحواس الباطنة فمنها قوة الحفظ، **قال تعالى: {سنقرئك فلا تنسى} (الأعلى: ٦) ومنها قوة الذكاء: قال علي عليه السلام: "علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف باب من العلم واستنبطت من كل باب ألف باب" فإذا كان حال الولي هكذا، فكيف حال النبي صلى الله عليه وسلم؟؟!!.**

وأما القوى المحركة: فمثل عروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى المعراج، وعروج عيسى حيا إلى السماء، ورفع إدريس وإلياس على ما وردت به الأخبار، وقال الله تعالى: **{قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك} (النمل: ٤٠)**. **وأما القوى الروحانية العقلية:** فلابد وأن تكون في غاية الكمال، ونهاية الصفاء.

واعلم أن تمام الكلام في هذا الباب أن النفس القدسية النبوية مخالفة بماهيتها لسائر النفوس، ومن لوازم تلك النفس الكمال في الذكاء والفطنة والحرية، والاستعلاء، والترفع عن الجسمانيات والشهوات، فإذا كانت الروح في غاية الصفاء والشرف، وكان البدن في غاية النقاء والطهارة كانت هذه القوى المحركة المدركة في غاية الكمال لأنها جارية مجرى أنوار فائضة من جوهر الروح واصلة إلى البدن، ومتى كان الفاعل والقابل في غاية الكمال كانت الآثار في غاية القوة والشرف والصفاء.

إذا عرفت هذا فقوله **{إن الله اصطفى آدم ونوحا}** معناه: إن الله تعالى اصطفى آدم ثم وضع كمال القوة الروحانية في **شعبة معينة** من أولاد آدم عليه السلام، هم شيث وأولاده إلى إدريس، ثم إلى نوح، ثم إلى إبراهيم، ثم حصل من إبراهيم شعبتان: إسماعيل وإسحاق، فجعل إسماعيل مبدأ لظهور الروح القدسية لمحمد صلى الله عليه وسلم، وجعل إسحاق مبدأ لشعبتين: يعقوب وعيصو، فوضع النبوة في نسل يعقوب، ووضع الملك في نسل عيصو، واستمر ذلك إلى زمان محمد صلى الله عليه وسلم فلما ظهر محمد صلى الله عليه وسلم نقل نور النبوة ونور الملك إلى محمد صلى الله عليه وسلم وبقيا أعني الدين والملك لأتباعه إلى قيام القيامة (؟؟!!)،[8] و"التعجب من عندنا".

ثم رد الرازي على من قال أن المراد بآل إبراهيم هم المؤمنون كافة فقال أن المراد بهم الأولاد وهم المراد بقوله تعالى **{إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين} البقرة: ١٢٤**.[9]

تعليق:

والواقع أن لو لم يرد في القرآن والحديث النبوي من حديث عن اصطفاء الذرية والآل وأن ما كان في الأمم السابقة لا بد أن يكون مثله في أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأن الاصطفاء قد امتد في آل محمد {ذرية بعضها من بعض} سوى تلك الآيات البينات لكفى.

---

[8] - الفخر الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين ، ١٢٣-١٢٥/٨.الطبعة الثالثة ، بيروت ، دار المعرفة .

[9] - الفخر الرازي ، السابق ،١٢٦/٨.

المصطفون الأخيار من ذرية الأنبياء من تلك الشجرة المباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية لم يكونوا جميعا رسلا ولا أنبياء بل كان منهم الأئمة **{وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون}** (السجدة ٢٤).

والأغرب من هذا أن الفخر الرازي رد على من قالوا أن المراد بآل إبراهيم هم عموم المؤمنين أو الأتباع قائلا بأن (المراد بهم الذرية والأولاد) ثم عاد وناقض نفسه عندما قال **(واستمر ذلك إلى زمان محمد صلى الله عليه وسلم فلما ظهر محمد صلى الله عليه وسلم نقل نور النبوة ونور الملك إليه صلى الله عليه وآله وبقيا أعني الدين والملك لأتباعه إلى قيام القيامة).**

ولا أدري كيف ساغ لرجل أن يفتتح بالحقيقة وهي أن النور والنبوة والاصطفاء محصور في الذرية والآل ثم ختم كلامه بزعم لا دليل عليه وهو أن الاصطفاء قد انتقل في أمة محمد إلى الأتباع فكان أن انتهت بذلك مهمة الذرية والآل؟؟.

ألم يلحظ الفخر الرازي أن محمد بن عبد الله وهو من انتقل إليه **(نور النبوة ونور الملك)** من آبائه الأنبياء باعتباره من ذريتهم وأن الذرية الوحيدة من ذرية الأنبياء التي لم يعترف بانتقال هذا النور إليها هم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم؟؟!!.

ألا يعد هذا نقصا وعيبا (ابتلي) به رسولنا الأكرم محمد صلى الله عليه وآله؟؟ وبينما يقر هو أن النور جاء إلى هؤلاء الأنبياء وانتشر منهم عبر ذرياتهم فقد حرم رسول الله من هذا الامتداد حيث ما زال القوم يصرون على وجوب اتباع سنته وتجاهل عترته أهل بيته بينما يحكي لنا كتاب الله عز وجل عن قاعدة الاصطفاء وانتقال النور من الأنبياء عبر الذرية والآل وليس عبر الأصحاب حيث يقول سبحانه: **{ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم* ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون * أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين * أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسألكم عليه أجرا إن هو إلا ذكرى للعالمين} الأنعام:** ٨٧-٩٠.

ثم يعود الرازي ليقع في نفس التناقض في **تفسيره لآيات سورة الأنعام آنفة الذكر فيقول: (أنه تعالى خص إبراهيم بالرفعة والاتصال إلى الدرجات العالية الرفيعة. وهو قوله (نرفع درجات من نشاء)** وأنه جعله عزيزا في الدنيا، وذلك لأنه تعالى **جعل**

أشرف الناس وهم الأنبياء والرسل من نسـله ومن ذريته وأبقى هذه الكرامة في نسـله إلى يوم القيامة، لأن من أعظم أنواع السـرور علم المرء بأنه يكون من عقبه الأنبيـاء والملوك, والمقصود من هذه الآيات تعديد أنواع نعم الله على إبراهيم عليه السـلام جـزاء على قيامه بالذب عن دين التوحيد... **ومن النعـم العظيمة في الدنيـا أن آتـاه الله أولادا كانوا أنبياء وملوكا كما أن هذه الآيات تدل على أن الحسـن والحسين من ذرية رسـول الله صلى الله عليه وسلم لأن الله تعالى جعل عيسى من ذرية إبراهيم مع أنـه لا ينتسـب إلى إبراهيم إلا بالأم، فكذلك الحسن والحسين من ذريـة رسول الله صلى الله عليه وسـلم وإن انتسبا إلى رسول الله بالأم وجب كونهما من ذريته، ويقـال: إن أبا جعفـر البـاقر استدل بهذه الآية عند الحجاج بن يوسف).**[10]

وإذا كان الأمر كما ذكر الرازي وهو كذلك بالفعل فلماذا قرر القوم حرمـان سـيد الأنبياء من تلك النعم التي أنعم الله بها على إبراهيم عليه السلام وهي امتداد الملك والديـن في ذريته الطاهرة رغم أن الرازي قد استفاد من هذه الآيات شمول الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة بهذه القاعدة الإلهية الحاكمة للنبوات والنبيين عليهم جميعا وعلـى نبينـا أفضل الصلوات وأتم التسليم؟؟!!.

إنها قاعدة محكمة لا يمكن إلغائها بقـرار بشـري مـهما كـان قيمـة أو مكانـة صاحبه!!!...

والأهم من هـذا أن هذا التخبط يكشف لنا حالة التخبط الأعم الذي وقعت فيه هـذه الأمة التي تعتقـد من الناحيـة النظريـة البحتة أن نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسـلم هو سيد الأنبياء وخاتم المرسلين وأنه أفضل من كل من سبقه ممن امتد نـور النبـوة فـي عقبهم وعقب عقبهم ثم تفشل في تقديم الدليل على صحة ما تدعيه وتردده بصورة ببغائيـة من دون فهم ولا علم ولا دراية ثم تعود وتقـدم الدليل على عكس ما تدعيه عندما تكـرر كما فعل الفخر الرازي أن النور والملك كان ينتقل من نبي إلى نبي عبر ذرية نبـي أي أن الأمر يسير في خط تصاعدي متصل وهو استلام يتلوه تسليم إلى جيل آخـر مـن الذريـة والآل باستثناء هذا النبي الذي قررت أمته فـي اجتماع السقيفة الشهير أن تقطع الطريـق على أهل بيته وذريته وأن تسلم الأمانة برأيها إلى من رآهم القوم أولى وأحـق مـن تيـم وعدي وبني أمية وهيهات هيهات!!.

---

[10] - **الفخر الرازي، السابق، ١٣/٦٥.**

إذا كان ما ذكره الفخر الرازي في تفسيره يعد نوعا (معقولا) من التخبط! هـــذا إذا جاز لنا تقسيم التخبط إلى معقول وغير معقول فإن ما رواه البخاري نقلا عن عـــروة هـو الأغرب من نوعه!!.

الرواية بنصها:

باب أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة:

٧٠٦٨ - حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب،. وحدثني عبـــد الله بن محمد، حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، قال الزهري فأخبرني عروة، عن عائشـــة - رضى الله عنهـــا - أنهـــا قالت أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم مـــن الوحى الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، فكان يأتي حراء فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالي ذوات العدد، ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجـة فتزوده لمثلها، حتى فجئه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فيه فقال اقرأ. فقال لـــه النبي صلى الله عليه وسلم " فقلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثـــم أرسلني. فقال اقرأ. فقلت ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثـــم أرسلني فقال اقرأ. فقلت ما أنا بقارئ. فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثـــم أرســلني فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق ". حتى بلغ ما لم يعلم فرجع بهـــا ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال " زملوني زملوني ". فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال "يا خديجة مـــا لي؟؟ ". وأخبرها الخبر وقال " قد خشيت على نفسي ". فقالت له كلا أبشـــــر، فوالـلــه لا يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق. ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أســد بـــن عبـــد العزى بن قصي ــ وهو ابن عم خديجة أخو أبيها، وكان امرأ تنصر في الجاهلية، وكـــان يكتب الكتاب العربي فيكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخا كبـيرا قد عمي ــ فقالت له خديجة أى ابن عم اسمع من ابن أخيك. فقال ورقة ابن أخـــي مـــاذا ترى فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم ما رأى فقال ورقة هذا الناموس الذي أنزل علـــى موسى، يا ليتني فيها جذعا أكون حيا، حين يخرجك قومك. فقال رسول اللـــه صلـــى الله عليه وسلم " أومخرجي هم ". فقال ورقة نعم، لم يأت رجل قط بما جئت بـــه إلا عـــودي،

وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا. ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحى فترة حتى حزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رءوس شواهق الجبال، فكلما أوفى بذروة جبل لكى يلقي منه نفسه، تبدى له جبريل فقال يا محمد إنك رسول الله حقا. فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحى غدا لمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك[11].

ولك أن تتأمل فيما ادعاه (عروة) من أن الوحي قد فاجأ الرسول وأنه عاد إلى زوجته خديجة غليها السلام متحيرًا قائلا (ما لي؟) وأنها أخذته إلى **(الكاهن النصراني ورقة بن نوفل ليهدئ من روعه)!!.**

عليك أيضا أن تتأمل في هذا الوصف والإسهاب في الدور الثقافي لورقة وكتابته للإنجيل بالعربية (؟!) وحاول أن تفسر أو تفهم سر التزامن بين موت ورقة وتوقف الوحي وحالة اليأس والقنوط التي اعترت رسول الله وكيف أنه هم بإلقاء نفسه من رءوس شواهق الجبال إلى آخر تلك الأساطير والخرافات.

الرواية الأكذوبة نفسها جاء بها ابن جرير الطبري نقلا عن نفس (الفرقة) هذه المرة مع بعض البهارات التي لم نكن نتمنى حتى أن نوردها في كتابنا ولكن الضرورات تبيح بعض المحظورات واسمع معي وتعجب وتألم واذرف الدمع الثخين على عقول وضمائر بعض المسلمين!!.

روى ابن جرير الطبري في تاريخه: حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق قال حدثني وهب بن كيسان مولى آل الزبير قال سمعت عبد الله بن الزبير وهو يقول لعبيد بن عمير بن قتادة الليثي حدثنا عبيد كيف كان بدء ما ابتدئ به رسول الله من النبوة حين جاء جبريل عليه السلام فقال عبيد وأنا حاضر يحدث عبد الله بن الزبير ومن عنده من الناس كان رسول الله يجاور في حراء من كل سنة شهرا وكان ذلك مما تحنث به قريش في الجاهلية والتحنث التبرر. فكان رسول الله يجاور ذلك الشهر من كل سنة يطعم من جاءه من المساكين فإذا قضى رسول الله جواره من شهره ذلك كان أول ما يبدأ به إذا انصرف من جواره الكعبة قبل أن يدخل بيته فيطوف بها سبعا أو ما شاء الله من ذلك ثم

---

[11] **البخاري. ج٤ ص: ٢٠٧- ٢٠٨. باب التعبير وأول ما بدئ به رسول الله.. (ط عيسى البابي الحلبي). بدون تاريخ.**

يرجع إلى بيته حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله عز وجل فيه ما أراد من كرامته من السنة التي بعثه فيها وذلك في شهر رمضان خرج رسول الله إلى حراء كما كان يخرج لجواره معه أهله حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته ورحم العباد بها جاءه جبريل بأمر الله فقال رسول الله فجاءني وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب فقال اقرأ فقلت ما اقرأ فغتني حتى ظننت أنه الموت (؟!) ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ماذا أقرأ وما أقول ذلك إلا افتداء منه أن يعود إلي بمثل ما صنع بي قال اقرأ باسم ربك الذي خلق إلى قوله علم الإنسان ما لم يعلم قال فقرأته قال ثم انتهى ثم انصرف عني وهببت من نومي وكأنما كتب في قلبي كتابا قال ولم يكن من خلق الله أحد أبغض إلي من شاعر أو مجنون كنت لا أطيق أن أنظر إليهما قال قلت إن الأبعد يعني نفسه لشاعر أو مجنون لا تحدث بها عني قريش أبدا لأعمدن إلى حالق من الجبل فلأطرحن نفسي منه فلأقتلنها فلأستريحن قال فخرجت أريد ذلك حتى إذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتا من السماء يقول يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل قال فرفعت رأسي إلى السماء فإذا جبريل في صورة رجل صاف قدميه في أفق السماء يقول يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل قال فوقفت أنظر إليه وشغلني ذلك عما أردت فما أتقدم وما أتأخر وجعلت أصرف وجهي عنه في آفاق السماء فلا أنظر في ناحية منها إلا رأيته كذلك فما زلت واقفا ما أتقدم أمامي ولا أرجع ورائي حتى بعثت خديجة رسلها في طلبي حتى بلغوا مكة ورجعوا إليها وأنا واقف في مكاني ثم انصرف عني وانصرفت راجعا إلى أهلي حتى أتيت خديجة فجلست إلى فخذها مضيفا فقالت يا أبا القاسم أين كنت فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا إلي قال: قلت لها: إن الأبعد لشاعر أو مجنون فقالت أعيذك بالله من ذلك يا أبا القاسم ما كان الله ليصنع ذلك بك مع ما أعلم منك من صدق حديثك وعظم أمانتك وحسن خلقك وصلة رحمك وما ذاك يا بن عم لعلك رأيت شيئا قال فقلت لها نعم ثم حدثتها بالذي رأيت فقالت أبشر يا بن عم واثبت فوالذي نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل بن أسد وهو ابن عمها وكان ورقة قد تنصر وقرأ الكتب وسمع من أهل التوراة والإنجيل فأخبرته بما أخبرها به رسول الله أنه رأى وسمع فقال ورقة قدوس قدوس والذي نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتني يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر يعني بالناموس جبرئيل عليه السلام الذي كان يأتي موسى وإنه لنبي

هذه الأمة فقولي له فليثبت فرجعت خديجة إلى رسول الله فأخبرته بقول ورقة فسهل ذلك عليه بعض ما هو فيه من الهم فلما قضى رسول الله جواره وانصرف صنع كما كان يصنع وبدأ بالكعبة فطاف بها فلقيه ورقة بن نوفل وهو يطوف بالبيت فقال يابن أخي أخبرني بما رأيت أو سمعت فأخبره رسول الله فقال له ورقة والذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء إلى موسى ولتكذبنه ولتؤذينه ولتخرجنه ولتقاتلنه ولئن أنا أدركت ذلك لأنصرن الله نصرا يعلمه ثم أدنى رأسه فقبل يافوخه ثم انصرف رسول الله إلى منزله وقد زاده ذلك من قول ورقة ثباتا وخفف عنه بعض ما كان فيه من الهم.[١٢]

وسنرجئ المناقشة التفصيلية لهذه المسألة إلى فقرة لاحقة.

بشرية النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله

رغم أن الانقسام المذهبي بين المسلمين يبدو قاصرا على مسألة الإمامة أو (ما بعد النبوة) إلا أن التأمل في الطريقة التي يتناول بها البعض تلك المفاهيم المتعلقة بالنبوة يكشف أن هذا الانقسام والتفاوت قد طال أيضا هذه المفاهيم وهو ما يبدو أمرا بالغ الأهمية والخطورة!!.

أسئلة كثيرة تطرحها تلك الأحاديث والروايات التي يلوكها البعض حول مقام النبوة وبشرية النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وهل كان بشرا عاديا يصيب ويخطئ ومن ثم هل هناك صفات قياسية موحدة وثابتة لكل البشر؟!!.

أم أن البشرية من حيث هي بشرية درجات وصفات تزيد وتنقص يجمعها جامع مشترك ومع ذلك فليس كل البشر سواء كما أنه من الثابت أن ليس كل الأنبياء سواء!!.

البشر في الغالب الأعم متشابهون ولكنهم أبدا ليسوا متطابقين فكلهم يولدون من أب وأم وهم بعد قليل أو كثير يموتون وفي التراب يدفنون وكلهم يأكلون ويشربون ويتنفسون كما أنهم يفرحون ويحزنون ويحبون ويكرهون... وتلك هي بعض الصفات البشرية المشتركة ورغم ذلك التشابه فهم حتى في هذه الصفات لا يتطابقون كما أنهم في بعض هذه الصفات مع غيرهم من المخلوقات يتشابهون!!.

---

١٢ - ابن جرير الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك ، ٢٦٠-٢٦٢/ ٢، دار المعارف ، القاهرة ،ط٢، ١٩٦٧.

البشر عندما يموتون, في التراب يدفنون إلا أن الله تبارك وتعالى اختص الشهداء بأنهم أحياء عند ربهم يرزقون فما بالك بخاتم الأنبياء والمرسلين وذريته من الأئمة الطاهرين (**إنه يموت من مات منا وليس بميت ويبلى من بلي منا وليس ببال**)!!.

لم يخلق الإنسان من طينة واحدة {**وإنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا**} **الإنسان ٢.**

كما أن هذه الطينة تبقى حاكمة ومؤثرة في صياغة السلوك الإنساني {**وإنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا**} (**الإنسان ٣**).

هذه الطينة يمكن أن تهبط بصاحبها إما إلى أسفل سافلين أو ترفعه إلى أعلى عليين {**وإنا أعتدنا للكافرين سلاسلا وأغلالا وسعيرا * إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا * عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا * يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا * ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا * إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا * إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا * فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا * وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا * متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا * ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا**}(**الإنسان ٤ – ١٤**).

لو كان للبشرية معنى واحدا لما صار بعض (الناس) هم والكلاب سواء {**واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين * ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون**} **الأعراف (١٧٤ – ١٧٦)**

فهناك من تماثل في إنسانيته أو بهيميته الضالة المتخبطة مع الأنعام أو هم أضل {**ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون**}. (**الأعراف ١٧٩**) .

وهناك من استوت إنسانيته مع القردة والخنازير **{قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولـئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل} (المائدة٦٠).**

أما الأبرار فهم في عليين رغم أنهم بشر يأكلون الطعام ويمشون فـي الأسـواق ولكنهم عليون في الدنيا قبل الآخرة {كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين * ومـا أدراك مـا عليون * كتاب مرقوم * يشهده المقربون * إن الأبرار لفي نعيم * على الأرائك ينظرون * تعرف في وجوههم نضرة النعيم * يسقون من رحيق مختوم * ختامه مسك وفي ذلـك فليتنافس المتنافسون * ومزاجه من تسنيم * عينا يشرب بها المقربون} (المطففين١٨-٢٨).

وفي الكافـي: عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن الله عزوجل خلقنا مـن أعلـى عليين وخلق قلوب شيعتنا مما خلقنا منه وخلق أبدانهم من دون ذلك وقلوبهم تـهوي إلينـا لأنها خلقت مما خلقنا منه ثم تلا هذه الآية "كلا إن كتاب الابرار لفي عليين وماأدراك مـا عليون * كتاب مرقوم يشهده المقربون" وخلق عدونا من سجين وخلق قلوب شيعتهم ممـا خلقهم منه وأبدانهم من دون ذلك فقلوبهم تهوي إليهم لأنها خلقت مما خلقوا منه ثم تلا هـذه الآية: "كلا إن كتـاب الفجار لفي سجين وما أدراك ما سجين كتاب مرقـوم ويـل يومئـذ للمكذبين".[13]

فهل بقي من يزعم أن للإنسانية معنى واحدا يشترك فيه الأدنى والأعلى ويسـتوي فيه أبرار عليين مع فجار سجين ممن يعيشون وهم يستمتعون ويأكلون كما تـأكل الأنعـام والنار مثوى لهم أي أنهم بشر ولكنهم أسفل سافلين ثم يموتون ليتلقفهم قعر جـهنم إلـى أن يأتي يومهم الذي كانوا يوعدون؟!.

وهل بقي من يدعي أن رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم كان بشرا كأشباه البشر وهل يعرف هؤلاء معنى البشرية الحقيقية وقد ارتكس بعضهم في درجات الحيوانيـة

---

[13] - **ثقـة الاسلام ابي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني الرازي (رحمه الله) المتوفـى سـنة ٣٢٨ / ٣٢٩ ه، الكافـي، ج٢.**

وظلمات البهيمية رغم أن الصورة صورة إنسان أما الحقيقة فلا تعدو كونها حقيقة من أشرنا إليه من صنوف الحيوان!!.

أن يكون رسول الله صلى الله بشرا مثلنا يوحى إليه فهذا ليس موضع خلاف **{قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا} الكهف ١١٠.**

إنها مثلية قاصرة على تلك المشتركات التي تجمع بني الإنسان ولكنها وبكل تأكيد ليست مثلية مطلقة بل مثلية الصورة الخارجية وشتان ما بين من اختاره ربه واصطفاه على الأنبياء والمرسلين وجعله حجة على العالمين وهو من باب أولى على رأس عالم الأبرار المقربين بينما يقطن على السفح المقابل من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت رغم أنهم يشتركون مع الجميع في مثلية الصورة التي لا يمكن لها أن تنفي التناقض المطلق بين العالمين عالم الحقيقة الممتدة من الأرض صعودا إلى أعلى عليين وعالم الانحطاط الممتد سقوطا إلى أسفل سافلين!!.

ألم يصف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ع بعض هؤلاء الأشباه بقوله **(فالصورة صورة إنسان والقلب قلب حيوان لا يعرف باب الهدى فيتبعه ولا باب العمى فيصد عنه فذلك ميت الأحياء).**[١٤]

أما السبب وراء هذا التفاوت الشاسع ما بين السماء والأرض وبين عليين وسجين فيشرحه لنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) بقوله:

ثم جمع سبحانه من حزن الا رض وسهلها، وعذبها وسبخها، تربة سنها بالماء حتى خلصت، ولاطها بالبلة حتى لزبت، فجبل منها صورة ذات أحناء ووصول وأعضاء وفصول أجمدها حتى استمسكت وأصلدها حتى صلصلت لوقت معدود وأجل معلوم ثم نفخ فيها من روحه فمثلت إنسانا ذا أذهان يجيلها، وفكر يتصرف بها وجوارح يختدمها وأدوات يقلبها ومعرفة يفرق بها بين الحق والباطل والأذواق والمشام والا لوان والا جناس معجونا بطينة الا لوان المختلفة والاشباه المؤتلفة، والا ضداد المتعادية والا خلاط المتباينة من الحر والبرد والبلة والجمود والمساءة والسرور واستأدى الله

[١٤] – نهج البلاغة ، خطبة ٨٦.

سبحانه الملائكة وديعته لديهم وعهد وصيته إليهم، في الا ذعان بالسجود له، والخنـــوع لتكرمته، فقال عزمن قائل: (اسجدوا لادم فسجدوا إلا إبليس) وقبيلـــه اعترتـــهم الحميـــة وغلبت عليهم الشقوة، وتعززوا بخلقة النار، واستوهنـــوا خلق الصلصال، فأعطاه الله تعالى النظرة استحقاقا للسخطة، واستتماما للبلية، وإنجازا للعدة، فقال: (إنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم}.[١٥]

لقـــد كان رسول الله صلى الله عليه وآله (بشرا مثلنا) في الصورة الخارجية ولكننـا أبدا لسنا بشرا مثله في حقيقته العلية وإلا فما هو معنى طلبه سبحانه وتعالى منا أن نتخـــذه أسوة ونموذجا ومثلا أعلى يحتذى به {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كـــان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا} الأحزاب ٢١.

تلك هي القضية التي غفل عنها الغافلون إما سهوا أو عمدا سواء أولئك الذيـــن حرصوا على تقديم رسول الله في صورة (مبلغ أمين) أدى ما عليه وأبلغ نصوص الديـــن وتركها بين يدي صحابته والتابعين وتابعي التابعين وأنه صلى الله عليه وآله لم يكن لـــه عصمة في غير مجال التبليغ حيث كان في بقية حالاته بشـــرا مثلـــهم يصيـــب ويخطـــئ ويرضى ويغضب ورغم أن البعض الآخر قد أسبغ عليه صفة العصمة في كل حالاتـــه إلا أنه يرى أن مهمته الرئيسية وربما الوحيدة كانت هي التبليغ ولا شيء سوى التبليغ رغم أننا في هذا البحث سنثبت أن رسول الله كان واسطة العقد بين الأرض والسماء في كـــل المجالات رحمة وعلما ورفعة ومقاما وآخر هذه المقامات هو مقام التبليغ!!.

رسولنا رحمة للعالمين:

يقول سبحانه: {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين} الأنبياء ١٠٧

{ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمـــن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم} التوبة ٦١.

ويقول جل وعلا{فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحـــب المتوكلين} آل عمران ١٥٩.وكذلك قوله{يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة مـــن ر بكـــم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين} يونس ٥٧. {أفمن كان على بينة مـــن

---

[١٥] - السابق ، الخطبة الأولى .

ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة أولـئك يؤمنون به ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده فلا تك في مرية منه إنه الحق من ربك ولـكن أكثر الناس لا يؤمنون}هود ١٧.{وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون} النحل ٦٤.

الشاهد من هذه الآيات أن الله تبارك وتعالى قد أرسل نبينا الأكرم محمدا صلى الله عليه وآله وسلم رحمة للعالمين وأن هذه الرحمة الإلهية ليست قاصرة على حفظ وتبليغ نصوص الكتاب المنزل من عند الله بلسان عربي مبين.

إنه رحمة للعالمين للإنس والجن والطير والجبال والشجر والدواب, رحمة سمع بها الجن فآمنوا **{قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا * يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا} الجن (١-٢).**

الرسول الأكرم كان في ذاته وصفاته ووجوده رحمة للناس عامة ولأمة لا إله إلا الله خاصة **{لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم} التوبة ١٢٨**

لقد كان وجوده صلى الله عليه وآله أمانا لهذه الأمة من الضلال وأمانا من العذاب وهو المعنى الذي رواه أبو جعفر الباقر عن علي بن ابي طالب عليهما السلام: كان في الا رض أمانان من عذاب الله سبحانه وقد رفع أحدهما فدونكم الآخر فتمسكوا به أما الا مان الذي رفع فهو رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأما الا مان الباقي فالاستغفار قال تعالى {وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون} الأنفال ٣٣.

بين محمد وموسى

الذين ما فتئوا يلتون ويعجنون وينقصون ولا يزيدون من مقام نبيهم سيد الكائنات ويقدمونه للناس بشرا مثلهم من أصحاب البشرية الهابطة لا يقرءون القرآن ولا يتدبرون معانيه لأن على قلوب أقفالها كما أنه قد ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وفات هؤلاء أن الرسل والأنبياء مقامات وأن تفاضل الرسل ليس تفاضلا لفظيا بل هو تفاضل واقعي قائم على أساس الدليل والبرهان.

التفاضل بين الأنبياء والرسل هو تفاضل في المهمات والتكاليف الملقاة على عاتق كل نبي من هؤلاء الأنبياء ولا شك أن خاتم النبيين المبعوث رحمة للعالمين قد حمل على

كاهله مجموع ما حمله كل هؤلاء الأنبياء فضلا عن عبء هادية البشرية بأسرها منذ مبعثه إلى يوم الفصل بين الخلائق أجمعين **يقول تعالى:{تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد} البقرة ٢٥٣. {ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما} النساء ١٦٤.**

وإذا كان القرآن الكريم قد حكى لنا عن الطريقة التي كلم الله بها موسى تكليما في أكثر من موضع بالواد المقدس طوى أو عندما ذهب موسى لميقات ربه **{وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين * ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين * قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين * وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأريكم دار الفاسقين} الأعراف ١٤٢-١٤٥.**

الشيء الثابت من هذه الآيات أن موسى عليه السلام وهو من أولي العزم من الرسل لم يقدر على احتمال موقف المشافهة الإلهية وليس موقف الرؤية الإلهية المباشرة المحكوم باستحالتها شرعا وعقلا.

لم يتمكن موسى عليه السلام من احتمال عظمة الموقف فكان أن خر صعقا بينما يحكي لنا كتاب الله في سورة النجم **{والنجم إذا هوى * ما ضل صاحبكم وما غوى * وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى * علمه شديد القوى * ذو مرة فاستوى * وهو بالأفق الأعلى * ثم دنا فتدلى * فكان قاب قوسين أو أدنى * فأوحى إلى عبده ما أوحى * ما كذب الفؤاد ما رأى * أفتمارونه على ما يرى * ولقد رآه نزلة أخرى * عند سدرة المنتهى * عندها جنة المأوى * إذ يغشى السدرة ما يغشى * ما زاغ البصر وما طغى * لقد رأى من آيات ربه الكبرى} (النجم:١- ١٨).**

يقول القمي في تفسير هذه الآية: هو قسم برسول الله صلى الله عليه وآله وهو فضل له على الانبياء وجواب القسم **{ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى}** أي لا يتكلم بالهوى **{إن هو}** يعني القرآن **{إلا وحي يوحى علمه شديد القوى}** يعني الله عزوجل **{ذو مرة فاستوى}** يعني رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال: وحدثني ياسر عن ابي الحسن الرضا عليه السلام قال: ما بعث الله نبيا إلا صاحب مرة سوداء صافية وقوله {وهو بالأفق الأعلى} يعني رسول الله صلى الله عليه وآله {ثم دنا} يعني رسول الله صلى الله عليه وآله من ربه عزوجل **{فتدلى}** قال إنما نزلت هذه {ثم دنا فتدانى} {فكان قاب قوسين او أدنى}قال كان من الله كما بين مقبض القوس إلى رأس السية {أو أدنى} أي من نعمته ورحمته قال بل أدنى من ذلك **{فأوحى إلى عبده ما أوحى} قال وحي مشافهة.**[16]

يقول الراغب الأصفهاني في (مفردات القرآن): أصل الوحي الإشارة السريعة ولتضمن السرعة قيل أمر وحي وذلك بالكلام على سبيل الرمز والتعريض, وقد يكون بصوت مجرد من التركيب وبإشارة ببعض الجوارح وبالكتابة ويقال للكلمة الإلهية التي تلقى إلى أنبيائه وأوليائه وحي وذلك على أنواع حسبما دل عليه **قوله تعالى {وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم} الشورى ٥١**، وذلك إما برسول مشاهد ترى ذاته ويسمع كلامه كتبليغ جبريل عليه السلام للنبي في صورة معينة وإما بسماع كلام من غير معاينة كسماع موسى عليه السلام كلام الله وإما بإلقاء في الروع كما ذكر صلى الله عليه وآله وسلم **(إن روح القدس نفث في روعي)** وإما بإلهام نحو **{وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه}** وإما بتسخير نحو قوله **{وأوحى ربك إلى النحل}** أو بمنام كما قال صلى الله عليه وآله **(انقطع الوحي وبقيت المبشرات رؤيا المؤمن) فالإلهام والتسخير والمنام دل عليه قوله {إلا وحيا} وسماع الكلام معاينة دل عليه قوله {أو يرسل رسولا فيوحي}.**[17]

---

[16] – ابى الحسن على ابن ابراهيم القمى، تفسير القمى ، ٢/٣٤٥ .صححه وعلق عليه حجة الاسلام العلامة السيد طيب الله الموسوى الجزائرى . .دار احياء التراث العربى. بيروت .

١٧ – الراغب الاصفهانى، أبو القاسم الحسين بن محمد ، المفردات فى غريب القرآن ، تحقيق محمد سيد كيلانى ، بيروت ، دار المعرفة

كما يقول الشيخ الطوسي في كتاب التبيان: يقول الله تعالى إنه ليس لبشر من الخلق **{أن يكلمه الله إلا أن يوحي إليه وحيا أو من وراء حجاب}** معناه أو بكلام بمنزلة ما يسمع من وراء حجاب لأنه تعالى لا يجوز عليه مالا يجوز إلا على الأجسام من ظهور الصورة للابصار **{أو يرسل رسولا}** فيكون كلام الله لعباده على **ثلاثة أقسام:**

أولها: أن يسمع منه كما يسمع من وراء حجاب، كما خاطب الله به موسى عليه السلام.

الثاني: بوحي يأتي به الملك إلى النبي من البشر كسائر الأنبياء.

الثالث: بتأدية الرسول إلى المكلفين من الناس، وقيل في الحجاب **ثلاثة أقوال:**

أحدها: حجاب عن إدراك الكلام لا المكلم وحده.

الثاني: حجاب لموضع الكلام.

الثالث: إنه بمنزلة ما يسمع من وراء حجاب {فيوحي باذنه ما يشاء} ومعناه إن ذلك الرسول الذي هو الملك يوحي إلى النبي من البشر بأمر الله ما شاءه الله **{إنه علي حكيم}** معناه إن كلامه المسموع منه لا يكون مخاطبة يظهر فيها المتكلم بالرؤية، لأنه العلي عن الادراك بالابصار وهو الحكيم في جميع أفعاله وفي كيفية خطابه لخلقه.

والمعنى أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد تلقى الوحي من رب العزة ليلة عروجه إلى السماوات العلا وكلمه الباري عز وجل من وراء حجاب تعالى سبحانه عن أن يرى كما ترى الأجسام والأشياء وهنا يبدو الفارق جليا بينه وبين موسى كليم الله الذي خر يومها صعقا حيث لم يقدر سلام الله عليه على احتمال موقف القرب من الله تبارك وتعالى فلم يستقر قائما على أقدامه أما الجبل فقد لم يصمد عندما باغته هذا التجلي الإلهي فكان أن هوى من على دعائمه وأركانه.[١٨]

الجبال في صلابتها وشموخها ورسوخها عابدة لله عبادة تكوينية {ألم تر أن الله **يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر**

---

[١٨] - ابى جعفر محمد بن الحسن الطوسى ، التبيان فى تفسير القرآن ، ٦/٢٤١. تحقيق وتصحيح أحمد حبيب قصير العاملى . بيروت . دار احياء التراث العربى .

والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء} الحج ١٨.

الجبال تسبح وترجع وتسجد وتركع {ولقد آتينا داوود منا فضلا يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد} سبأ ١٠.{إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق} ص:١٨.

ولكنها ورغم ذلك لا تقدر على احتمال موقف القرب كما أنها أشفقت من حمل أمانة الله وكلماته {إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا} الأحزاب ٧٢.

فأي قوة وأي رفعة واي مكانة كانت لرسول الله الذي كان كما وصفه الله تبارك وتعالى {شديد القوى * ذو مرة فاستوى * وهو بالأفق الأعلى * ثم دنا فتدلى * فكان قاب قوسين أو أدنى}.

كان رسولنا الأكرم محمدا صلى الله عليه وآله شديد القوى ذو مرة صلبة قوية صافية (رجل مرير أي قوي ذو مرة) وهي قوة ضرورية ولازمة للقيام بأمر هذا الدين لا مجرد تبليغ كتاب الله وتلاوته وهو ما يقدر عليه الأطفال من تلاميذ الكتاب الذين يحفظ بعضهم كتاب الله ومع ذلك فلا أحد يزعم أن أحدا منهم قد أصبح شديد القوى أو أنه أصبح ذو مرة فاستوى ولم يتضعضع كما تضعضع الجبل عندما رأى سبحة من سبحات نور رب العلا أو أنه لم يخر صعقا كما خر موسى عندما أصبح الجبل دكا!!.

تلك القوة التي خص بها نبينا الأكرم محمدا صلى الله وعليه وآله **(في بشريته) كانت لازمة لتحمل أعباء وأمانة إنقاذ البشرية المتمردة على أمر ربها وخالقها من الهلاك** والبوار **{فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا} الكهف ٦.**

كما أنها كانت لازمة لتحمل ما ألحقه بعض المنتسبين للإسلام من أذى برسولهم الكريم.

{لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم * فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم}(التوبة ١٢٨- ١٢٩)

{ن والقلم وما يسطرون * ما أنت بنعمة ربك بمجنون * وإن لــك لــأجرا غــير ممنون * وإنك لعلى خلق عظيم * فستبصر ويبصرون * بأييكم المفتون * إن ربك هــو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين * فلا تطع المكذبيــن * ودوا لــو تدهــن فيدهنون * ولا تطع كل حلاف مهين * هماز مشاء بنميم * مناع للخير معتد أثيم * عتــل بعد ذلك زنيم * أن كان ذا مال وبنين * إذا تتلى عليه آياتنــا قــال أســاطير الــأولين} (القلم١ – ١٥)

{فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهــو مكظــوم * لولــا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم * فاجتباه ربه فجعله من الصــلحين * وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون * وما هو إلا ذكر للعالمين}. (القلم ٤٨–٥٢).

{يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر مــن الذيــن قــالوا آمنــا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخريــن لــم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هــذا فخــذوه وإن لــم تؤتــوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا أولــئك الذين لــم يــرد اللــه أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم * سماعون للكذب أكــالون للسحت فإن جآؤوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شــيئا وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين} (المائدة ٤١–٤٢).

{ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون * ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله مــن فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون * إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليــها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة مــن اللــه والله عليم حكيم * ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكــم يؤمــن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم * يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنيــن * ألــم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فأن له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم * يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤوا إن الله مخــرج مــا

تحذرون * ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون}. (التوبة ٥٨- ٦٥)

لقد كانت النبوة المحمدية إذا رحمة للعالمين وقد حمل رسولنا في قلبه هم الأمة حزنا على هؤلاء المعرضين ورحمة لهؤلاء المتفلتين خوفا عليهم من سيئات أعمالهم وخوفا على الأمة من فتنهم وأحابيلهم التي أوردت عامة المسلمين دار البوار.

التغني بمدح رسول الله صلى الله عليه وآله وذكر مقاماته هو في حقيقة الأمر تذكير وتنويه بصفات الكمال التي يتعين على كل مسلم يرغب في الوصول إلى رضوان الله أن يتحلى بها وفي مقابل ذلك فإن طمس هذه الكمالات وكتمانها هو تقزيم لقيم الدين السامية والرفيعة وهذه هي الحفرة التي يريد البعض لنا أن نبقى فيها ليبقى الدين لعقا يلوكه الناس بألسنتهم وقميصا يتقمصه أولئك الذين طلبوا الدنيا كل الدنيا مقابل القليل من عمل الآخرة بعيدا عن النموذج الحقيقي للعمل الطيب الذي لا يقبل غيره **{إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه}**.

بين محمد وعيسى

إذا كان المنحرفون بالنصرانية قد اتجهوا نحو الغلو في عيسى عليه السلام واعتباره ابنا لله وثالث ثلاثة **{يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السماوات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا} النساء ١٧١** ،فإن المنحرفين بالإسلام قد اتجهوا اتجاها معاكسا نحو الحط من مكانة رسول الله صلى الله عليه وآله سواء كان هذا بصورة مباشرة أو من خلال التنكر لمكانة أهل بيته وعترته الطيبين الطاهرين.

لا شك في اختلاف بشرية عيسى عليه السلام المولود من غير أب عن المفهوم العام للبشرية ولكنه في النهاية كان بشرا تحمل الألم والعذاب كي يوصل كلمات الله لبني إسرائيل ومن ثم فهو في النهاية كان بشرا يألم ويتحمل ويصبر كما أنه كان عبدا لله أنعم الله عليه وجعله مثلا لبني إسرائيل ويبقى أن هذه طبيعة النبوة والرسالة التي حملها الإنسان الكامل ليكون قدوة للإنسان الناقص في سعيه نحو مرضاة الله عز وجل.

الانحراف برسالة عيسى عليه السلام كان ولا زال انحرافا تأويليا عندما توهم هؤلاء معنى تجسيديا (للكلمة) و(الروح) وكان أن نبههم كتاب الله لخطورة هذا الانحراف (وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ) ولم يقل لهم (ثلاثة آلهة) فهم لا يقولون بتعدد الآلهة بل بتعدد الصفات الإلهية وزيادتها على الذات بل وإمكان انفصالها عن الذات الهية وتجسدها في صورة ابن لله ينزل إلى الأرض ويذبح فداء لخطايا البشرية والدافع لهذا الخطأ الفادح كان فرط تقديسهم للمسيح عيسى ابن مريم وأمه الصديقة مريم التي حملت في ذاتها تلك الروح الإلهية!!.

لم يكن لعيسى عليه السلام زوجة ولا ولد بل كان له حواريون ينصرونه وينقلون رسالته وكلماته للناس **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ} الصف ١٤ ولذا فقد أكرمهم الله بمخاطبته {وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوَاْ آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ}. المائدة ١١١.**

لقد أنعم الله على الحواريين بمائدته ولكنه كان إنعاما مشروطا بشرط دوام التصديق والإيمان **{إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُواْ اللّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ * قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * قَالَ اللّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لاَّ أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِّنَ الْعَالَمِينَ} (١١٢- ١١٥).**

حدث الانحراف والغلو بعد ذلك وهو انحراف أخرج الكثير من هؤلاء عن حقيقة التوحيد الذي جاء به نبي الله عيسى عليه السلام كبقية أنبياء الله ورسله ومن ثم جاءت خاتمة سورة المائدة لتضع الأمور في نصابها وتعلن براءته عليه السلام من هؤلاء وممن ساروا على نهجهم المنحرف والمعوج.

{وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ

مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (المائدة ١١٦- ١١٨).

المنحرفون بالإسلام اختاروا السير كما أسلفنا في الطريق المضاد، طريق التعبد بالرأي والأهواء وكانت العقبة الكبرى في طريقهم هو خط الإمامة والإقتداء بالصالحين من ذرية محمد وهم آله وعترته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وهو الخط الذي اختاره الله لهم وبينه رسول الله في غير موضع لهذه الأمة التي استبدلت الذي هو أدنى بالذي هو خير.

إنه الصراط المستقيم الذي حدده الله تبارك وتعالى ورسمه لهذه الأمة في سورة الأنعام طريق الإقتداء بالمصطفين الأخيار من الذرية والآل **{وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * ذَلِكَ هُدَى اللّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ * أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَـؤُلاء فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَافِرِينَ * أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ}** (الأنعام ٨٧- ٩٠).

المنحرفون بالإسلام سيرا في الطريق المضاد رغبة منهم في إزاحة تلك العقبة الكبرى التي تحول بينهم وبين صوغ الإسلام وفقا لآرائهم وأهوائهم لم يعبئوا بتلك النصائح الإلهية ولم يلتزموا بأمره تعالى {أُولَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ} واتخذوا من دون أمر الله (آلهة) ووسائط مزعومة للهداية والرشاد ليضلوا عن سبيله فكانت الوقفة المحمدية الحازمة التي سجلتها سورة الأنعام تماما كتلك الوقفة العيسوية التي سجلتها **سورة الأنعام:**
{إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ * مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ * قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ * قُلْ أَغَيْرَ اللّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} (١٥٩- ١٦٤).

الخطبة الطالوتية:

إنها الصورة التي رسمها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في خطبته الطالوتية: **أيها الأمة التي خدعت فانخدعت وعرفت خديعة من خدعها فأصرت على ما عرفت واتبعت أهواءها وضربت في عشواء غوايتها وقد استبان لها الحق فصدت عنه والطريق الواضح فتنكبته، أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو اقتبستم العلم من معدنه وشربتم الماء بعذوبته وادخرتم الخير من موضعه وأخذتم الطريق من واضحه وسلكتم من الحق نهجه لنهجت بكم السبل وبدت لكم الأعلام وأضاء لكم الإسلام فأكلتم رغدا وما عال فيكم عائل ولا ظلم منكم مسلم ولا معاهد ولكن سلكتم سبيل الظلام فأظلمت عليكم دنياكم برحبها وسدت عليكم أبواب العلم فقلتم بأهوائكم واختلفتم في دينكم فأفتيتم في دين الله بغير علم واتبعتم الغواة فأغوتكم وتركتم الأئمة فتركوكم فأصبحتم تحكمون بأهوائكم إذا ذكر الأمر سألتم أهل الذكر فإذا أفتوكم قلتم هو العلم بعينه فكيف وقد تركتموه ونبذتموه وخالفتموه؟ رويدا عما قليل تحصدون جميع ما زرعتم وتجدون وخيم ما اجترمتم وما اجتلبتم، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لقد علمتم أني صاحبكم والذي به أمرتم وأني عالمكم والذي بعلمه نجاتكم ووصي نبيكم وخيرة ربكم ولسان نوركم والعالم بما يصلحكم، فعن قليل رويدا ينزل بكم ما وعدتم وما نزل بالأمم قبلكم وسيسألكم الله عز وجل عن أئمتكم، معهم تحشرون وإلى الله عز وجل غدا تصيرون.**[19]

إنها المقاربة التي تؤكدها الروايات الواردة عن رسول الله فيما يعرف بكتب الصحاح حدثنا سعيد بن أبي مريم: حدثنا محمد بن مطّرف: حدثني أبو حازم، عن سهل بن سعد قال: **قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إني فرطكم على الحوض، من مر علي شرب، ومن شرب لم يظمأ أبدا، ليردنّ علي أقوام أعرفهم ويعرفونني، ثم يحال بيني وبينهم). قال أبو حازم: فسمعني النعمان بن أبي عياش فقال: هكذا سمعت من سهل؟ فقلت: نعم، فقال: أشهد على أبي سعيد الخدري، لسمعته وهو يزيد فيها: (فأقول: إنهم مني، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً لمن غيَّر بعدي).**

[19] - الكلينى ، الكافى ، الخطبة الخامسة ، ج٨.

وقال أحمد بن شبيب بن سعيد الحبطي: حدثنا أبي، عن يونس، عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيَّب، عن أبي هريرة: أنه كان يحدث: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (يرد علي يوم القيامة رهط من أصحابي، فيجلون عن الحوض، فأقول: يا رب أصحابي؟ فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى).

وحدثنا أحمد بن صالح: حدثنا ابن وهب قال: أخبرني يونس، عن ابن شهاب، عن ابن المسيَّب أنه كان يحدث، عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يرد علي الحوض رجال من أصحابي، فيحلَّؤون عنه، فأقول: يا رب أصحابي؟ فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى).

وقال شعيب: عن الزُهري: كان أبو هريرة يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم: (فيجلون). وقال عقيل: (فيحلَّؤون). وقال الزبيدي، عن الزُهري، عن محمد بن علي، عن عبيد الله بن أبي رافع، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم.

حدثني إبراهيم بن المنذر الحزامي: حدثنا محمد بن فليح: حدثنا أبي قال: حدثني هلال، عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (بينا أنا نائم إذا زمرة، حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلم، فقلت: أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى. ثم إذا زمرة، حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلم، قلت أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم). رواه البخاري[٢٠].

كان رسولنا الأكرم محمدا صلى الله عليه شاهدا على البشرية بأسرها محتملا ما يقتضيه ذلك الموقف من أعباء لا تطيقها نفس بشرية عادية {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا} (٨- ٩) الفتح، {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا

[٢٠] البخاري. ج٤ ص ١٤١- ١٤٢ الطبعة السابقة.

مُّنِيرًا * وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا * وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} (الأحزاب:٤٥-٤٨).

بينما كان عيسى عليه السلام شهيدا على قومه وليس في الأمر أي نوع من التهوين أو الغض من شأن من وصفه الله تعالى بأنه **{رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ}** فما أعظم تلك الصفات وما أعظم كلمة الله وروحه التي بعثها إلى الأرض ليطهر بها الدنيا من شياطين الجن والإنس وليفسح المجال لكي تكتمل كلمات الله وينفذ أمره في خلقه.

إنها إذا بشرية وبشرية!!.

بشرية أعلى عليين على قمتها محمد الصادق الأمين التي دنت فتدانت وعلت فتعالت فكانت قاب قوسين أو أدنى صعودا إلى الأفق الأعلى فرأت من آيات ربها الكبرى وبشرية تسافلت فسفلت وهبطت وانحطت فسقطت إلى سجين حيث يرقد الضالون المكذبون في القعر الأسفل من دركات البشرية حيث يلتقون هناك مع نظرائهم ممن غضب الله عليهم وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت.

ولا سواء!!.

ورغم تشابه الشكل والصورة بين ما هو عذب فرات سائغ شرابه وما هو ملح أجاج لا يروي عطشا ولا يشفي غليلا إلا التباعد بينهما لا تجبره الكلمات والادعاءات والطنطات الفارغة {وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (فاطر ١٢).{وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ * وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ * وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ * وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاء وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاء وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ * إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ * إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلَا فِيهَا نَذِيرٌ} (فاطر: ١٩-٤٩)،ولا نعتقد أن ثمة حاجة إلى مزيد من البيان!!.

النبوة في نهج البلاغة

النبوة شجرة

النبوة شجرة لها جذور ولها ساق ولها فروع ولها أوراق ولها ثمار.

النبوة عند القوم شجرة لها جذور وساق ولها أوراق وثمار وليس لها فروع!!!.

فالجذع هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والجذور هم سلفه من أنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

الفروع الرئيسية هم أئمة أهل بيت النبوة عليهم السلام أما الثمار والأوراق فهم آحاد المسلمين الذين حاولوا وما زالوا يحاولون الحصول على الغذاء من جذع شجرة النبوة بوسائل أدنى ما يقال عنها أنها طفيلية كما أنها لا تغني ولا تسمن من جوع!!.

يقول الإمام علي بن أبي طالب (ع):

فَتَبَارَكَ اللهُ الَّذِي لاَ تَبْلُغُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ، وَلاَ يَنَالُهُ حَدْسُ الْفِطَنِ، الأَوَّلُ الَّذِي لاَ غَايَةَ لَهُ فَيَنْتَهِيَ، وَلاَ آخِرَ لَهُ فَيَنْقَضِيَ. فَاسْتَوْدَعَهُمْ (أي الأنبياء) فِي أَفْضَلِ مُسْتَوْدَع، وَأَقَرَّهُمْ فِي خَيْرِ مُسْتَقَرّ تَنَاسَخَتْهُمْ كَرَائِمُ الأَصْلاَبِ إِلَى مُطَهَّرَاتِ الأَرْحَامِ; كُلَّمَا مَضَى سَلَفٌ، قَامَ مِنْهُمْ بِدِينِ اللهِ خَلَفٌ.

حَتَّى أَفْضَتْ كَرَامَةُ اللهِ سُبْحَانَهُ إِلَى مُحَمَّد (صلى الله عليه وآله)، فَأَخْرَجَهُ مِنْ أَفْضَلِ الْمَعَادِنِ مَنْبِتاً وَأَعَزِّ الاَْرُومَاتِ مَغْرِساً مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي صَدَعَ مِنْهَا أَنْبِيَاءَهُ، وَانْتَجَبَ مِنْهَا أُمَنَاءَهُ.

عِتْرَتُهُ خَيْرُ الْعِتَرِ، وَأُسْرَتُهُ خَيْرُ الأُسَرِ، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ الشَّجَرِ; نَبَتَتْ فِي حَرَم، وَبَسَقَتْ فِي كَرَم، لَهَا فُرُوعٌ طِوَالٌ، وَثَمَرٌ لاَ يُنَالُ.

فَهُوَ إِمَامُ مَنِ اتَّقَى وَبَصِيرَةُ مَنِ اهْتَدَى، وسِرَاجٌ لَمَعَ ضَوْؤُهُ وَشِهَابٌ سَطَعَ نُورُهُ وَزَنْدٌ بَرَقَ لَمْعُهُ; سِيرَتُهُ الْقَصْدُ، وَسُنَّتُهُ الرُّشْدُ، وَكَلاَمُهُ الْفَصْلُ، وَحُكْمُهُ الْعَدْلُ; أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَة مِنَ الرُّسُلِ، وَهَفْوَة عَنِ الْعَمَلِ، وَغَبَاوَة مِنَ الأُمَمِ.[٢١]

ويقول عليه السلام:

اخْتَارَهُ مِنْ شَجَرَةِ الأَنْبِيَاءِ، وَمِشْكَاةِ الضِّيَاءِ، وَذُؤَابَةِ الْعَلْيَاءِ، وَسُرَّةِ الْبَطْحَاءِ، وَمَصَابِيحِ الظُّلْمَةِ، وَيَنَابِيعِ الْحِكْمَةِ.

---

[٢١] – نهج البلاغة ، خطبة ٩٣.

ابتَعَثَهُ بالنُّورِ الْمُضِيءِ، وَالْبُرهَانِ الْجَلِيِّ، وَالْمِنْهَاجِ الْبَادِي، وَالْكِتَابِ الْهَادِي. أُسْرَتُهُ خَيْرُ أُسْرَةٍ، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ شَجَرَةٍ، أَغْصَانُهَا مُعْتَدِلَةٌ، وَثِمَارُهَا مُتَهَدِّلَةٌ.مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ، وَهِجْرَتُهُ بِطَيْبَةَ، عَلا بِهَا ذِكْرُهُ، وَامْتَدَّ مِنْهَا صَوْتُهُ.أَرْسَلَهُ بِحُجَّةٍ كَافِيَةٍ، وَمَوْعِظَةٍ شَافِيَةٍ، وَدَعْوَةٍ مُتَلافِيَةٍ. أَظْهَرَ بِهِ الشَّرَائِعَ الْمَجْهُولَةَ، وَقَمَعَ بِهِ الْبِدَعَ الْمَدْخُولَةَ، وَبَيَّنَ بِهِ الأَحْكَامَ الْمَفْصُولَةَ.فَـ(مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسْلامِ دِيناً) تَتَحَقَّقْ شِقْوَتُهُ، وَتَنْفَصِمْ عُرْوَتُهُ، وَتَعْظُمْ كَبْوَتُهُ، وَيَكُنْ مَآبُهُ إِلَى الْحُزْنِ الطَّوِيلِ وَالْعَذَابِ الْوَبِيلِ. وَأَتَوَكَّلُ عَلَى اللهِ تَوَكُّلَ الإِنَابَةِ إِلَيْهِ، وَأَسْتَرْشِدُهُ السَّبِيلَ الْمُؤَدِّيَةَ إِلَى جَنَّتِهِ، الْقَاصِدَةَ إِلَى مَحَلِّ رَغْبَتِهِ.[22]

يقول سبحانه وتعالى {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ * يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللّهُ مَا يَشَاء} (سورة إبراهيم:٢٤-٢٧).

ويقول جل وعلا{اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} (سورة النور ٣٥-٣٨).

ويقول سبحانه: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً} النساء ١٧١.

---

[22] – المرجع السابق ، خطبة ١٦١.

ويقول عز من قائل: **{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} (٢٦- ٢٨) الزخرف.**

ذكر علي بن أبي إبراهيم في تفسير قوله تعالى **{ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بأذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون} ابراهيم : ٢٣.**

قال: حدثني أبي عن الحسن بن محبوب عن أبي جعفر الأحول عن سلام بن المستنير عن أبي جعفر عليه السلام قال سألته عن قول الله "**مثل كلمة طيبة الآية**" قال الشجرة رسول الله صلى الله عليه وآله أصلها: نسبه ثابت في بني هاشم وفرع الشجرة علي بن أبي طالب عليه السلام وغصن الشجرة فاطمة عليها السلام وثمرتها الأئمة من ولد على وفاطمة عليهم السلام وشيعتهم ورقها وان المؤمن من شيعتنا ليموت فتسقط من الشجرة ورقة وان المؤمن ليولد فتورق الشجرة ورقة قلت أرأيت قوله "تؤتي أكلها كل حين بأذن ربها" قال يعني بذلك ما يفتي به الأئمةُ شيعتهم في كل حج وعمرة من الحلال والحرام ثم ضرب الله لأعداء محمد مثلا فقال **(ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار)**، وفي رواية أبى الجارود عن أبى جعفر عليه السلام قال: كذلك الكافرون لا تصعد أعمالهم إلى السماء وبنو أمية لا يذكرون الله في مجلس ولا في مسجد ولا تصعد أعمالهم إلى السماء إلا قليل منهم.[٢٣]

يقول الشيخ الطوسي في تفسيره: **وقوله (وجعلها كلمة باقية في عقبه)** معناه جعل هذه الكلمة التي قالها إبراهيم كلمة باقية في عقبه أي في ذريته بما أوصى به مما أظهره الله من قوله إجلالا له وتنزيها له ورفعا لقدره بما كان منه من جلالة الطاعة والصبر على أمر الله. وقال قتادة ومجاهد والسدي: معنى قوله (وجعلها كلمة باقية في عقبه} قوله: لا إله إلا الله لم يزل في ذريته من يقولها وقال ابن زيد: هو الإسلام بدلالة قوله (هو سماكم المسلمين} وقال ابن عباس: في عقبه من خلفه وقال مجاهد: في ولده وذريته وقال السدي: في آل محمد عليهم السلام وقال الحسن: عقبه ولده إلى يوم القيامة وقوله (لعلهم يرجعون} قال الحسن: معناه راجع إلى قوم إبراهيم.[٢٤]

---

[٢٣] – على بن ابراهيم القمى ، تفسير القمى ، ٣٦٩-٣٧٠/١.

[٢٤] – الشيخ الطوسى ، التبيان فى تفسير القرآن ، ج٩م ٢٥.

النبوة كلمة الله

يقـــول تعالى {إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريـــم وروح منه}..

فالنبوة هي كلمة الله الجامعة لكل معاني الخير وعندما يصل الإنسان إلى مرحلـــة الكمال فتتطابــق أفعاله مع أقواله يصبح الإنسان هو وما يؤمن به شيئا واحـــدا لا اثنيــن فيصبح الإنســـانِ هو كلمة الحق وتتمثل كلمة الحق في هذا الإنسان فتصبح كلمـــة الحــق الإلهي إنسانا يمشي على الأرض ويصبح هذا الإنسان قائدا لغيره إلى صراط الله المســـتقيم فهو من معادن دينه، وأوتاد أرضه مصباح ظلمات، كشاف غشوات، مفتاح مبهمات، دفـــاع معضلات، دليل فلوات وهو فوق كل هذا من مفاتيح أبواب الهدى، ومغاليق أبواب الردى.

الكلمة هي العلم الذي منحه الله لأنبيائه وأوليائه {ن والقلم وما يسطرون * مـــا أنت بنعمة ربك بمجنون * وإن لك لأجرا غير ممنـــون * وإنـــك لعلى خلـــق عظيـــم} القلـــم ١-٤...

فهو سبحانه الذي علم الإنسان بالقلم ما لم يكن يعلم {اقرأ باسم ربك الذي خلـق* خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلـم) العلق (١- ٥)..

كلمة الله هي الحكمة التي يهبها الله لمن أحب من عباده المصطفين الأخيار, أولـــي الألباب **{يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب} البقرة ٢٦٩.**

الحكمة هي الكلمات اللاتي أتمهن الله لأنبيائه المخلصين وبعث بهن ســيد الأنبيـــاء والمرسلين **{ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتـــاب والحكمـــة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم) البقرة ١٢٩, (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون} البقرة ١٥١**

الكلمة هي الكتاب وهي القرآن الذي أنزله الله هدى للمتقين المجمـــوع مـــن تلـــك الأحرف الألف واللام والميم والنون يخطها القلم بما يسطرون **{الم *ذلك الكتاب لا ريـــب فيه هدى للمتقين * الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وممـــا رزقنـــاهم ينفقـــون * والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون} البقرة (١-٤).**

الكلمة كما يقول الراغب الأصفهاني هي كلمة التوحيد وهي كتاب الله وهي عيسى ابن مريم الذي أوجده الله تبارك وتعالى بقوله كن فيكون **{وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه} لاهتداء الناس به كاهتدائهم بكلام الله تعالى وقد سمي كلمة الله تعالى لأنه صار نبيا كما سمي رسول الله ذكرا رسولا {قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا * رَّسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا} الطلاق ١٠-١١ وقوله {وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا} فالكلمة تسمى قضية وكل قضية تسمى كلمة سواء كان ذلك مقالا أو فعالا والكلمة توصف بالصدق فيقال قولٌ صدقٌ وفعلٌ صدقٌ وقوله تعالى: وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته إشارة إلى قوله {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا} فقد تمت الشريعة ولا نسخ لها بعد هذا اليوم وهي إشارة إلى قوله صلى الله عليه وآله (أول ما خلق الله تعالى القلم فقال له اجرِ بما هو كائن إلى يوم القيامة). والكلمة هي القرآن وقد تكفل الله بحفظه فقال {فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين} والكلمة هي الثواب والعقاب {بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين} وهي أحكام الله التي شرعها وهي وعد الله لعباده الصالحين {وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا} {ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة} {ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضي بينهم} {ويحق الحق بكلماته} أي بحججه وبيناته.**

{ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون} الأنبياء ١٠٥ انتهى النقل.

الكلمة إذا هي الدين كله ولذا فإن عجبي لا ينقضي من أصحاب التفاسير الذين أسهبوا في وصف الشجرة التي شبه الله سبحانه وتعالى بها الكلمة الطيبة ولم يسهبوا في وصف الكلمة.

الكلمة الإلهية حكم وأمر وكتاب مسطور {وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ * وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ * وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ * وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ * إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ * مَا لَهُ مِن دَافِعٍ * يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا * وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا * فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ * الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ} (الطور ١-١٢).

الكلمة هي سجل الكون الذي خطه الأنبياء بجهادهم وصبرهم في تبليغ رسالة ربـــهم وخطه الشهداء بدمائهم والعلماء بمداد أقلامهم **{يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُـب كَمَـا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ * وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْـدِ الذِّكْـرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ * إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ الأنبياء}** (١٠٤- ١٠٦).

الكلمة الطيبة بكل هذه المعاني وغيرها ممن لم نتمكن من إحصائها هـــي شـجرة أصلها ثابت وفرعها يمتد صعودا إلى عنان السماء تؤتي أكلها في كل وقت وحيـن مـهما حاول المبطلون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

في المقابل فإن الكلمة الخبيثة كلمة الكفر والنفاق لا تعدو كونها صورة شجرة بـلا عمق ولا جذور لا بد أن تقتلعها الريح وتزعزعها العواصف **{ما لها من قـرار}** .. **{بـل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون}**.

الكلمة الطيبة تتلاقح مع الأبدان والأرواح كما تتلاقح البذور في التربة الطيبـة أو التربة الخبيثة.

التربة الخبيثة تقتل البذرة الطيبة ولا تسمح إلا بنمو ما كان على شاكلتها من النبات الأكثر خبثا والأسوأ أثرا **{وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ}** الأعراف ٥٨ **وهذا هو تاريخ النبوة المحمدية التـي (نَبَتَتْ فِي حَرَم وَبَسَقَتْ فِي كَرَم لَهَا فُرُوعٌ طِوَالٌ وَثَمَرٌ لاَ يُنَالُ).**

مناقب الشجرة المحمدية

لماذا يتعين علينا الاهتمام بإبراز مناقب الشجرة المحمدية؟؟.

الجواب نراه فيما حكاه لنا القرآن الكريم عن أنبياء الله صلى الله عليهم الذين سبقوا نبينا محمدا صلى الله عليه وآله وسلم وكيف بشر بهم من سبقهم وكيف جرى إعداد وتهيئة آبائهم وأمهاتهم ليقدموا للبشرية ذلك النبت والشجر المبارك الذي سيحمل أمانة الله أي النبوة والبلاغ عن رب العالمين.

إنها الأمانة التي عرضها الله على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وتصدى لها من تصدى من بني الإنسان ظلما وجهلا **{إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا} الأحزاب ٧٢.**

ظلما لأنفسهم إذا حملوا أنفسهم ما لا قبل لهم بحمله فكانوا كبني إسرائيل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها لأنهم لم يفقهوها ولم يؤدوا أمانتها ولا حقها.

وظلما لأتباعهم الذين اتبعوهم من دون بينة ولا برهان ولا كتاب منير فأحلوهم دار البوار **{لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ إبراهيم }** (٢٨-٢٩).

وجهلا بحقيقة الرسالة الأمانة التي لا يقدر على حملها واحتمالها إلا المصطفون الأخيار.

حكى لنا القرآن عن موسى وأم موسى وأخته وأخيه هارون كما حكى لنا رب العزة عن نشأة عيسى عليه السلام بدءا من قصة زكريا عليه السلام وكيف بشرته الملائكة بابن الخالة يحيى كما حكى لنا عن كفالة زكريا عليه السلام لمريم ابنة عمران وكيف كلمتها الملائكة وبشرتها بكلمة من الله إلى آخر ما هو معروف.

أما نحن فالمهمة كانت بيد السادة المؤرخين الذين شهدوا ودونوا ولم يكن علمهم بالنشأة والاصطفاء الإلهي لنبينا محمد عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأتم التسليم متوقفا على نزول قرآن يتلى يحكي لهم ما شاهدوه بأم أعينهم ومع ذلك فإنهم خلطوا الحق بالباطل وحرفوا الكلم عن مواضعه إرضاء لأعداء الإسلام الأمويين خصوم الشجرة المحمدية الهاشمية خاصة بعد أن استولوا على السلطة ولم يكن لهم من هم إلا تقليص دائرة المفاهيم المرتبطة بالنبوة وحصرها في إطار التبليغ والاستيلاء على حق التفسير والتأويل من أجل تقديم تصور عن الإسلام يخدم أغراضهم ويلبي احتياجاتهم.

النبوة عندهم هي (محمد) ولا شيء قبله ولا شيء بعده.

فأبوه وأمه وأجداده وأعمامه هم من أهل النار وأولاهم بهذه النار هو ناصر الإسلام الأول أبي طالب عم رسول الله صلى الله عليه وآله أما أولى الناس بالجنة فهم أعداء رسول الله ص الذين حاربوا الإسلام أكثر من عشرين عاما من آل أبي سفيان!!! .

هكذا قال من قال وروى من روى وصدق أغلب الناس من دون تدقيق ولا تمحيص!!.

أما عن ذريته وعترته فلا شيء يميزهم عن بقية الناس وهم ملزمون بالدخول فيما دخل فيه الناس وليس العكس بأي حال من الأحوال وهذا مبرر كاف لقتلهم ومحاربتهم ومحاربة من ينحاز لهم إذا رفضوا الانصياع للفاسدين من بني أمية وبني العباس والهدف من هذا الطرح هو تنحيتهم وإخلاء الساحة منهم والاستعانة بمن جرى تسميتهم بعد ذلك بالفقهاء لملء الفراغ وتقديم ما يلزم من فقه ومفاهيم لتمشية أحوال الناس.

إنها الرؤية السفيانية للنبوة المحمدية والتي سنذكرها بعد قليل والتي تلخص الأمر كله في كلمات أبي سفيان المنحطة (**مثل محمد في بني هاشم كمثل الريحانة في وسط النتن**).

الأمثال في القرآن

لأن أغلب المفاهيم القرآنية عن النبوة والنور والكلمة والشجرة هي مصطلحات رمزية استخدمها رب العزة سبحانه في إيصال الرسالة لمن يرغب أو يقدر على الفهم دون غيرهم (**وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون**} فالأمر يحتاج إلى شرح وتفصيل لدلالة الأمثال في القرآن ومرة أخرى نرجع إلى الراغب الأصفهاني صاحب معجم المفردات في غريب القرآن.

يقول الأصفهاني:

أصل كلمة مثل هو المثول أي الانتصاب والمُمَثل المصور على مثال غيره, يقال مَثُلَ الشيء أي انتصب وتصور ومنه قوله صلى الله عليه وآله "من أحب أن يتمثل له الناس وقوفا فليتبوأ مقعده من النار" والتمثال الشيء المصور. قال تعالى "فتمثل لها بشرا سويا".

والمثل عبارة عن قول في شيء يشبه قولا في شيء آخر بينهما مشابهة ليبين أحدهما الآخر ويصوره...

وعلى هذا الوجه ما ضرب الله تعالى من الأمثال فقال **{وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون}** وفي أخرى **{وما يعقلها إلا العالمون}**.

والمثل يقال على وجهين أحدهما بمعنى المِثْل نحو شِبه وشَبه وقد يعبر به عن وصف الشيء نحو **قوله تعالى {مثل الجنة التي وعد المتقون}** والثاني عبارة عن المشابهة لغيره في معنى من المعاني وهو أعم الألفاظ الموضوعة للمشابهة.

فالند يقال فيما يشارك في الجوهر فقط...

والشَبه يقال فيما يشارك في الكيفية فقط...

والمساوي يقال فيما يشارك في الكمية فقط...

والشكل يقال فيما يشاركه في القدر والمساحة فقط...

والمثل عام في جميع ذلك ولهذا لما أراد الله تعالى نفي التشبيه من كل وجه خصه بالذكر فقال **{ليس كمثله شيء}**.

وقوله تعالى **{مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا} أي هم في جهلهم بمضمون حقائق التوراة كالحمار في جهله بما على ظهره من الأسفار.**

وقوله **{مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم}** فإنه سبحانه شبه من آتاه الله تعالى ضربا من الهداية فأضاعه ولم يتوصل به إلى ما رشح له من نعيم الأبد بمن استوقد نارا في ظلمة فلما أضاءت له ضيعها ونكس فعاد في الظلمة[٢٥]. أ.هـ.

إذا فالأمثال التي يضربها سبحانه للناس هي تصوير عام وشامل والاستدلال به على مراد الله يكون من خلال بعض المفاتيح الواردة في التمثيل القرآني.

والأمثال التي ضربها الله تعالى للناس في القرآن لا يلزم أن تكون مأخوذة من أرض الواقع أو من فعل العقلاء فهل هناك عاقل يفعل ما فعله الذي استوقد نارا في صحراء مقفرة مظلمة وربما كانت هذه النيران ضرورة من ضروريات بقائه فإذا به يطفئها ويضيعها ليهلك ويهلك من معه ويَضل ويُضل من يمشي خلفه؟؟!!.

---

[٢٥] معجم مفردات ألفاظ القرآن. الراغب الأصفهاني ص ٤٨١- ٤٨٢ . دار الكاتب العربي. بيروت ١٩٧٢.

إنها تجسيد مادي لسلوك معنوي يومي لا ينتبه القوم لضرره ولا لآثاره المدمرة ولكنه سينعكس يوما ما في أضرار مادية واقعية.

ولأننا نعتقد أن أهل البيت وحدهم بهم يُستَعْطَى الْهُدَى، وَبِهِم يُستَجْلَى الْعَمَى **{ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور}** ولأن أصدق ما يوصف به حال هذه الأمة قوله تعالى **{مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون}** فإننا نعتقد ونوقن أن معنى كلمة شجرة في المثالين السابقين هي شجرة النبوة والآل **{ذرية بعضها من بعض}** "زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار... نور على نور" شاء من شاء وأبى من أبى!! أقر المفسرون أم لم يقروا!!.

ولأن هذه الأمثال لا يفهمها على وجهها إلا أولوا الألباب العالمون أصحاب الإدراك المتجرد من الأهواء فنحن لا نرى مبررا لتفسير آية سورة النور بأنها في (المؤمنين) عامة وحتى لو كان هذا صحيحا أليس أهل بيت العصمة والنبوة هم أكمل المؤمنين إيمانا؟؟.

أليست بيوتهم بيوتا {أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه.. يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة}؟؟!!.

ألم يلحظ هؤلاء السادة المفسرون أن الله تبارك وتعالى عندما تحدث عن جمهور المؤمنين المتواجدين في المسجد في سورة الجمعة قال **{وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما* قل ما عند الله خير من اللهو والتجارة والله خير الرازقين}**... في حين أنه عندما تحدث عن رجال الله في سورة النور قال **{لا تلهيهم تجارة ولا بيع}** ولم يأت على ذكر اللهو الجائز في حق غيرهم ممن كانوا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله جالسين بين يديه فأهل الله المخلَصين لا يجوز منهم التلهي بالتجارة أو بغير التجارة ولا يجوز عليهم اللهو واللغو وبالتالي فهم موئل النور وهم من بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه وغيرهم هو من يحتاج للاقتباس من هذا النور.

الفرصة الوحيدة لجمهور المؤمنين لاقتباس النور من نبع النور هي في الدنيا, أما في الآخرة وبعد أن يقضي الله أمرا كان مفعولا وبعد انتهاء المهلة الممنوحة لهؤلاء يأتي أهل النور بنورهم ويأتي أهل الظلمة بظلماتهم **{ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور} النور ٤٠ {يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ**

والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم * يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب * ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور * فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير} الحديد (١٢- ١٥).

يومها يوم الحسرة والندامة عندما يرى المنافقون ما فيه إخوانهم المؤمنون من نعيم النور الإلهي وكفى به عزا وكرامة ونعيما فيتسولون منهم قبسا من هذا النور لعله ينقذهم من تلك الظلمة القاتلة ظنا منهم أنهم **(أي المؤمنين نظرا لتوهجهم وتألقهم)** هم مصدر النور فيأتي الجواب ارجعوا وراءكم إلى مصدر النور فالتمسوا النور من أصله ومصدره فيحاولون التراجع أو الرجوع لالتماس النور فيوصد في وجههم باب الرحمة الذي كان مفتوحا على مصراعيه أمامهم قبل أن تقع الواقعة وترجف الراجفة فينادون من يعرفون من إخوانهم المؤمنين الذين كانوا يعيشون معهم من قبل وهم كانوا من قبل منكرون لإيمانهم ومنهجهم في صرخة يائسة: ألم نكن معكم؟؟ فيأتي الجواب: بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور... فاليوم لا تقبل منكم أيها المنافقون المعرضون عن نور النبوة عذر ولا فدية وحالكم هو كحال الذين كفروا والنار مصير هؤلاء وهؤلاء وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل إنهم كانوا في شك مريب.

ما أسوأ حال هؤلاء الذين عرفوا الحق فأنكروه وحاربوه **{يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها}** وما أسوأ حالهم يوم الهول يوم تتكشف الحقائق وينميز الحق من الباطل والنور من الظلمة.

الإمام علي يصف الشجرة المحمدية

(فاستودعهم في أفضل مستودع وأقرهم في خير مستقر تناسختهم كرائم الأصلاب إلى مطهرات الأرحام كلما مضى سلف قام منهم بدين الله خلف حتى أفضت كرامة الله سبحانه إلى محمد (ص) فأخرجه من أفضل المعادن منبتا وأعز الا رومات مغرسا من

الشجـرة التي صدع منها أنبياءه وانتجب منها أمناءه.... عترته خير العتر، وأسـرته خير الأسـر، وشجرته خير الشجر; نبتت في حرم، وبسقت في كرم، لها فـروع طـوال، وثمر لا ينال).

(اختـاره من شجرة الأنبياء، ومشكاة الضياء، وذؤابة العلياء، وسرة البطحـاء، ومصابيـح الظلمة، وينابيع الحكمـة).

(أسرته خير أسرة، وشجرتـه خير شجرة، أغصانها معتدلة وثمارها متهدلة).

روى مسلم في (صحيحـه):

* عن أبي سعيد قـال: **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر.**

* عن أبي عمار شداد أنه سمع واثلة بن الأسقـع يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم[٢٦].

ويروي أبو الفداء في تاريخه عن المطلب بن أبي وداعة قال جـاء العبـاس إلـى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكأنه سمع شيئا (؟!) فقام النبي صلى الله عليه وسلم علـى المنبر فقال من أنا فقالوا أنت رسول الله عليك السلام قال أنا محمد بن عبد الله بـن عبـد المطلب إن الله خلق الخلق فجعلني في خيرهم ثم جعلهم فرقتين فجعلني في خيرهم فرقة ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة ثم جعلهم بيوتا فجعلني في خيرهم بيتا وخيرهم نفسا.

أما هذا الذي قاله القوم فأغضب رسول الله صلـى الله عليه وآله وسلم فيرويه أبـو الفداء نقـلا عن الحافظ البيهقي بإسنـاد يرفعـه إلى العباس عم النبـي صلـى الله عليـه وسلم.

قال: قلـت يـا رسـول الله إن قريشـا إذا التقوا لقي بعضهم بعضا بالبشاشة وإذا لقونا لقونا بوجوه لا نعرفها فغضـب رسـول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عنـد ذلـك غضبا شديدا ثم قال: (**والذي نفس محمد بيـده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكـم لله**

---

٢٦ صحيح مسلم ج٧, ص ١٢٣٦. كتاب الجمهورية. ١٩٨٩. مصر

ولرسوله) وذكر في موضع آخر عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: إنـــا لقعـــود بفناء رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ مرت به امرأة فقال بعــض القــوم: هــذه بنـــت رســول الله صلى الله عليه وسلم أي فاطمة الزهراء عليها السلام فقال أبو ســفيان: مثــل محمد في بني هاشم مثل الريحانة في وسط النتن.

فانطلقت المرأة أي الزهراء فأخبرت النبـــي صلى الله عليه وسلم فجاء صلـــى الله عليه وسلم يعرف في وجهه الغضب فقال: ما بال أقــوال تبلغني عن أقوام؟؟ إن الله عـــز وجل خلق السماوات سبعا فاختار العلى منها فأسكنها من شاء من خلقه ثـــم خلــق الخلــق فاختار من الخلق بني آدم واختار من بني آدم العرب واختار من العرب مضر واختار مــن مضرّ قريشا واختار من قريش بني هاشم واختارني من بني هاشم .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قـــال لـــي جبرائيل قلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد رجلا أفضل من محمـــد وقلبـــت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد بني أب أفضل من بني هاشم[٢٧]. انتهى النقل.

والشاهد أن الأساليب التي اتبعتها حركة النفاق قد تنوعت وكان من بينها الطعن في نسب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفضله وشرفه توصلا إلى تحقيق هدفها النـــهائي وهو إعادة الاستيلاء على الدنيا هذه المرة باسم الإسلام بعد أن جربوا في الســـابق إعـــلان الحرب الصريحة على الدين فلم يفلحوا في كسب معركة المواجهة المباشرة.

الرسول الأكرم سليل المجد والشرف

إنه أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن قصـــي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بـــن كنانـــة بـــن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

هكذا تسير سلسلة الاصطفاء فالله سبحانه وتعالى اختار من العرب مضر واختـــار من مضر قريشا واختار من قريش بني هاشم واختار محمدا من بني هاشم.

---

[٢٧] المختصر في تاريخ البشر لأبي الفداء, ص ١٤٢, ج١ الطبعة الأولـــى. دار المعـــارف المصريـــة. ١٩٩٨.

والرواية لابن الأثير تقول في: هاشم بن عبد مناف جد بني هاشم :كان جد رسول الله ص هو هاشم ابن عبد مناف واسمه عمرو وكنيته أبو نضلة وإنما قيل له هاشم لأنه أول من هشم الثريد لقومه بمكة وأطعمه.

قال ابن الكلبي: كان هاشم أكبر ولد عبد مناف والمطلب أصغرهم أمه عاتكة بنت مرة السلمية ونوفل وأمه واقدة وعبد شمس فسادوا كلهم وكان يقال لهم المجيرون.

وهم أول من أخذ لقريش العصم فانتشروا من الحرم فأخذ لهم هاشم خيلا من الروم وغسان بالشام وأخذ لهم عبد شمس خيلا من النجاشي بالحبشة وأخذ لهم نوفل خيلا من الأكاسرة بالعراق وأخذ لهم المطلب خيلا من حمير باليمن فاختلفت قريش بهذا السبب إلى هذه النواحي فجبر الله بهم قريشا.

وولي هاشم بعد أبيه عبد مناف ما كان إليه من السقاية والرفادة فحسده أمية بن عبد شمس على رياسته وإطعامه فتكلف أن يصنع صنيع هاشم فعجز عنه فشمت به ناس من قريش فغضب ونال من هاشم ودعاه إلى المنافرة فكره هاشم ذلك لسنه وجلال قدره فلم تدعه قريش حتى نافره على خمسين ناقة والجلاء عن مكة عشر سنين فرضي أمية وجعلا بينهما الكاهن الخزاعي وهو جد عمرو بن الحمق ومنزله بعسفان وكان مع أمية همهمة بن عبد العزى الفهري وكانت ابنته عند أمية فقال الكاهن: والقمر الباهر والكوكب الزاهر والغمام الماطر وما بالجو من طائر وما اهتدى بعلم مسافر من منجد وغائر لقد سبق هاشم أمية إلى المآثر أول منه وآخر وأبو همهمة بذلك خابر.

فقضى لهاشم بالغلبة وأخذ هاشم الإبل فنحرها وأطعمها وغاب أمية عن مكة بالشام عشر سنين فكانت هذه أول عداوة وقعت بين هاشم وأمية.

وكان يقال لهاشم والمطلب البدران لجمالهما.

ومات هاشم بغزة وله عشرون سنة وقيل: خمس وعشرون سنة وهو أول من مات من بني عبد مناف ثم مات عبد شمس بمكة فقبر بأجياد.

وكانت الرفادة والسقاية بعد هاشم إلى أخيه المطلب لصغر سن ابنه عبد المطلب بن هاشم.

عبد المطلب بن هاشم:

إنه جد رسول الله صلى الله عليه وآله وإنما قيل له عبد المطلب لأن أباه هاشما شخص في تجارة إلى الشام فلما قدم المدينة نزل على عمرو بن لبيد الخزرجي من بني النجار فرأى ابنته سلمى فأعجبته فتزوجها.

وشرط أبوها أن لا تلد ولدا إلا في أهلها ثم مضى هاشم لوجهه وعاد من الشام فبنى بها في أهلها ثم حملها إلى مكة فحملت فلما أثقلت ردها إلى أهلها ومضى إلى الشام فمات بغزة فولدت له عبد المطلب فمكث بالمدينة سبع سنين ثم إن رجلا من بني الحارث بن عبد مناف مر بالمدينة فإذا غلمان ينتضلون فجعل شيبة (عبد المطلب) إذا أصاب قال: أنا ابن هاشم أنا ابن سيد البطحاء.

فلما أتى الحارثي مكة قال للمطلب وهو بالحجر: يا أبا الحارث تعلم أني وجدت غلمانا بيثرب وفيهم ابن أخيك ولا يحسن ترك مثله فقال المطلب لا أرجع إلى أهلي حتى آتي به فقدم المدينة عشاء فأخذه بإذن أمه وسار إلى مكة فقدمها ضحوة والناس في مجالسهم فجعلوا يقولون له: من هذا وراءك فيقول: هذا عبدي. حتى أدخله منزله على امرأته خديجة بنت سعيد بن سهم. فقالت: من هذا الذي معك قال: عبد لي.

واشترى له حلة فلبسها ثم خرج به العشي فجلس إلى مجلس بني عبد مناف فأعلمهم أنه ابن أخيه فكان بعد ذلك يطوف بمكة فيقال: هذا عبد المطلب لقوله هذا عبدي ثم أوقفه المطلب على ملك أبيه فسلمه إليه.

فعرض له نوفل بن عبد مناف وهو عمه الآخر بعد موت المطلب فأخذ دارا له فمشى عبد المطلب إلى رجالات قريش وسألهم النصرة على عمه فقالوا له: ما ندخل بينك وبين عمك. فكتب إلى أخواله من بني النجار يصف لهم حاله فخرج أبو أسعد بن عدس النجاري في ثمانين راكبا حتى أتى الأبطح فخرج عبد المطلب يتلقاه فقال له: المنزل يا خال! قال: حتى ألقى نوفلا وأقبل حتى وقف على رأسه في الحجر مع مشايخ قريش فسل سيفه ثم قال: ورب هذه البنية لتردن على ابن أختنا داره أو لأملأن منك السيف! قال: فإني ورب هذه البنية أرد عليه داره فأشهد عليه من حضر ثم قال لعبد المطلب: المنزل يا ابن أختي. فأقام عنده ثلاثا فاعتمروا وانصرفوا.

فدعا ذلك عبد المطلب إلى الحلف فدعا بشر بن عمرو وورقاء بن فلان ورجالا من رجالات خزاعة فحالفهم في الكعبة وكتبوا كتابا. وكانت له السقاية والرفادة وشرف في

قومه وعظم شأنه ثم إنه حفر زمزم وهي بئر إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام التي أسقاه الله وكان سبب حفره إياها أنه قال: بينا أنا نائم بالحجر إذ أتاني آت فقال: احفر طيبة. قال: قلت: وما طيبة؟ قال: ثم ذهب فرجعت الغد إلى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال: احفر برة قلت: وما برة؟ قال: ثم ذهب عني فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال: احفر المضنونة قال: قلت: وما المضنونة؟ قال: فذهب عني فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال: احفر زمزم إنك إن حفرتها لا تندم فقلت: وما زمزم قال تراث من أبيك الأعظم لا تنزف أبدا ولا تذم، تسقي الحجيج الأعظم مثل نعام جافل لم يقسم, ينذر فيها ناذر لمنعم، يكون ميراثا وعقدا محكم، ليس كبعض ما قد تعلم،وهي بين الفرث والدم، عند نقرة الغراب الأعصم، عند قرية النمل.

فلما بين له شأنها ودل على موضعها وعرف أنه قد صدق, غدا بمعوله ومعه ابنه الحارث ليس له ولد غيره فحفر بين إساف ونائلة في الموضع الذي تنحر فيه قريش لأصنامها وقد رأى الغراب ينقر هناك.

فلما بدا له الطوي كبر فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته فقاموا إليه فقالوا: إنها بئر أبينا إسماعيل وإن لنا فيها حقا فأشركنا معك. قال: ما أنا بفاعل هذا أمر خصصت به دونكم قالوا: فإنا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها قال: فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم قالوا: كاهنة بني سعد بن هذيم وكانت بمشارف الشام فركب عبد المطلب ومعه نفر من بني عبد مناف وركب من كل قبيلة من قريش نفر حتى إذا كانوا ببعض تلك المفاوز بين الحجاز والشام فني ماء عبد المطلب وأصحابه فظمئوا حتى أيقنوا بالهلكة فطلبوا الماء ممن معهم من قريش فلم يسقوهم فقال لأصحابه: ماذا ترون فقالوا: رأينا تبع لرأيك فمرنا بما شئت قال: فإني أرى أن يحفر كل رجل منكم لنفسه حفرة فكلما مات واحد واراه أصحابه حتى يكون آخركم موتا قد وارى الجميع فضيعة رجل واحد أيسر من ضيعة ركب قالوا: نعم ما رأيت ففعلوا ما أمرهم به.

ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه: والله إن إلقاءنا بأيدينا هكذا للموت لا نضرب في الأرض ونبتغي لأنفسنا لعجز فارتحلوا ومن معه من قبائل قريش ينظرون إليهم ثم ركب عبد المطلب فلما انبعثت به راحلته انفجرت من تحت خفها عين عذبة من ماء فكبر وكبر أصحابه وشربوا وملأوا أسقيتهم ثم دعا القبائل من قريش فقال: هلموا إلى الماء فقد سقانا

الله فقال أصحابه: لا نسقيهم لأنهم لم يسقونا فلم يسمع منهم وقال: فنحن إذا مثلهم! فجاء أولئك القرشيون فشربوا وملأوا أسقيتهم وقالوا: قد والله قضى الله لك علينا يا عبد المطلب والله لا نخاصمك في زمزم أبدا إن الذي سقاك هذا الماء بهذه الفلاة لهو الذي سقاك زمزم فارجع إلى سقايتك راشدا فرجعوا إليه ولم يصلوا إلى الكاهنة وخلوا بينه وبينها فلما فرغ من حفرها وجد الغزالين اللذين دفنتهما جرهم فيها وهما من ذهب ووجد فيها أسيافا قلعية وأدراعا.

فقالت له قريش: يا عبد المطلب لنا معك في هذا شرك وحق. قال لا ولكن هلم إلى أمر نصف بيني وبينكم نضرب عليها بالقداح. فقالوا: فكيف تصنع قال: أجعل للكعبة قدحين ولكم قدحين وله قدحين فمن خرج قداحه على شيء أخذه ومن تخلف قداحه فلا شيء له قالوا: أنصفت.

ففعلوا ذلك وضربت القداح عند هبل فخرج قدحا الكعبة على الغزالين وخرج قدحا عبد المطلب على الأسياف والأدراع ولم يخرج لقريش شيء من القداح فضرب عبد المطلب الأسياف بابا للكعبة وجعل فيه الغزالين صفائح من ذهب فكان أول ذهب حليت به الكعبة وأقبل الناس والحجاج على بئر زمزم تبركا بها ورغبة فيها وأعرضوا عما سواها من الآبار ولما رأى عبد المطلب تظاهر قريش عليه نذر الله تعالى: إن يرزقه عشرة من الولدان يبلغون أن يمنعوه ويذبوا عنه نحر أحدهم قربانا لله تعالى.

وعبد المطلب أول من خضب بالوسمة وهو السواد لأن الشيب أسرع إليه.

وكان لعبد المطلب جار يهودي يقال له أذينة يتجر وله مال كثير فغاظ ذلك حرب بن أمية وكان نديم عبد المطلب فأغرى به فتيانا من قريش ليقتلوه ويأخذوا ماله فقتله عامر بن عبد مناف بن عبد الدار وصخر بن عمرو ابن كعب التيمي جد أبي بكر رضي الله عنه فلم يعرف عبد المطلب قاتليه فلم يزل يبحث حتى عرفهما وإذا هما قد استجارا بحرب بن أمية فأتى حربا ولامه وطلبهما منه. فأخفاهما فتغالظا في القول حتى تنافرا إلى النجاشي ملك الحبشة فلم يدخل بينهما فجعلا بينهما نفيل بن عبد العزي العدوي جد عمر بن الخطاب فقال لحرب: يا أبا عمرو أتنافر رجلا هو أطول منك قامة وأوسم وسامة وأعظم منك هامة وأقل منك ملامة وأكثر منك ولدا وأجزل منك صفدا وأطول منك مددا وإني لأقول هذا وإنك

لبعيد الغضب رفيع الصوت في العرب جلد المريرة لحبل العشيرة ولكنك نافرت منفرا فغضب حرب وقال: من انتكاس الزمان أن جعلت حكما.

فترك عبد المطلب منادمة حرب ونادم عبد الله بن جدعان التيمي وأخذ من حرب مائة ناقة فدفعها إلى ابن عم اليهودي وارتجع ماله إلا شيئا هلك فغرمه من ماله.

وهو أول من تحنث بحراء فكان إذا دخل شهر رمضان صعد حراء وأطعم المساكين وتوفي وله مائة وعشرون سنة وكان قد عمي.[28]

كما يروي ابن الجوزي في (المنتظم)٢٩:

حدثنا عبد العزيز بن عمران بن عبد الله عن جعفر عن أبي عون عن المسور بن مخرمة عن ابن عباس عن أبيه العباس بن عبد المطلب قال: قال أبي عبد المطلب: خرجت إلى اليمن في رحلة الشتاء والصيف فنزلت على رجل من اليهود يقرأ الزبور فقال: يا عبد المطلب ائذن لي فأنظر في بعض جسدك فقلت: انظر ما لم يكن عورة فنظر في منخري فقال أجد في أحد منخريك ملكا وفي الأخرى نبوة فهل لك من شاعة قلت: وما الشاعة قال: الزوجة قلت: أما اليوم فلا قال: فإذا قدمت مكة فتزوج فقدم فتزوج هالة فولدت له حمزة وصفية وتزوج عبد الله آمنة فولدت له رسول الله صلي الله علية وسلم فكانت قريش تقول فلج عبد الله على أبيه.

منام رقيقة واستسقاء قريش برسول الله ص:

روى ابن الجوزي في كتابه (المنتظم) من أخبار السنة الخامسة لمولده المبارك:

أخبرنا عبد الله بن علي المقرئ ومحمد بن ناصر الحافظ قالا: أخبرنا طراد بن محمد قال: أخبرنا علي بن محمد بن بشران قال: أخبرنا الحسن بن صفوان قال: حدثنا عبد الله بن محمد القرشي قال: أخبرنا زكريا بن يحيى الطائي قال: حدثني زحر بن حصين عن جده حميد بن تحدث خرمة بن نوفل عن أمه رقيقة ابنة صفي بن هاشم قالت: تتابعت على قريش سنون أقحلت الضرع وأدقت العظم فبينا أنا نائمة اللهم أو مهمومة إذا هاتف يقول: يا معشر قريش إن هذا النبي المبعوث فيكم قد أظلتكم أيامه وهذا إبان نجومه فحي هلا بالحيا

---

[28] - ابن الأثير ،الكامل في التاريخ، ص ٥٤٤ – ٥٦٨ /١،طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٩٨٧.

[29] - ابن الجوزي، المنتظم، ٢/٢٠٤، ط دار الكتب العلمية ، بيروت،١٩٩٢.

والخصب ألا فانظروا رجلا منكم وسيطا عظاما جساما أبيض بضا أوطف الأهداب سهل الخدين أشم العرنين له فخر يكظم عليه وسنة تهدي إليه فليخلص هو وولده وليهبط إليه من كل بطن رجل فليسنوا من الماء وليمسوا من الطيب ثم ليستلموا الركن ثم ليرتقوا أبا قبيس فليستسق الرجل وليؤمن القوم فغثتم (من الغوث) ما شئتم فأصبحت مذعورة وقد اقشعر جلدي ووله عقلي واقتصصت رؤياي فو الحرمة والحرم ما بقي أبطحي إلا قال: هذا شيبة الحمد (عبد المطلب).

فتتامت إليه رجالات قريش فهبط إليه من كل بطن رجل فسنوا ومسوا واستلموا ثم ارتقوا أبا قبيس وطبقوا جانبيه فما يبلغ سعيهم مهلة حتى إذا استووا بذروة الجبل قام عبد المطلب ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم غلام قد أيفع فقال "اللهم ساد الخلة وكاشف الكربة أنت معلم غير معلم ومسؤول غير مبخل وهؤلاء عبادك وإماؤك بغدرات حرمك يشكون إليك سنتهم أذهبت الخف والظلف اللهم فأمطرنا غيثا مغدقا ممرعا".

فو رب الكعبة ما زالوا حتى تفجرت السماء بمائها واكتظ الوادي بثجيجه فلسمعت شيخان قريش وجلتها: عبد الله بن جدعان وحرب بن أمية وهشام بن المغيرة يقولون لعبد المطلب: هنيئا لك أبا البطحاء أي: عاش بك أهل البطحاء.

وفي ذلك تقول رقيقة:

بشيبة الحمد أسقى الله بلدتنا * لما فقدنا الحيا وأجلوذ المطر

فجاد بالماء جوني له سبل سحا * فعاشت به الأنعام والشجر

منا من الله بالميمون طائره * وخير من بشرت يوما به مضر

مبارك الأمر يستسقى الغمام به * ما في الأنام له عدل ولا خطر[٣٠].

بين عبد المطلب وأبرهة

يروي ابن الأثير في الكامل: أن الحبشة ملكوا اليمن بعد حمير فلما صار الملك إلى أبرهة بنى كنيسة عظيمة وقصد أن يصرف حج العرب إليها ويبطل الكعبة الحرام فجاء شخص من العرب وأحدث في تلك الكنيسة فغضب أبرهة لذلك وسار بجيشه ومعه الفيل

---

[٣٠]- ابن الجوزى ،المنتظم، ٢/٢٧٥. السابق.

وقيل كان معه ثلاثة عشر فيلا ليهدم الكعبة فلما وصل إلى الطائف بعث الأسود بن مقصود إلى مكة فساق أموال أهلها وأحضرها إلى أبرهة وأرسل أبرهة إلى قريش وقال لهم: لست أقصد الحرب بل جئت لأهدم الكعبة فقال عبد المطلب: والله ما نريد حربه هذا بيت الله فإن منع عنه فهو بيته وحرمه وإن خلا بينه وبينه فوالله ما عندنا من دفع ثم انطلق عبد المطلب مع رسول أبرهة إليه فلما استؤذن لعبد المطلب قالوا لأبرهة: هذا سيد قريش فأذن له وأكرمه ونزل عن سريره وجلس معه وسأله في حاجته فذكر عبد المطلب أباعره التي أخذت له فقال أبرهة: إني كنت أظن أنك تطلب مني أن لا أخرب الكعبة التي هي دينك: فقال عبد المطلب: أنا رب الأباعر فأطلبها وللبيت رب يمنعه فأمر أبرهة برد أباعره عليه فأخذها عبد المطلب وانصرف إلى قريش ولما قارب أبرهة مكة وتهيأ لدخولها بقي كلما أقبل فيله مكة وكان اسم الفُيل محمودا ينام ويرمي بنفسه إلى الأرض ولم يسر فإذا وجهوه إلى غير مكة قام يهرول وبينما هم كذلك إذ أرسل الله عليهم طيرا أبابيل أمثال الخطاطيف مع كل طائر ثلاثة أحجار في منقاره ورجليه فقذفتهم بها وهي مثل الحمص والعدس فلم يصب أحدا منهم إلا هلك[31].

كما روي الكليني في الكافي نفس الرواية بشيء من التفصيل عن أبي عبد الله عليه السلام (الصادق ع) قال: لما أن وجه صاحب الحبشة بالخيل ومعهم الفيل ليهدم البيت مروا بإبل لعبد المطلب فساقوها فبلغ ذلك عبد المطلب فأتى صاحب الحبشة فدخل الآذن فقال: هذا عبد المطلب بن هاشم قال: وما يشاء؟ قال الترجمان: جاء في إبل له ساقوها يسألك ردها فقال ملك الحبشة لأصحابه هذا رئيس قوم وزعيمهم جئت إلى بيته الذي يعبده لأهدمه وهو يسألني إطلاق إبله أما لو سألني الإمساك عن هدمه لفعلت ردوا عليه إبله فقال عبد المطلب لترجمانه ما قال لك الملك؟ فأخبره فقال عبد المطلب أنا رب الإبل ولهذا البيت رب يمنعه فردت إليه إبله وانصرف عبد المطلب نحو منزله فمر بالفيل في منصرفه فقال للفيل: يا محمود فحرك الفيل رأسه فقال له أتدري لم جاءوا بك؟ فقال الفيل برأسه لا فقال عبد المطلب جاءوا بك لتهدم بيت ربك أفتراك فاعل ذلك؟ فقال برأسه لا!!.

---

[31] - ابن الأثير ، مرجع سابق ، ٣٤٢-١/٣٤٥.

فانصرف عبد المطلب إلى منزله فلما أصبحوا غدوا به لدخول الحرم فأبى وامتنع عليهم فقال عبد المطلب لبعض مواليه عند ذلك: اعل الجبل فانظر ترى شيئا؟ فقال: أرى سوادا من قبل البحر فقال له يصيبه بصرك أجمع؟ فقال له لا ولأوشك أن يصيب فلما أن قرب قال هو طير كثير ولا أعرفه يحمل كل طير في منقاره حصاة مثل حصاة الخذف أو دون حصاة الخذف فقال عبد المطلب ورب عبد المطلب ما تريد إلا القوم حتى لما صاروا فوق رؤوسهم أجمع ألقت الحصاة فوقعت كل حصاة على هامة رجل فخرجت من دبره فقتلته فما انفلت منهم إلا رجل واحد يخبر الناس فلما أن أخبرهم ألقت عليه حصاة فقتلته.[٣٢]

عبد الله بن عبد المطلب

وكان عبد الله أصغر ولد أبيه فكان هو عبد الله وأبو طالب واسمه عبد مناف والزبير وعبد الكعبة عاتكة وأميمة وبرة ولد عبد المطلب أمهم جميعهم فاطمة بنت عمرو بن عايذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة.

وكان عبد المطلب نذر حين لقي من قريش العنت في حفر زمزم لئن ولد له عشرة نفر وبلغوا معه حتى يمنعوه لينحرن أحدهم عند الكعبة لله تعالى فلما بلغوا عشرة وعرف أنهم سيمنعونه أخبرهم بنذره فأطاعوه وقالوا: كيف نصنع قال: يأخذ كل رجل منكم قدحا ثم يكتب فيه اسمه.

ففعلوا وأتوه بالقداح فدخلوا على هبل في جوف الكعبة وكان أعظم أصنامهم وهو على بئر يجمع فيه ما يهدى إلى الكعبة.

وكان عند هبل سبعة أقداح في كل قدح كتاب فقدح فيه العقل إذا اختلفوا في العقل من يحمله منهم ضربوا بالقداح السبعة وقدح فيه نعم للأمر إذا أرادوه يضرب به فإن خوج نعم عملوا به وقدح فيه لا فإذا أرادوا أمرا ضربوا به فإذا خرج لا لم يعملوا ذلك الأمر وقدح فيه منكم وقدح فيه ملصق وقدح فيه من غيركم وقدح فيه المياه.

إذا أرادوا أن يحفروا للماء ضربوا بالقداح وفيها ذلك القدح فحيث ما خرج عملوه به وكانوا إذا أرادوا أن يختتنوا غلاما أو ينكحوا جارية أو يدفنوا ميتا أو شكوا في نسب أحد منهم ذهبوا به إلى هبل وبمائة درهم وجزور فأعطوه صاحب القداح الذي يضربها ثم قربوا صاحبهم الذي يريدون به ما يريدون ثم قالوا: يا إلهنا هذا فلان بن فلان قد أردنا به كذا وكذا فأخرج الحق فيه.

---

[٣٢] - الكليني ، الكافي ،٤٤٧/١.

ثم يقولون لصاحب القداح: اضرب فيضرب فإن خرج عليه منكم كان وسيطا وإن خرج عليه من غيركم كان حليفا وإن خرج عليه شيء سوى هذا مما يعملون به فإن خرج نعم عملوا به وإن خرج لا أخروه عامهم ذلك حتى يأتوه به مرة أخرى ينتهون في أمورهم إلى ذلك مما خرجت به القداح.

وقال عبد المطلب لصاحب القداح اضرب على بني هؤلاء بقداحهم هذه. وأخبره بنذره الذي نذر وكان عبد الله أصغر بني أبيه وأحبهم إليه. فلما أخذ صاحب القداح يضوب قام عبد المطلب يدعو الله تعالى ثم ضرب صاحب القداح فخرج قدح عل عبد الله فأخذ عبد المطلب بيده ثم أقبل إلى إساف ونائلة وهما الصنمان اللذان ينحر الناس عندهما فقامت قريش من أنديتها فقالوا: ما تريد قال: أذبحه فقالت قريش وبنوه: والله لا تذبحه أبدا حتى تعذر فيه لئن فعلت هذا لا يُزال الرجل منا يأتي بابنه حتى يذبحه فقال له المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم: والله لا تذبحه حتى تعذر فيه فإن كان فداؤه بأموالنا فديناه وقالت له قريش وبنوه: لا تفعل وانطلق إلى كاهنة بالحجر فسلها فإن أمرتك بذبحه ذبحته فإن أمرتك بما لك وله فيه فرج قبلته فانطلقوا إليها وهي بخيبر فقص عليها عبد المطلب خبره فقالت لهم: ارجعوا اليوم حتى يأتيني تابعي فأسأله فرجعوا عنها. ثم غدوا عليها فقالت لهم: نعم قد جاءني الخبر فكم الدية فيكم قالوا: عشر من الإبل وكانت كذلك. قالت: ارجعوا إلى بلادكم وقربوا عشرا من الإبل واضربوا عليها وعليه بالقداح فإن خرج على صاحبكم فزيدوا عشرا حتى يرضى ربكم وإن خرجت على الإبل فانحروها فقد رضي ربكم ونجا صاحبكم.

فخرجوا حتى أتوا مكة فلما أجمعوا لذلك قام عبد المطلب يدعو الله ثم قربوا عبد الله وعشرا من الإبل فخرجت القداح على عبد الله فزادوا عشرا فخرجت القداح على عبد الله فما برحوا يزيدون عشرا وتخرج القداح على عبد الله حتى بلغت الإبل مائة ثم ضربوا فخرجت القداح على الإبل فقال من حضر: قد رضي ربك يا عبد المطلب فقال عبد المطلب: لا والله حتى أضرب ثلاث مرات فضربوا ثلاثا فخرجت القداح على الإبل فنحرت ثم تركت لا يصد عنها إنسان ولا سبع.

تزويج عبد الله من آمنة بنت وهب

وأما تزويج عبد الله بن عبد المطلب بآمنة ابنة وهب أم رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لما فرغ عبد المطلب من الإبل انصرف بابنه عبد الله فخرج به عبد المطلب حتى أتى به وهب بن عبد مناف بن زهرة وهو سيد بني زهرة فزوجه ابنته آمنة بنت وهب.

فدخل عبد الله عليها فحملت بمحمد صلى الله عليه.

وقيل: إن عبد المطلب خرج بابنه عبد الله ليزوجه فمر به على كاهنة من خثعم يقال لها فاطمة بنت مر متهودة من أهل تبالة فرأت في وجهه نورا وقالت له: يا فتى هل لك أن تقع علي الآن وأعطيك مائة من الإبل فقال لها: أما الحرام فالممات دونه والحل لا حل فأستبينه فكيف بالأمر الذي تبغينه ثم قال لها: أنا مع أبي ولا أقدر أن أفارقه فمضى فزوجه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة.

فأقام عندها ثلاثا ثم انصرف.

موت والد الرسول عبد الله بن عبد المطلب:

أرسل عبد المطلب ابنه عبد الله إلى المدينة يمتار لهم تمرا فمات بالمدينة **وقيل:** بل كان في الشام فأقبل في عير قريش فنزل بالمدينة وهو مريض فتوفي بها ودفن في دار النابغة الجعدي وله خمس وعشرون سنة وقيل: ثمان وعشرون سنة وتوفي قبل أن يولد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

تعليق هام:

مما سبق يتبين لنا أن آباء الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم كانوا أهل إيمان بالله سبحانه ولجوء إليه فهاهو عبد المطلب يحفر بئر زمزم ليسقي حجاج بيت الله الحرام وهاهو يكبر عندما نجح الحفر وخرج الماء وهاهي السماء تتدخل لإنقاذه من الموت في الصحراء فتتفجر الينابيع من تحت قدميه عندما خاصمه قومه ومنعوا منه الماء وهاهي أخلاق النبوة تتجلى عندما سقى من حرموه الماء قبلها بلحظات.

إنها أخلاقيات هاشمية رفيعة امتدت إلى عقبهم وعقب عقبهم وهاهو الإمام علي بن أبي طالب يرد على معاوية بن أبي سفيان قوله أنا جميعا من بني عبد مناف: **وأما قولك: إنا بنو عبد مناف فكذلك نحن ولكن ليس أمية كهاشم ولا حرب كعبد المطلب، ولا أبو**

سفيان كأبي طالب ولا المهاجر كالطليق ولا الصريح كاللصيق، ولا المحق كالمبطل ولا المؤمن كالمدغل، ولبئس الخلف خلف يتبع سلفا هوى في نار جهنم.[٣٣]

إنها نفس الأخلاقيات العلوية التي دفعت الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام للسماح للجيش الأموي أن يشرب من ماء الفرات بعد أن حاول أن يكرر ما فعله أسلافه من شانئي بني هاشم ومبغضيهم لا بسبب جرم ارتكبوه وإنما بسبب فضلهم وعلو مكانتهم ومسابقتهم إلى فعل الخيرات مثلما ذكرنا في الصفحات السابقة.

لقد شكل المنبت الهاشمي علامة فارقة في نشأة الدوحة المحمدية الباسقة ولذا نسمع الإمام علي بن أبي طالب يفاخر بهذا الأصل **فيقول: بنا يستعطى الهدى وبنا يستجلى العمى. إن الأئمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم لا تصلح على سواهم، ولا تصلح الولاة من غيرهم.**[٣٤]

أما موقف عبد المطلب جد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله من غزوة أبرهة فيحتاج إلى وقفة تأمل في موقف صاحب هذا اليقين الراسخ الذي لم يلقي الكلام على عواهنه عندما قال لأبرهة **(إن للبيت ربا يحميه)** فهو رضوان الله عليه كان في موقف العارف الواثق الموقن بنصر الله لدينه وحفظ الله لأول **(بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين)**.

ولذا فنحن لا نرى غرابة ولا عجبا فيما رواه الكليني في الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **(يحشر عبد المطلب يوم القيامة أمة وحده عليه سيماء الأنبياء وهيبة الملوك)** فمثل هذا الموقف الذي وقفه عبد المطلب من عدو الله أبرهة خليق أن يرفعه إلى هذه المنزلة وما ذلك على الله بعزيز.

---

[٣٣] - نهج البلاغة ، رسالة ١٧.

[٣٤] - السابق ، خطبة ٤٤.

النبوة و الاصطفاء

يقول الإمام علي بن أبي طالب:واصطفى سبحانه من ولده أنبياء أخذ على الوحي ميثاقهم وعلى تبليغ الرسالة أمانتهم.[٣٥]

ويقول:اختاره من شجرة الا نبياء، ومشكاة الضياء، وذؤابة العلياء، وسرة البطحاء، ومصابيح الظلمة، وينابيع الحكمة.[٣٦]

وايضا:نحن شجرة النبوة، ومحط الرسالة، ومختلف الملائكة، ومعادن العلم، وينابيع الحكم، ناصرنا ومحبنا ينتظر الرحمة وعدونا ومبغضنا ينتظر السطوة.[٣٧]

وقوله: حتى بعث الله محمدا (صلى الله عليه وآله وسلم) شهيدا وبشيرا، ونذيرا، خير البرية طفلا، وأنجبها كهلا، أطهر المطهرين شيمة، وأجود المستمطرين ديمة.[٣٨]

والديمة هو المطر الذي لا رعد فيه ولا برق

معنى الاصطفاء:

يقول الراغب الأصفهاني في غريب القرآن: أصل الصفاء خلوص الشيء من الشوائب من الصفا للحجارة الصافية **{إن الصفا والمروة من شعائر الله}** والاصطفاء تناول صفو الشيء كما أن الاختيار تناول خيره والاجتباء تناول جبايته واصطفاء الله بعض عباده قد يكون بإيجاده تعالى إياه صافيا عن الشوب الموجود في غيره وقد يكون باختياره وبحكمه.

النبوة كما قدمها لنا الإمام في خطبه شجرة وذرية بعضها من بعض وأن لا شيء في هذا الكون يجري بمحض الصدفة **{وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون} القصص** ٦٨.

النبوة شجرة يجري الاصطفاء والانتقاء منها إذ ليس كل من التصق بهذه الشجرة صار مستحقا لهذا الاصطفاء كما أنه من البديهي أن ليس كل ثمار الشجرة الواحدة سواء

---

[٣٥] – نهج البلاغة ، الخطبة الاولى.

[٣٦] – السابق ، ١٠٧.

[٣٧] – السابق ، ١٠٨.

[٣٨] – السابق ، ١٠٧.

وهذا معنى **قول الإمام في وصف رسول الله صلى الله عليه وآله {اختاره من شجرة الأنبياء ومشكاة الضياء، وذؤابة العلياء، وسرة البطحاء، ومصابيح الظلمة، وينابيع الحكمة) أي أنه اختيار من اختيار واصطفاء من بين المصطفين الأبرار.**

وهذا أيضا **معنى قوله تعالى في سورة فاطر {ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير} (٣٢) وقوله تعالى في سورة الصافات {سلام على إبراهيم * كذلك نجزي لمحسنين * إنه من عبادنا المؤمنين * وبشرناه بإسحق نبيا من الصالحين * وباركنا عليه وعلى إسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين} (١٠٩- ١١٣).**

وربما أشكل البعض على قاعدة الاصطفاء بالقول أن أبا لهب كان عما لرسول الله والبعض الآخر يفتش عن الروايات الموضوعة زاعما أن أبوي الرسول الأكرم كانا من الكافرين ولا شك أن هذا المنحى يكشف عن خبايا تلك النفوس المريضة حتى لقد حدثني أحدهم عن رسالة (علمية وهابية) سعت لإثبات فرية كفر أبوي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو ما لا نستغرب منه حيث حفلت كتب القوم بالكثير من هذه الترهات ولا شك أن ما عرضناه سابقا عن تاريخ آباء الرسول وأجداده يثبت بما لا يدع مجالا للشك أنهم كانوا على الحنيفية الإبراهيمية وأنهم كانوا أبعد ما يكونون عن حالة الجاهلية السائدة في تلك الفترة.

يزيدنا الإمام علي بن أبي طالب إيضاحا لهذا الأمر عندما يقرر أن اختيار رسول الله ص لم يقتصر على كونه من شجرة الأنبياء فهو صلى الله عليه وآله أيضا من (**مشكاة الضياء وذؤابة العلياء وسرة البطحاء، ومصابيح الظلمة، وينابيع الحكمة).**

ولا شك أن هذا الاصطفاء الإلهي والترقي الإنساني في سلم المجد الرباني كان ولا زال نارا تحرق قلوب الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله **{أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينآ آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما * فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا } (٥٤- ٥٥) النساء, ولا شك أن نار الحقد والحسد تحرق صاحبها في الدنيا إلى أن تلحقه بنار جهنم ليخلد فيها مهانا.**

خطبة الإمام الصادق

° يروي الكليني في الكافي : عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام في خطبة له يذكر فيها حال النبي والأئمة عليهم السلام وصفاتهم: قال: فلم يمنع ربنا لحلمه وأناته وعطفه ما كان من عظيم جرمهم وقبيح أفعالهم أن انتجب لهم أحب أنبيائه إليه وأكرمهم عليه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله في حومة العز مولده وفي دومة الكرم محتده غير مشوب حسبه ولا ممزوج نسبه ولا مجهول عند أهل العلم صفته بشرت به الأنبياء في كتبها، ونطقت به العلماء بنعتها وتأملته الحكماء بوصفها مهذب لا يداني، هاشمي لا يوازى، أبطحي لا يسامي، شيمته الحياء وطبيعته السخاء، مجبول على أخلاق النبوة إلى أن انتهت به أسباب مقادير الله إلى أوقاتها وجرى بأمر الله القضاء فيه إلى نهايتها، أداه محتوم قضاء الله إلى غايتها، تبشر به كل أمة من بعدها ويدفعه كل أب إلى أب من ظهر إلى ظهر، لم يخلطه في عنصره سفاح ولم ينجسه في ولادته نكاح من لدن آدم إلى أبيه عبد الله في خير فرقة وأكرم سبط وأمنع رهط وأكلأ حمل وأودع حجر، اصطفاه الله وارتضاه واجتباه وآتاه من العلم مفاتيحه، ومن الحكم ينابيعه، ابتعثه رحمة للعباد وربيعا للبلاد، وأنزل الله إليه الكتاب فيه البيان والتبيان قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون، قد بينه للناس ونهجه بعلم قد فصله ودين قد أوضحه وفرائض قد أوجبها وحدود حدها للناس وبينها وأمور قد كشفها لخلقه وأعلنها فيها دلالة إلى النجاة ومعالم تدعو إلى هداه, فبلغ رسول الله صلى الله عليه وآله ما أرسل به وصدع بما أمر وأدى ما حمل من أثقال النبوة وصبر لربه وجاهد في سبيله ونصح لأمته ودعاهم إلى النجاة وحثهم على الذكر ودلهم على سبيل الهدى بمناهج ودواع أسس للعباد أساسها ومنار رفع لهم أعلامها كيلا يضلوا من بعده وكان بهم رؤوفا رحيما.[٣٩]

كما يروي أيضا : عن أبي عبد الله عليه السلام قال: نزل جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويقول إني قد حرمت النار على صلب أنزلك وبطن حملك وحجر كفلك فالصلب صلب أبيك عبد الله بن عبد المطلب والبطن الذي حملك فآمنة بنت وهب وأما حجر كفلك فحجر أبي طالب. وفي رواية ابن فضال وفاطمة بنت أسد.

[٣٩] - الكليني، مرجع سابق ، ١/٤٤٤

وعنه أيضا قال: يحشر عبد المطلب يوم القيامة أمة واحدة عليه سيماء الأنبياء وهيبة الملوك.[٤٠]

الاصطفاء يؤهل ذرية الأنبياء لحمل الرسالة والملك والحكمة وهذا معنى قوله تعالى في سورة النساء {**أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا } النساء ٥٤.**

أما في سورة الأنعام فيقول سبحانه {**ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم* ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعلمون* أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين* أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسألكم عليه أجرا إن هو إلا ذكرى للعالمين} الأنعام ٨٧-٩٠.**

الآية تنبهنا إلى أن الاصطفاء ليس محصورا فيمن وردت أسماؤهم وحسب بل تقول (**ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم**) وهي نظير **قوله تعالى {ذرية بعضها من بعض}** والمعنى أن حمل الكتاب والحكم والحكمة والنبوة ليست بالمهام التي يمكن لأي عابر سبيل أن يضطلع بها ومن باب أولى ليست من المهام التي يمكن للأمة أن تختار من يصلح للقيام بها فالآيات تسند هذا العمل لله رب العالمين (**اجتبيناهم, هديناهم, إن الله اصطفى) وهكذا يمكننا أن نلخص قاعدة الاصطفاء فيما يلي:**

١- أن الله تبارك و تعالى هو الذي يصطفي وليس البشر أو الظروف والملابسات.
٢- أن دائرة الاصطفاء معلومة ومقررة ومعلنة للناس أجمعين منذ بدء إرسال الرسل والأنبياء وليس فيها سرية ولا لبس ولا اشتباه كما أنها ليست على المشاع لعموم النسل إنها محصورة في الذرية والآل (**ذرية بعضها من بعض}.**
٣- أن الواردة أسماؤهم في كتاب الله عز وجل من الأنبياء والمرسلين هم عناوين رئيسية وليسوا كل من اصطفاهم الله عز وجل.
٤- أن هذا الاصطفاء هو المؤهل الأول الذي يؤهل الذرية والآل لحمل الكتاب والنبوة والحكمة والإمامة كل حسب الدور الموكل إليه من الله عز وجل.

---

[٤٠] - **الكليني ، مرجع سابق ، ١/٤٤٧.**

٥- أن هذا الاصطفاء ليس اختيارا عشوائيا بل هي تدبير إلهي محكم يصنع فيه النبي أو الرسول أو الإمام على عين الله ويهيأ لأداء مهمته الربانية في الزمان والمكان الذين تختارهما العناية الإلهية ومن هنا فلا مجال للصدفة في هذا التقدير سواء فيما يتعلق بالأب أو بالأم التي لا بد من مطابقتها للمواصفات الرسالية المقررة والموضوعة بدقة وعناية من لدن حكيم عليم وهنا تبرز الأهمية المطلقة لدور الأم {واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام} ذلك الرحم أو التربة التي ينمو فيها الجنين تسعة أشهر {والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون} الأعراف ٥٨.

دوائر الاصطفاء:

يقول تعالى {ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير} فاطر ٣٢.

ويقول سبحانه **{ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون} الحديد ٣٦.**

إذا فهناك دائرة محدودة يجري فيها تداول النبوة والكتاب والمهام الإلهية الجسام أي أن هناك اصطفاء واختيار داخل دائرة الاصطفاء الأصلية وإلا صار أبناء الأنبياء كلهم رسلا أو أنبياء.

الرسالات السماوية و الاصطفاء:

تسليم و تسلم.

يعرف الجميع أن أي نبي من الأنبياء لا بد أن يضع رسالته في أيد أمينة قبل أن يرحل عن هذه الدنيا وأن هذه المهمة مهمة التسليم والتسلم لا بد أن تتم قبل رحيل هذا النبي وإذا كان البشر العاديون يحسون بدنو الأجل ويوصون إلى أبنائهم بما ينبغي عليهم القيام به في أموالهم فما بالك بأهل الله الذين اصطفاهم واختارهم لهداية العالمين ولم يفارقهم بتسديده وإرشاده لهم طرفة عين حتى وهم في النار كنبي الله إبراهيم عليه السلام وهاهو خليل الله إبراهيم بعد أن أتم الله عليه النعمة وبلغ مرحلة الكمال في المعية الإلهية يخاطبه ربه **{وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين* وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام**

إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين و العاكفين والركع السجود* وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم اضطره إلى عذاب النار وبئس المصير* وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم* ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا إنك أنت التواب الرحيم* ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة إنك أنت العزيز الحكيم* ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين} البقرة ١٢٤-١٣٠.

إنه الاهتمام بشأن الأمة على يد الأنبياء و الأئمة {ربنا وابعث فيهم رسولا من أنفسهم} كما أنه الاهتمام بتطهير الأرض والمكان لعبادة الرحمن **{طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود... رب اجعل هذا البلد آمنا وارزق أهله من الثمرات}** إلا أن هذا كله يجري بواسطة إبراهيم وابنه إسماعيل الذي بدأ رحلة حمل الأمانة وهو ما زال في كنف أبيه نبي الله إبراهيم وأكرم بهما من والد وولد إلا أن كل هذا يجري في إطار منظومة الاصطفاء الإلهي فقبل أن ينزل الموت بإبراهيم يوصي ابنه إسماعيل بحمل أمانة النبوة والرسالة ومترتباتها من حفظ الأمة وحفظ البلاد ورعاية العباد بتعليمهم مناسكهم وقواعد دينهم وكيفية إقامة شعائرهم وإعداد بيت الله الحرام ليكون ملاذا للعابدين والعاكفين والركع السجود **{ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون* أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحدا ونحن له مسلمون} البقرة ١٣٣-١٣٤.**

الاصطفاء ليس نوعا من التدليل

ابتليت البشرية بهذا الصنف الرديء من المجادلين الذين لا يرون في المسئولية إلا التشريف والاستعلاء على الخلق بينما يقول لنا القرآن الكريم غير هذا تماما وهو أن الاصطفاء مكانة يتلوها مكانة وأن هذه وتلك لا تتحقق إلا باجتياز سلسلة من الاختبارات والابتلاءات التي لا يطيقها و لا يقدر على اجتيازها إلا المصطفون الأخيار.

الاصطفاء في سورة الصافات

خذ عندك ذلك النموذج العجيب من سورة الصافات التي تحكي قصة إبراهيم عليه السلام **{وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين* رب هب لي من الصالحين* فبشرناه بغلام حليم* فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين* فلما أسلما وتله للجبين* وناديناه أن يا إبراهيم* قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين* إن هذا لهو البلاء المبين* وفديناه بذبح عظيم* وتركنا عليه في الآخرين* سلام على إبراهيم* كذلك نجزي المحسنين* إنه من عبادنا المؤمنين* وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين* وباركنا عليه وعلى إسحاق ومن ذريتهما محسن و ظالم لنفسه مبين} الصافات ١٠٢-١١٣.**

إنها قمة الامتثال للأمر الإلهي ولو كان أمرا بذبح الولد العزيز الغالي الذي جاء إلى الدنيا بعد طول ترقب وانتظار وتوسل إلى الله ورجاء فكانت عاقبة النجاح في هذا الاختبار مزيدا من المكانة والرفعة بل وامتداد الاصطفاء في العقب والذرية والآل **{وتركنا عليه في الآخرين} مكافأة له على اجتيازه اختبار البلاء المبين.**

ثم يتكرر نفس السياق مع آل محمد حينما يقول تبارك وتعالى **{سلام على آل ياسين* إنا كذلك نجزي المحسنين} ١٣٠-١٣١.**

ثم يتوجه الخطاب القرآني لمعاندي الاختيار والاصطفاء الإلهي العادلين اختيارهم باختيار الله عالم السر وأخفى المعرضين عن طاعة أولياء الله **{ما لكم كيف تحكمون* أفلا تذكرون*** أم **لكم سلطان مبين* فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين} ١٥٤-١٥٦ (سبحان الله عما يصفون* إلا عباد الله المخلصين* فإنكم وما تعبدون* ما أنتم عليه بفاتنين* إلا من هو صال الجحيم* وما منا إلا له مقام معلوم* وإنا لنحن الصافون* وإنا لنحن المسبحون* وإن كانوا ليقولون* لو أن عندنا ذكرا من الأولين* لكنا عباد الله المخلصين* فكفروا به فسوف يعلمون* ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين* إنهم لهم المنصورون* وإن جندنا لهم الغالبون} ١٥٩- ١٧٣.**

عباد الله المخلصين هم حججه على عباده وأمناؤه في بلاده الذين اصطفاهم الله وهم من جاء على لسانهم **(وإنا لنحن الصافون)** أي أننا نحن الصافون أقدامهم لعبادة الله المصطفون من دون العالمين على علم إلهي سبق خلق الأكوان وجعل لكل منا مقاما معلوما.

روى القمي في تفسير سورة الصافات قال: حدثنا محمد بن جعفر قال حدثنا عبد الله ابن محمد بن خالد عن العباس بن عامر عن الربيع بن محمد عن يحيى بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال سمعته يقول (وما منا إلا له مقام معلوم) قال نزلت في

الأئمة والأوصياء من آل محمد (ع) وحدثنا احمد بن محمد الشيباني قال حدثنا محمد بن احمد بن بويه قال حدثنا محمد ابن سليمان قال حدثنا احمد بن محمد الشيباني قال حدثنا عبد الله بن محمد التفليسي عن الحسن بن محبوب عن صالح بن رزين عن شهاب بن عبد ربه قال سمعت الصادق عليه السلام يقول: يا شهاب نحن شجرة النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة ونحن عهد الله وذمته ونحن ودائع الله وحجته كنا أنوارا صفوفا حول العرش نسبح فيسبح أهل السماء بتسبيحنا إلى أن هبطنا إلى الأرض فسبحنا فسبح أهل الأرض بتسبيحنا, وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون فمن وفى بذمتنا فقد وفى بعهد الله عز وجل وذمته ومن خفر ذمتنا فقد خفر ذمة الله عز وجل وعهده .[41]

وتعطينا سورة الأنبياء وجها آخر من وجوه الاصطفاء الإلهي {وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون* لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون* يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون* ومن يقل منهم إني إله من دوني فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين} الأنبياء٢٦-٢٩ {قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون} النمل ٥٩.

وتحكي سورة الأنبياء أيضا عن الاصطفاء الإبراهيمي {ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين* وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين} الأنبياء ٧٢-٧٣، ولا شك أن هذه المنزلة التي بلغها إبراهيم وآل إبراهيم جاءت بسبب نجاحهم في اختبار الاصطفاء الإلهي وهو عين ما حدث مع أولياء الله الصالحين من قوم موسى عليه السلام الذين ابتلاهم الله فصبروا وتحملوا وصمدوا {ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه وجعلناه هدى لبني إسرائيل* وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون} السجدة ٣٣-٣٤.

بنو هاشم الممهدون للنبوة

يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في وصف النبي:ابتعثه بالنور المضيء، والبرهان الجلي، والمنهاج البادي، والكتاب الهادي.أسرته خير أسرة، وشجرته خير شجرة، أغصانها معتدلة، وثمارها متهدلة.مولده بمكة، وهجرته بطيبة، علا بها ذكره، وامتد منها صوته. رسله بحجة كافية، وموعظة شافية، ودعوة متلافية. أظهر به الشرائع المجهولة، وقمع به البدع المدخولة، وبين به الأحكام المفصولة.فـ(من يبتغ غير الإسلام دينا) تتحقق شقوته، وتنفصم عروته، وتعظم كبوته، ويكن مآبه إلى الحزن الطويل والعذاب الوبيل, وأتوكل على الله توكل الإنابة إليه، وأسترشده السبيل المؤدية إلى جنته، القاصدة إلى محل رغبته.[42]

---

[41] - على ابن ابراهيم القمى ، مرجع سابق ، ٢/٢٢٧.

[42] - نهج البلاغ، خطبة ١٦١.

كما يقول سلام الله عليه في رسالته لمعاوية:

فأراد قومنا قتل نبينا، واجتياح أصلنا، وهموا بنا الهموم، وفعلوا بنا الا فاعيل، ومنعونا العذب، وأحلسونا الخوف، واضطرونا إلى جبل وعر، وأوقدوا لنا نار الحرب، فعزم الله لنا على الذب عن حوزته، والرمي من وراء حرمته. مؤمننا يبغي بذلك الأجر، وكافرنا يحامي عن الأصل، ومن أسلم من قريش خلو مما نحن فيه بحلف يمنعه، أو عشيرة تقوم دونه، فهو من القتل بمكان أمن. وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذا احمر البأس، وأحجم الناس، قدم أهل بيته فوقى بهم أصحابه حر السيوف والأسنة، فقتل عبيدة بن الحارث يوم بدر، وقتل حمزة يوم أحد، وقتل جعفر يوم مؤتة، وأراد من لو شئت ذكرت اسمه مثل الذي أرادوا من الشهادة، ولكن آجالهم عجلت،منيته أجلت.فيا عجبا للدهر! إذ صرت يقرن بي من لم يسع بقدمي، ولم تكن له كسابقتي التي لا يدلي أحد بمثلها، إلا أن يدعي مدع ما لا أعرفه ولا أظن الله يعرفه والحمد لله على كل حال.

وأما ما سألت من دفع قتلة عثمان إليك، فإني نظرت في هذا الأمر، فلم أره يسعني دفعهم إليك ولا إلى غيرك ولعمري لئن لم تنزع عن غيك وشقاقك لتعرفنهم عن قليل يطلبونك، لا يكلفونك طلبهم في بر ولا بحر، ولا جبلا ولا سهل، إلا أنه طلب يسوءك وجدانه، وزور لا يسرك لقيانه، والسلام لأهله.[43]

كما يقول عليه السلام في رسالة أخرى: وأما طلبك إلي الشام، فإني لم أكن لأعطيك اليوم ما منعتك أمس.

وأما قولك: إن الحرب قد أكلت العرب إلا حشاشات أنفس بقيت، فمن أكله الحق فإلى الجنة، ومن أكله الباطل فإلى النار.

وأما استواؤنا في الحرب والرجال، فلست بأمضى على الشك مني على اليقين، وليس أهل الشام بأحرص على الدنيا من أهل العراق على الآخرة.

وأما قولك: إنا بنو عبد مناف فكذلك نحن، ولكن ليس أمية كهاشم ولا حرب كعبد المطلب، ولا أبو سفيان كأبي طالب، ولا المهاجر كالطليق، ولا الصريح كاللصيق ولا المحق كالمبطل، ولا المؤمن كالمدغل، ولبئس الخلف خلف يتبع سلفا هوى في نار جهنم.

وفي أيدينا بعد فضل النبوة التي أذللنا بها العزيز، ونعشنا بها الذليل.

ولما أدخل الله العرب في دينه أفواجا وأسلمت له هذه الأمة طوعا وكرها، كنتم ممن دخل في الدين إما رغبة وإما رهبة، على حين فاز أهل السبق بسبقهم وذهب المهاجرون الأولون بفضلهم.

فلا تجعلن للشيطان فيك نصيبا، ولا على نفسك سبيلا والسلام.[44]

---

[43] – السابق ، رسالة رقم ٩.

[44] – السابق ، رسالة رقم ١٧.

إسلام أبي طالب

تصحيح الموازين أم قلبها؟؟

خلافا للحرب الكلامية الدائرة حول مكانة أهل بيت النبوة من ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وإمامتهم للدين فإن هذه الكلمات العلوية تنبه إلى وجه آخر من وجوه المعركة التي ما تزال دائرة بين فريقين يتواجهان الآن داخل دائرة الانتماء للإسلام في معركة خلط المفاهيم ومزج الحق بالباطل تارة وإعلاء كلمة الباطل ورموزه على كلمة الحق ورموزه.

ورغم أن أميَّةُ لم يكن يوما (**كَهَاشِمَ وَلاَ حَرْبٌ كَعَبْدِ الْمُطَّلِب وَلا أَبُو سُفْيَانَ كَأَبي طَالب وَلاَ المُهَاجِرُ كَالطَّلِيق وَلاَ الصَّرِيحُ كَاللَّصِيق وَلاَ الْمُحِقُّ كَالْمُبطِلِ وَلاَ الْمُؤْمِنُ كَالمُدْغِلِ**) إلا أن جمهورنا المنتسب للإسلام ما زال عاجزا عن التمييز بين هؤلاء بل ويرى أن الكل سواء وأن الأسود كالأبيض بل ويرى الأبيض أسود والأسود أبيض والمجرم المنافق مؤمنا ويرى أبا طالب رأس المدافعين عن عقيدة التوحيد كافرا أبى أن ينطق بكلمة التوحيد خوفا على نفسه من مسبة قومه كما يزعمون ويرى في نفس الوقت أن أبا سفيان بن حرب عدو الله وعدو رسوله قد أسلم وحسن إسلامه بل وصار سيدنا أبو سفيان!!.

لماذا يصر القوم على إثبات كفر أبي طالب عم رسول الله صلى الله عليه وآله وكافله والمدافع عنه وعن الإسلام والذي لولا تضحيته وجهاده ما رفعت للإسلام راية وما قامت له قائمة وتضمينها في المقررات الدراسية وتكريسها في إطار المبادئ الأساسية التي يتعلمها الأبناء وربما يجد فيها أي مفكر لولبي دليلا على المساواة في الإسلام أو على أي شيء في الإسلام!!.

المسألة من وجهة نظرنا أبعد بكثير من كونها دفاعا عن شخصية فذة لعبت الدور الأكبر بعد النبي محمد صلى الله عليه وآله في إيصال كلمة التوحيد إلى الدنيا بأسرها بل هو موقف يتعين علينا وقوفه في مواجهة اغتيال العقل والضمير الإسلامي الذي نشأ وتربى على تلك الأهازيج والمدائح التي تهدف أول ما تهدف إلى تشكيل عقل وضمير إسلامي هجين أشبه ما يكون بقطعة من العجين التي يمكن تشكيلها وفقا لرغبة وأهواء الإعلام الأموي المتسلط على عقول المسلمين من يومها إلى يومنا هذا ولكن أبدا ليس إلى يوم الدين.

إنه عقل وضمير لا يميز بين أي ممن ذكرهم الإمام سابقا ولا بين أي من أطـراف تلك المعركة الدائرة إلى يومنا هذا حول حقيقة الإسلام وكيـف يمكـن تجسـيد مفاهيمـه الأخلاقية الرسالية تجسيدا صحيحا.

إنه عقل وضمير لا يختلف كثيرا عن ضمير بني إسرائيل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها فأصبحوا هم وحميرهم سواء بسواء.

تخيل أن رواية واحدة يرويها البخاري عن نزول الوحي أو عن موت أبي طـالب رضوان الله عليه تحولت لتصبح مسلمة تاريخية بديهية لا تقل قوة عـن مسـلمة طلـوع الشمس من المشرق وغروبها في المغرب بل وأصبحت عقيدة دينية مـن ثوابـت الأمـة الإسلامية ويعد التشكيك فيها جريمة تمس أمن الدولة!!.

يقول ابن الجوزي في المنتظم: توفي أبو طالب للنصف من شوال في السنة العاشرة للنبوة وهو ابن بضع وثمانين سنة[1].

رواية الإعلام السفياني

ولما مرض أبو طالب دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فعـرض عليـه الإسلام حيث يروي ابن الجوزي في المنتظم: عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبيـه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده عبـد الله بن أبي أمية وأبا جهل بن هشام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **" يا عـم قل: لا إلـه إلا اللّهُ كَلِمَةً أشْهَدُ لكَ بِهَا عِنْدَ اللّه" فقال له أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طـالب أترغب عن ملّة عبد المطّلب قال: فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليـه ويقول: " يَا عَم قُلْ: لا إِلَهَ إلا اللّه أشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ الله "ويقولان له: يا أبا طالب أترغـب عن ملة عبد المطلب حتى قال آخر كلمة تكلّم بها: أنا على ملة عبد المطلب ثم مات فقـال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم لأسْتَغْفِرَن لك ما لَمْ أنْهَ عنك " فاستغفر لـه رسـول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته حتى نزلت هذه الآية{ مَا كانَ لِلنَّبِـيِّ وَالَّذِيـن آمنُـواْ أن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُولِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيـم ***

---

[1]- ابن الجوزى ، مرجع سابق ، ٨-١٠/٣.

وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ التوبة} (١١٣- ١١٤) .

قال محمد بن عمر: وحدثني محمد عبد الله بن أخي الزهري عن أبيه عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعير العُذريّ آلا قال: قال أبو طالب: يا ابن أخي والله لولا رَهْبة أن تقول قريش: وهرني الجَزَع فتكون سبة عليك وعلى بني أبيك لفعلت الذي تقول وأقررتُ عينك لما أرى من شكرك ووجْدك ونصيحتك لي ثم إن أبا طالب دعا بني عبد المطلب فقال: لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد أو ما اتبعتم أمره فاتبعوه وأعينوه تَرْشُدوا فقال أبو طالب: أما إنك لو سألتني الكلمة وأنا صحيح لتابعتُك على الذي تقول ولكني أكره أن أجزع عند الموت فترى قريش أني أخذتُها جَزَعًا ورددتُها في صحتي قال وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر له أيامًا ولا يخرج من بيته حتى نزل عليه جبريل عليه السلام بهذه الآية[٢]!!.

الروايات التي تحدثت عن موت أبي طالب عليه رضوان الله فيها ما الكثير من الخلل والاضطراب ويكفي أن يكون الراوي مجهولا فهو تارة (سعيد بن المسيب عن أبيه) وتارة أخرى أبي هريرة الذي أسلم يوم فتح خيبر بعد هذه الواقعة بزمان, إلا أن الأخطر من كل هذا أن (المؤلف) الذي التقط الآية وركب عليها حديثا عن رسول الله وإن شئت أن تكون أكثر دقة قلت (على) رسول الله, فاته أن المسلمين وإن اختلفوا حول (كفر أبي طالب) من عدمه لم يختلفوا على أنه كان الناصر الأول لرسول الله ولدين الله فكيف يمكننا أن نصدق أن رسول الله تبين له بعد كل هذا الزمان أنه (عدو لله) فتبرأ منه؟؟!!!.

ما هو وجه المقارنة بين أبي إبراهيم وأبي طالب عليه رضوان الله ورحمته؟؟.

التاريخ المتواتر والمؤكد الذي رواه الجميع يثبت دور أبي طالب البطولي في الذب عن رسول الله وعن دعوته عكس ما فعله أبو إبراهيم وهو ما ذكره القرآن في سورة مريم:**{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ***

[٢]- ابن الجوزى ،نفس المصدر ، ٨-٣/١٠.

يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَن فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا * قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْراهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا * قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا * وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاء رَبِّي شَقِيًّا } مريم (٤١-٤٨)

أي أن أبا إبراهيم قام بطرده ولم يؤازره ولم ينصره بل وهدده بالرجم والقتل ومع ذلك قال له إبراهيم ع سأستغفر لك ربي فهل كان هذا هو موقف أبي طالب رضوان الله عليه؟؟.

الجواب معلوم.. فقد كان أبو إبراهيم عدوا لله وكان أبو طالب ناصرا لأولياء الله ولرسول الله فما هو وجه المقارنة أو المقاربة بين الحالين؟؟.

بعض المواقف الرسالية الصلبة لأبي طالب.

خطبة أبي طالب في تزويج محمد من خديجة

ألم يكن ابن الجوزي نفسه هو من روى خطبة أبي طالب في تزويج محمد صلى الله عليه وآله من خديجة بنت خويلد التي قال فيها: الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل وضئضيء معد وعنصر مُضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتًا محجوبًا وحرمًا آمنًا وجعلنا الحكام على الناس، ثم إن ابن أخي هذا محمد بن عبد اللّه لا يوزن به رجل إلا رجح به وإن كان في المال قل فإن المال ظل زائل وأمرٌ حائل ومحمد من قد عرفتم قرابته وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما آجله وعاجله من مالي وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل.

فما هو يا ترى هذا الشأن الخطير الذي كان أبو طالب يعرفه ويتوقعه بل وينتظره؟؟ أليس هو النبوة؟!.

مواقف أبي طالب دفاعا عن الإسلام

يروي ابن هشام في سيرته نقلا عن ابن إسحاق :

فلما بادى رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه بالإسلام وصدع به كما أمره الله لم يبعد منه قومه ولم يردوا عليه حتى ذكر آلهتهم وعابها فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه

وأجمعوا خلافه وعداوته إلا من عصم الله تعالى منهم بالإسلام وهم قليل مستخفون وحدب على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه أبو طالب ومنعه وقام دونه ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر الله مظهرا لأمره لا يرده عنه شيء.

فلما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعتبهم من شيء أنكروه عليه من فراقهم وعيب آلهتهم ورأوا أن عمه أبا طالب قد حدب عليه وقام دونه فلم يسلمه لهم مشى رجال من أشراف قريش إلى أبي طالب فقالوا يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا وسفه أحلامنا وضلل آباءنا فإما أن تكفه عنا وإما أن تخلي بيننا وبينه فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه فنكفيكه فقال لهم أبو طالب قولا رفيقا وردهم ردا جميلا فانصرفوا عنه.

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما هو عليه يظهر دين الله ويدعو إليه ثم شرى الأمر بينه وبينهم حتى تباعد الرجال وتضاغنوا وأكثرت قريش ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها فتذمروا منه وحض بعضهم بعضا عليه.

ثم إنهم مشوا إلى أبي طالب مرة أخرى فقالوا له: يا أبا طالب إن لك سنا وشرفا ومنزلة فينا وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آباءنا وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين ثم انصرفوا عنه فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم ولم يطب نفسا بإسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ولا خذلانه.

وذكر ابن إسحاق أن قريشا حين قالوا لأبي طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: يا ابن أخي إن قومك قد جاءوني فقالوا لي كذا وكذا للذي كانوا قالوا له فأبق علي وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد بدا لعمه أن يخذله ويسلمه وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه فقال: فقال يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني و القمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكى فلما ولى ناداه أبو طالب فقال أقبل يا ابن أخي فقال: اذهب يا بن أخي فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشيء أبدا.

قال ابن إسحاق: ثم إن قريشا حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله صلى الله عليه وسلم وإسلامه، وإجماعه لفراقهم في ذلك وعداوتهم، مشوا إليه بعُمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له: يا أبا طالب، هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى في قريش وأجمله فخذه فلك عقله ونصره واتخذه ولدا فهو لك وأسلم إلينا ابن أخيك هذا الذي قد خالف دينك ودين آبائك وفرق جماعة قومك وسفه أحلامهم فنقتله, فإنما هو رجل برجل فقال والله لبئس ما تسومونني! أتعطونني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه! هذا والله ما لا يكون أبدا.
فقال المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي: و الله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك وجهدوا على التخلص مما تكرهه فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئا فقال أبو طالب للمطعم والله ما أنصفوني، ولكنك قد أجمعت خذلاني ومظاهرة القوم علي فاصنع ما بدا لك فحميت الحرب وتنابذ القوم وبادى بعضهم بعضا بالعداء.[3]

شعر أبي طالب في التعريض بمن خذله من عبد مناف

فقال أبو طالب عند ذلك يعرض بالمطعم بن عدي ويُعم من خذله من بني عبد مناف ومن عاداه من قبائل قريش:

ألا قل لعمرو والوليد ومطعم * ألا ليت حظي من حياطتكم بكْرُ
من الخور حبحاب كثير رُغاؤه * يُرش على الساقين من بوله قطر
تخلف خلف الورد ليس بلاحق * إذا ما علا الفيفاء قيل له وبر
أرى أخوينا من أبينا وأمنا * إذا سئلا قالا إلى غيرنا الأمر
بلى لهما أمر ولكن تجرجرتما * كما جُرجرت من رأس ذي علق الصخر
أخص خصوصا عبد شمس ونوفلا * هما نبذانا مثل ما يُنبذ الجمر
هما أغمزا للقوم في أخويهما * فقد أصبحا منهم أكفهما صِفْرُ
هما أشركا في المجد من لا أبا له * من الناس إلا أن يُرس له ذكر[4]
وتيم ومخزوم وزهرة منهمُ * وكانوا لنا مولى إذا بُغي النصر
فوالله لا تنفك منا عداوة * ولا منهمُ ما كان من نسلنا شفر
فقد سفهت أحلامهم وعقولهم * وكانوا كجفر بئس ما صنعت جفر

[3] – السيرة لابن هشام ، ١٦٣– ١/١٦٥، تحقيق الشيخ / محمد بيومى ،القاهرة ، ١٩٩٥. بتصرف واختصار.
[4] – ابن هشام ، السابق ، ١/١٦٦.

قال ابن إسحاق: ثم إن قريشا تآمروا بينهم على من في القبائل منهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين أسلموا معه فوثبت كل قبيلة على من فيهم من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم ومنع الله رسوله صلى الله عليه وسلم منهم بعمه أبي طالب وقد قام أبو طالب حين رأى قريشا يصنعون ما يصنعون في بني هاشم وبني المطلب فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله صلى الله عليه وسلم والقيام دونه فاجتمعوا إليه وقاموا معه وأجابوه إلى ما دعاهم إليه إلا ما كان من أبي لهب عدو الله الملعون .[5]

شعر أبي طالب في مدح قومه لنصرته

فلما رأى أبو طالب من قومه ما سره في جهدهم معه وحدبهم عليه جعل يمدحهم ويذكر قديمهم ويذكر فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ومكانه منهم ليشد أزرهم وليحدبوا معه على أمره فقال:

إذا اجتمعت يوما قريش لمفخر * فعبد مناف سرها وصميمها

وإن حُصّلت أشراف عبد منافها * ففي هاشم أشرافها وقديمها

وإن فخرت يوما فإن محمدا * هو المصطفى من سرها وكريمها

تداعت قريش غثها وسمينها * علينا فلم تظفر وطاشت حلومها

وكنا قديما لا نقر ظُلامة إذا * ما ثنوا صُعْر الخدود نُقيمها

ونحمي حماها كل يوم كريهة * ونضرب عن أحجارها من يرومها

بنا انتعش العود الذَّوَاء وإنما * بأكنافنا تندى وتنمى أرومها[6]

فلما خشي أبو طالب دهماء العرب أن يركبوه مع قومه قال قصيدته التي تعوذ فيها بحرم مكة وبمكانه منها وتودد فيها أشراف قومه وهو على ذلك يخبرهم وغيرهم في ذلك من شعره أنه غير مسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تاركه لشيء أبدا حتى يهلك دونه **فقال:**

ولما رأيت القوم لا ود فيهمُ * وقد قطعوا كل العرى والوسائل

وقد صارحونا بالعداوة والأذى * وقد طاوعوا أمر العدو المزايل

---

[5] - ابن هشام ، السابق ، ١/١٦٦ . بتصرف واختصار .

[6] - ابن هشام ، السابق ، ١/١٦٧.

وقد حالفوا قوما علينا أظنّــــــــة * يعضون غيظا خلفنا بالأنامــــــــل

صبرت لهم نفسي بسمراء سمحــــــة * وأبيض عضب من تراث المقـــاول

وأحضرت عند البيت رهطي وإخوتــي * وأمسكت من أثوابه بالوصائــــــل

قياما معـــا مستقبلين رتاجـــــــه * لدي حيث يقضي حلفه كل نافـــل

وحيث يُنيــــــخ الأشعرون ركابهم * بمفضَى السيول من إساف ونائــل

موسمـــــةً الأعضـــاد أو قصراتها * مخيَّســـة بين السَّديس وبـــــازل

ترى الودع فيها والرخام وزينـــــة * بأعناقهـــا معقودة كالعثاكــــــل

أعوذ برب الناس من كل طاعـــــن * علينا بســوء أو مُلحّ بباطــــــل

ومن كاشح يسعى لنا بمعيبــــــة * ومن ملحــق في الدين ما لم نحـــاول

وثور ومن أرسى ثبيـــرا مكانـــه * وراق ليرقـــى في حراء ونــــازل

وبالبيت حق البيت من بطن مكـــة * وبالله إن الله ليـــس بغافـــــل

وبالحجـــــر المسودّ إذ يمسحونــه * إذا اكتنفوه بالضحــــى والأصائــل

وموطئ إبراهيــم فـــي الصخر رطبة * على قدميه حافيا غير ناعــــــل

وأشواط بين المروتين إلـــى الصفـا * وما فيهما من صورة وتماثـــــل

ومن حج بيت الله من كل راكـــــب * ومن كل ذي نذر ومن كل راجـــل

وبالمشعر الأقصى إذا عمدوا لـــــه * إلالٌ إلى مُفضَى الشراج القوابـــل

وتوقافهم فوق الجبـــال عشيـــــة * يقيمون بالأيدي صدور الرواحــــل

وليلـــــة جمـــع والمنـــازل من منى * وهل فوقها من حرمـــة ومنــــازل

وجمـــع إذا مـــا المقربـــات أجزنـــه * سراعا كما يخرجن من وقع وابـــل

وبالجمرة الكبـــرى إذا صمـــدوا لهـــا * يؤمون قذفا رأسها بالجنــــــادل

وكنـــدة إذ هم بالحصاب عشيــــــة * تجيز بهم حُجَّاج بكر بن وائـــــل

حليفـــان شدا عقـــد ما احتلفا لـــه * وردًا عليه عاطفات الوسائـــــل

وحطمهـــمْ سمْر الصفـــاح وسرحه * وشبرقة وَخْدَ النعام الجوافــــل

فهل بعد هذا من مـــعاذ لعائـــــذ * وهل مـــن معيذ يتقى الله عـــاذل

يُطاع بنا أمر العدّى وودّوا لو أننـــا * تُســــد بنـــا أبواب تـــرك وكابـــل

كذبتـــــم وبيت الله نترك مكـــــة * ونظعـــن إلا أمركـــم في بلابـــل

كذبتم وبيت الله نُبزَى محمدا * ولما نطاعن دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله * و نذهل عن أبنائنا والحلائل
وينهض قوم في الحديد إليكمُ * نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل
وحتى ترى ذا الضغن يركب * رَدْعه من الطعن فعل الأنكب المتحامل
وإنا لعمر الله إنْ جدٌ ما أرى * لَتلتبسنْ أسيافنا بالأماثل
بكفَّيْ فتى مثل الشهاب سميدع * أخي ثقة حامي الحقيقة باسل
شهورا وأياما وحولا مجَرّما * علينا وتأتي حِجة بعد قابل
وما ترك قوم ، لا أبا لك ، سيدا * يحوط الذمار غير درب مواكل
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للأرامل
يلوذ به الهُلاّك من آل هاشم * فهم عنده في رحمة وفواضل
لعمري لقد أجرى أسيد وبكره * إلى بغضنا وجزّآنا لآكل
وعثمان لم يربع علينا وقنفذ * ولكن أطاعا أمر تلك القبائل
أطاعا أُبيّا وابن عبد يغوثهم * ولم يرقبا فينا مقالة قائل
كما قد لقينا من سُبيع ونوفل * وكلٌ تولى معرضا لم يجُامل
فإن يُلْقيا أو يمْكن الله منهما * نكلْ لهما صاعا بصاع المُكايل
وذاك أبو عمرو أبي غير بُغضنا * ليُظعننا في أهل شاء وجامل
يناجي بنا في كل ممسى ومصبح * فناج أبا عمرو بنا ثم خاتل
ويُوْلى لنا بالله ما إن يغشُنا * بلى قد نراه جهرة غير حائل
أضاق عليه بغضنا كل تلعة * من الأرض بين أخشب فمجادل
وسائلْ أبا الوليد ماذا حبوتنا * بسعيك فينا معرضا كالمخاتل
وكنت امرأ ممن يُعاش برأيه * ورحمته فينا ولست بجاهل
فعتبة لا تسمع بنا قول كاشح * حسود كذوب مبغض ذي دغاول
ومر أبو سفيان عني معرضا * كما مر قَيْلٌ من عظام المقاول
يفر إلى نجد وبرد مياهه * ويزعم أني لست عنكم بغافل
ويخبرنا فعل المناصح أنه * شفيق ويخفي عارمات الدواخل
أمطعمُ لم أخذلك في يوم نجدة * ولا معظم عند الأمور الجلائل

ولا يوم خصـــم إذا أتــوك ألــدّة * أولــي جدل من الخصوم المساجــل
أمطعم إن القوم ساموك خطــة * وإنـــي متى أوكلْ فلست بوائــل
جزى الله عنا عبد شمس ونوفــلا * عقوبة شـر عاجلا غير آجــل
بميزان قسط لا يخُسّ شعيــرة * لـه شاهـد من نفسه غير عائــل
لقد سفهت أحلام قوم تبدلــوا * بنـي خلـف قيضا بنـا والغياطـل
ونحن الصميم من ذؤابة هاشـم * وآل قصـي فـي الخطوب الأوائــل
وسهم ومخـزوم تمالوا وألّبــوا * علينـا العـدا من كل طمل وخامـل
فعبد منــاف أنتم خير قومكــم * فـلا تشركـوا في أمركم كل واغـل
لعمـري لقـد وهنتمُ وعجزتــمُ * وجئتـم بأمـر مخطيء للمفاصـل
وكنتم حديثا حطب قدر وأنتـم الّآن * حطـاب أقـدْر ومراجــل
ليهنيء بني عبد مناف عقوقنـا * وخذلاننـا وتركنا في المعاقــل
فإن نك قوما نتّئر ما صنعتــمُ * وتحتلبـوها لقحـة غير باهـل
وسائط كانت في لـؤي بن غالـب * نفاهـم إلينـا كل صقـر حُلاحـل
ورهط نفيل شـر من وطيء الحصى * وألأم حـاف مـن معد وناعـل
فأبلغ قصيــا أن سيُنشر أمرنــا * وبشـر قصيـا بعدنا بالتخـاذل
ولــو طرقت ليلا قصيا عظيمــة * إذا مـا لجأنـا دونهم في المداخـل
ولو صدقوا ضربا خلال بيوتهـم * لكنـا أُسـى عند النساء المطافل
فكل صديق وابن أخت نعــده * لعمـري وجدنـا غِبّه غير طائـل
سوى أن رهطا من كـلاب بن مرة * بـراء إلينـا مـن معقّة خاذل
وهنًا لهم حتى تبـدد جمعهــم * ويحسـر عنـا كل باغ وجاهل
وكان لنا حوض السقايـة فيهـم * ونحـن الكُدى من غالب والكواهـل
شبـاب مـن المطيَّبين وهاشـم * كبيض السيـوف بين أيدي الصياقل
فما أدركوا ذحلا ولا سفكوا دمـا * ولا حالفـوا إلا شـرار القبائل
بضرب ترى الفتيـان فيـه كأنهـم * ضواري أسـود فوق لحم خرادل
بني أمة محبوبة هندكيــة * بنـي جمـح عُبيد قيس بن عاقل
ولكننا نسل كرام لســادة * بهـم نُعـي الأقوام عند البواطل

ونعم ابن أخت القوم غيــــر مكذّب * زهيــــر حساما مفردا مــــن حمائل
أشمُّ من الشم البهاليــــل ينتمــي * إلــى حسب في حومة المجد فاضل
لعمري لقد كُلِّفت وجــــدا بأحمــد * وإخوتــه دأب المحــب المواصل
فلا زال في الدنيــا جمالا لأهلهــا * وزينــا لمــن والاه رب المشاكل
فمن مثله في النـــاس أي مُؤمَّــل * إذا قاســه الحكام عند التفاضـل
حليم رشيد عــادل غـير طائــش * يوالـــي إلاهــا ليس عنـه بغافل
فوالله لولا أن أجـــيء بسنـــة * تجــرُ علـى أشياخنـا في المحافل
لكنا اتبعناه على كـل حالــــة * مـن الدهـر جِدّا غيـر قول التهازل
لقد علموا أن ابننا لا مكـــــذَّب* لدينــا ولا يُعنـــى بقول الأباطـل
فأصبح فينا أحمد في أرومــــة * تُقصّـــر عنــه سـورة المتطاول
حدبت بنفسي دونـــه وحميتـــه * ودافعــت عنــه بالذرا والكلاكل
فأيده ربُّ العبـــاد بنصـــره * وأظهــر دينــا حقــه غير باطل
رجال كرام غير مِيل نماهــــم * إلــى الخيـر آباء كرام المحاصل
فإن تــك كعب من لؤي صُقيبــة * فلا بـد يومــا مرة من تزايل[٧]

قال ابن هشام وحدثني من أثق به قال: أقحط أهــل المدينة فأتوا رسول الله صلـى الله عليه وسلم فشكوا ذلك إليه فصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فاستسقى فمـا لبث أن جاء من المطر ما أتاه أهل الضواحي يشكون منه الغرق فقال رسول الله صلــى الله عليه وسلم: اللهم حوالينا ولا علينا فانجاب السحاب عن المدينة فصار حوليها كالإكليل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أدرك أبو طالب هذا اليـوم لسـره فقـال لـه بعـض أصحابه: كأنك يا رسول الله أردت قوله:

وأبيض يُستسقى الغمام بوجهــه * ثمـــال اليتامى عصمة للأرامل

قال : أجل .[٨]

---

[٧] – ابن هشام ، السابق ، ١٦٩- ١٧٣/١.

[٨] – ابن هشام ، السابق ، ١٧٣-١٧٤/١. وقد اخرجه البيهقى فى "الدلائل " انظـر فتـح البـارى ، ٤٩٥/٢، المطبعة السلفية

مبعوثو قريش إلى النجاشي

قال ابن إسحاق: فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمنوا واطمأنوا بأرض الحبشة وأنهم قد أصابوا بها دارا وقرارا ائتمروا بينهم أن يبعثوا فيهم منهم رجلين من قريش جلدين إلى النجاشي فيردهم عليهم ليفتنوهم في دينهم ويخرجوهم من دارهم التي اطمأنوا بها وأمنوا فيها فبعثوا عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص بن وائل وجمعوا لهما هدايا للنجاشي ولبطارقته ثم بعثوهما إليه فيهم .

فقال أبو طالب حين رأى ذلك من رأيهم وما بعثوهما فيه أبياتا للنجاشي يحضه على حسن جوارهم والدفع عنهم:

شعره المرسل للنجاشي

ألا ليت شعري كيف في النأي جعفر * وعمرو وأعداء العدو الأقارب

وهل نالت أفعال النجاشي جعفرا * وأصحابه أو عاق ذلك شاغب

تعلم، أبيت اللعن، أنك ماجد * كريم فلا يشقى لديك المجانب

تعلم بأن الله زادك بسطة * وأسباب خير كلها بك لازب

وأنك فيض ذو سجال * غزيرة ينال الأعادي نفعها والأقارب[٩]

موقف أبي طالب من المقاطعة الظالمة:

قال ابن إسحاق: فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزلوا بلدا أصابوا به أمنا وقرارا وأن النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم وأن عمر قد أسلم فكان هو وحمزة بن عبد المطلب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وجعل الإسلام يفشو في القبائل اجتمعوا وائتمروا بينهم أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب على أن لا يُنكحوا إليهم ولا يُنكحوهم ولا يبيعوهم شيئا ولا يبتاعوا منهم فلما اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيدا على أنفسهم وكان كاتبَ الصحيفة منصورُ بن عكرمة بن عامر ابن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي ويقال: النضر بن الحارث فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فشُلَّ بعض أصابعه.

---

[٩] - ابن هشام ، السابق ، ٢٠٨- ٢٠٩ /١.

فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم و بنو المطلب إلى أبي طالب بن عبد المطلب فدخلوا معه في شعبه واجتمعوا إليه وخرج من بني هاشم أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب إلى قريش فظاهرهم.[10]

فلما اجتمعت على ذلك قريش قال أبو طالب :

ألا أبلغا عنــي على ذات بيننــا * لؤيــا وخُصًا من لؤي بني كعب

ألم تعلموا أنا وجدنــا محمــدا * نبيــا كموسى خُط في أول الكتب

وأن عليه في العبــاد محبــة * ولا خيــر ممــن خصه الله بالحب

وأن الذي ألصقتمُ مــن كتابكــم * لكــم كائن نحسا كراغيه السقب

أفيقوا أفيقوا قبل أن يحفُر الثــرى * ويصبح من لم يجن ذنبا كذي الذنب

ولا تتبعوا أمر الوشاة وتقطعــوا * أواصرنــا بعــد المودة والقرب

وتستجلبوا حربا عوانا وربمــا * أمــرّ علــى من ذاقه جلب الحرب

فلسنا ورب البيت نُسلــم أحمــدا * لعزّاء مــن عض الزمان ولا كرب

ولما تبنْ منا ومنكــم سوالف * وأيــد أُترّت بالقُساسيــة الشهب

بمعترك ضيق ترى كسر القنــا * بــه والنسور الطُخم يعكفن كالشَّرب

كأن مجُال الخيل في حَجَراتــه * ومعمعة الأبطــال معركة الحرب

أليس أبونا هاشــم شــد أزره * وأوصــى بنيــه بالطعان وبالضرب

ولسنا نمل الحرب حتى تملنــا * ولا نشتكــي ما قد ينوب من النكب

ولكننا أهل الحفائظ والنهــى * إذا طــار أرواح الكمــاة من الرعب

فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا حتى جُهدوا لا يصل إليهم شيء إلا سرا مستخفيا به من أراد صلتهم من قريش .[11]

---

[10] – ابن هشام ، مرجع سابق ، ٣/٢. بتصرف واختصار.

[11] – ابن هشام ، السابق ، ٤–٥/٢.

أبو طالب يجير أبا سلمة بن عبد الأسد

قال ابن إسحاق أن أبا سلمة لما استجار بأبي طالب مشى إليه رجال من بني مخزوم فقالوا له: يا أبا طالب: لقد منعت منا ابن أخيك محمدا فما لك ولصاحبنا تمنعه منا؟ قال إنه استجار بي وهو ابن أختي وإن أنا لم أمنع ابن أختي لم أمنع ابن أخي فقام أبو لهب فقال يا معشر قريش والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ ما تزالون تتوثّبون عليه في جواره من بين قومه والله لتنتهن عنه أو لنقومن معه في كل ما قام فيه حتى يبلغ ما أراد. فقالوا بل ننصرف عما تكره يا أبا عتبة وكان لهم وليا وناصرا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبقوا على ذلك فطمع فيه أبو طالب حين سمعه يقول ما يقول ورجا أن يقوم معه في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو طالب يحرض أبا لهب على نصرته ونصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم:

وإن امرءا أبو عتيبة عمه * لفي روضة ما إن يُسام المظالما
أقول له ، وأين منه نصيحتي * أبا معتب ثبتْ سوادك قائما
ولا تقبلنَ الدهر ما عشت خطة * تُسبَ بها إما هبطت المواسما
ولِّ سبيل العجز غيرك منهمُ * فإنك لم تخلَق على العجر لازما
وحارب فإن الحرب نُصْف ولن ترى * أخا الحرب يُعطى الخسف حتى يُسالما
وكيف ولم يجنوا عليك عظيمة * ولم يخذلوك غانما أو مغارما
جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا * وتيما ومخزوما عقوقا ومأثما
بتفريقهم من بعد ود وألفة * جماعتنا كيما ينالوا المحارما
كذبتم وبيت الله نُبزى محمدا *ولما تروا يوما لدى الشعب قائما

نبزى : نسلب .[١٢]

إخباره عليه الصلاة والسلام بأكل الأرضة الصحيفة

قال ابن هشام ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي طالب: يا عم إن ربي الله قد سلط الأرضة على صحيفة قريش فلم تدع فيها اسما لله إلا أثبتته فيها ونفت منه الظلم والقطيعة والبهتان فقال: أربك أخبرك بهذا؟ قال نعم ثم خرج إلى قريش فقال: يا

---

[١٢] – ابن هشام ، السابق ، ١٥-٢/١٦ .بتصرف واختصار.

معشر قريش إن ابن أخي أخبرني بكذا وكذا ، فهلم صحيفتكم فإن كان كما قال ابن أخي فانتهوا عن قطيعتنا وانزلوا عما فيها وإن يكن كاذبا دفعت إليكم ابن أخي فقال القوم: رضينا ، فتعاقدوا على ذلك ثم نظروا فإذا هي كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فزادهم ذلك شرا. فعند ذلك صنع الرهط من قريش في نقض الصحيفة ما صنعوا.

فلما مزقت الصحيفة وبطل ما فيها، قال أبو طالب، فيما كان من أمر أولئك النفر الذين قاموا في نقضها يمدحهم:

ألا هل أتى بحريّنا صنع ربنا * على نأيهم والله بالناس أرودُ

فيخبرهم أن الصحيفة مزقت * وأنْ كل ما لم يرضه الله مفسد

تراوحها إفك وسحر مجمع * ولم يُلف سحر آخر الدهر يصعد

تداعى لها من ليس فيها بقرقر * فطائرها في رأسها يتردد

وكانت كفاء رقعة بأثيمة * ليُقطع منها ساعد ومقلَّد

ويظعن أهل المكتين فيهربوا * فرائصهم من خشية الشر ترعد

ويُترك حرّاث يقلب أمره * أيُتهم فيهم عند ذاك ويُنجد

وتصعد بين الأخشبين كتيبة * لها حدج سهم وقوس ومِرهد

فمن يَنْشَ من حضّار مكة عزه * فعزتنا في بطن مكة أتلد

نشأنا بها والناس فيها قلائل * فلم ننفك نزداد خيرا ونحمد

ونُطعم حتى يترك الناس فضلهم * إذا جعلت أيدي المفيضين تُرعد

جزى الله رهطا بالحجون تبايعوا * على ملأ يهدي لحزم ويرشد

قعودا لدى خطم الحجون كأنهم * مقاولة بل هم أعز وأمجد

أعان عليها كل صقر كأنه * إذا ما مشى في رفرف الدرع أحرد

جريّ على جُلّى الخطوب كأنه * شهاب بكفّيْ قابس يتوقَّد

من الأكرمين من لؤي بن غالب * إذا سيم خسفا وجهه يتربد

طويل النجاد خارج نصفُ ساقه * على وجهه يُسقى الغمام ويسعد

عظيم الرماد سيد وابن سيد * يحض على مَقْرَى الضيوف ويحشد

ويبني لأبناء العشيرة صالحا * إذا نحن طفنا في البلاد ويمهد

ألظَّ بهذا الصلح كل مبرأ * عظيم اللواء أمره ثم يحمد

قضوا ما قضوا في ليلهم ثم أصبحوا * على مهل وسائر الناس رُقَّدُ
همُ رجعوا سهل بن بيضاء راضيا * وسُرَّ أبو بكر بها ومحمد
متى شُرِّك الأقوام في جل أمرنا * وكنا قديما قبلها نُتودد
وكنا قديما لا نُقرّ ظُلامة * وندرك ما شئنا ولا نتشدد
فيا لقصي هل لكم في نفوسكم * وهل لكم فيما يجيء به غد
فإني وإياكم كما قال قائل * لديك البيان لو تكلمت أسود[١٣]

قال ابن إسحاق ثم إن خديجة بنت خويلد وأبا طالب هلكا في عام واحد فتتابعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم المصائب بموت خديجة وكانت له وزير صدق على الإسلام يشكو إليها وبموت عمه أبي طالب وكان له عضدا وحرزا في أمره ومنعة وناصرا على قومه وذلك قبل هجرته إلى المدينة بثلاث سنين.

فلما مات أبو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه ترابا فلما نثر ذلك السفيه على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك التراب دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته والتراب على رأسه فقامت إليه إحدى بناته فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها: لا تبكي يا بُنيَّة فإن الله مانع أباك و كان يقول بين ذلك: ما نالت مني قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب.[١٤]

متى كان القطع بأمر إيمان أبي طالب من عدمه متوقفا على رواية البخاري أو غيره؟؟.

تعالوا نقتطف بعضا من كلماته النورانية التي قالها شعرا في نصر رسول الإسلام وسنرى بوضوح أن موقفه المناصر لرسولنا الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قد انطلق من إيمان راسخ بنبوة ابن أخيه وفلذة كبده ومهجة روحه محمد بن عبد الله:

---

[١٣] – ابن هشام ، السابق ، ١٩-٢/٢٠. بتصرف واختصار.

[١٤] – ابن هشام ، السابق ، ٢/٤٤. بتصرف واختصار.

وإن فخرت يوما فإن محمدا * هو المصطفى من سرها وكريمها.. وبالبيت حـق البيت من بطن مكة * وبالله إن الله ليس بغافل.. وموطئ إبراهيم في الصخـر رطبـة * على قدميه حافيا غير ناعل وأشواط بين المروتين إلى الصفا * وما فيهما مـن صـورة وتماثل... ومن حج بيت الله من كل راكب * ومن كل ذي نذر ومن كل راجل كذبتم وبيت الله نترك مكة * ونظعن ألا أمركم في بلابل.. كذبتم وبيت الله نُبزَى محمدا * ولما نطاعن دونه ونناضل, ونسلمه حتى نصرع حوله * و نذهل عـن أبنائنـا والحلائـل, وأبيـض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للأرامل, يلوذ به الهُلاّك من آل هاشـم * فهم عنده في رحمة وفواضل, لعمري لقد كُلِّفت وجدا بـأحمد * وإخوتـه دأب المحـب المواصل, فلا زال في الدنيا جمالا لأهلها * وزينا لمن والاه رب المشاكل, فمن مثله فـي الناس أي مُؤمَّل * إذا قاسه الحكام عند التفاضل, حليم رشيد عادل غير طائش * يوالـي إلها ليس عنه بغافل, فأيده ربُّ العباد بنصره * وأظهر دينا حقه غير باطل, ألا أبلغا عني على ذات بيننا * لؤيا وخُصًا من لؤي بني كعبِ, ألم تعلموا أنا وجدنـا محمـدا * نبيـا كموسى خُط في أول الكتب, وأن عليه في العباد محبة * ولا خير ممن خصه الله بالحب.

فمتى كان القائل (وأظهر دينا حقه غير باطل.. ألم تعلموا أنا وجدنا محمـدا نبيـا كموسى خط في أول الكتب) كافرا؟؟.

هلا أجابنا القوم؟؟.

ومتى كان القائل (لعمري لقد كلفت وجدا بأحمد وإخوته دأب المحب المواصـل.. حليم رشيد عادل غير طائش, يوالي إلها ليس عنه بغافل, فأيده رب العباد بنصره.. وأظـهر دينا حقه غير باطل) مجرد شخص قبلي يحامي عن شرف القبيلة ولمـا حضرتـه الوفـاة رفض أن يتلفظ بالشهادتين وقال أموت على دين عبد المطلب خشية أن تغضب قريش؟؟!!.

أي منطق يدفعنا للتصديق بأن أبا طالب رضوان الله عليه كان حريصا علـى ألا يغضـب قريشا بإعلان إسلامه في لحظة موته وإلا فليخبرنا هؤلاء الفلاسفة عما كان يعنيه نصـرة محمد صلى الله عليه وآله في مواجهة الطغيان القرشي طيلة هذه السنين؟؟.

هل كان هذا إرضاء لقريش؟؟ أم أنه رضوان الله عليه كان من الذين لا يخافون في الله لومة لائم ولا عذل عاذل ولا يسعون إلا لنيل رضا خالقـهم سـبحانه وتعـالى عمـا يشركون!!.

ألا يستحي القوم من تكرار هذا الكلام الذي يقطع بأن حقدهم على ناصر رسول الله مشـتق من نفاقهم وحسدهم لشخص رسول الله وهو الحقد الذي امتد في أعقابهم وهو نفسـه الـذي حفزهم بعد ذلك للتنكيل بآل الرسول الأكرم فكانت هذه من تلك وتلك من هذه!!.

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA مكتبة الاسكندرية

الكتيبة الهاشمية تفدي الإسلام بأرواحها

إن هذا الموقف الجهادي التحريضي الذي وقفه أبو طالب عندما استنفر قريشا وبني عبد مناف للذب عن رسول الله لما خذله من خذله قاد الكتيبة الهاشمية الجهادية في معركة الدفاع عن الإسلام وامتد هذا الجهاد وهذه الروح إلى الأبناء.

يروي ابن الأثير في الكامل في أخبار غزوة بدر :أن عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة دعوا إلى المبارزة فخرج إليهم عوف ومعوذ ابنا عفراء وعبد الله بن رواحة كلهم من الأنصار فقالوا من أنتم قالوا من الأنصار فقالوا: أكفاء كرام وما لنا بكم من حاجة ليخرج إلينا أكفاؤنا من قومنا. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: قم يا حمزة قم يا عبيدة بن الحارث قم يا علي فقاموا ودنا بعضهم من بعض فبارز عبيدة بن الحارث بن المطلب وكان أمير القوم عتبة وبارز حمزة شيبة وبارز علي الوليد فأما حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله وأما علي فلم يمهل الوليد أن قتله واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين كلاهما قد أثبت صاحبه وكر حمزة وعلي على عتبة فقتلاه واحتملا عبيدة إلى أصحابه وقد قطعت رجله فلما أتوا به النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال: ألست شهيدًا يا رسول الله قال: بلى. قال: لو رآني أبو طالب لعلم أننا أحق منه بقوله: ونسلمه حتى نصرّع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل ثم مات عليه رضوان الله ورحمته.[١٥]

إنه إذا أي أبو طالب بن عبد المطلب هو معلم الجهاد ورائد الكتيبة الهاشمية وهو من غرس في نفوس الخلص من بني هاشم روح التضحية والجهاد في سبيل الله نصرة للحق.

فكيف غابت هذه الحقائق عن بعض المؤرخين ودفعتهم لتلقف تلك الروايات المتهافتة التي أوردها البخاري وغيره من الإخباريين الذين امتلأت كتبهم بالغث من القول وحسبنا الله ونعم الوكيل وويل للمطففين.

بنو هاشم طليعة الإيمان

لم يكن بنو هاشم مجرد تاريخ سبق البعثة النبوية المباركة بل كانوا ركائز وأعمدة قام عليها دين الله وليس من العسير على المتأمل في السيرة النبوية من خلال الرؤية

---

[١٥] - ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ، ٢/٢٢.

العلوية أن يكتشف ذلك الكم الهائل من الحيف والظلم والتحامل على شجرة النبوة الهاشمية طمسا لمعالم جهادهم وإلصاقا للتهم والافتراءات الظالمة بهم كتلك الفرية الكبرى التي ألصقت بسيد البطحاء أبي طالب رضوان الله عليه والتهليل لدخول غيرهم في الإسلام واعتبار ذلك علامة فارقة في مسار الدعوة من دون أن يشغل أي من هؤلاء باله بتقديم دليل واحد على أهمية دخول هذا الداخل في الإسلام.

لم يخبرنا أحد عن الدور الذي اضطلع به هو أو غيره قبل الهجرة أو بعدها أو عن بلاء أي منهم دفاعا عن الدعوة أو عن رسول الله ولكننا نعرف بكل تأكيد أن معسكر الكفر والعناد والإلحاد قد تلقى ضربة قاصمة يوم بدر وفي غيرها من الغزوات على يد فرسان الإسلام المضحين من بني هاشم علي بن أبي طالب وحمزة بن عبد المطلب وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب وجعفر بن أبي طالب وأن دور هذه العصبة البدرية الهاشمية كان امتدادا لجهاد سيد البطحاء أبي طالب رضوان الله عليه وجزاه الله خيرا على ما قدم للإسلام والمسلمين من يومها إلى يوم الدين.

إثبات فضل بني هاشم لا يتوقف على نفي إسلام غيرهم أو إنكار ما قدمه في سبيل الله (ولكل فضل) ولكن الأمانة كانت تقضي أن يضع هؤلاء الأشياء في موضعها ويعرفوا لكل إنسان فضله ومقامه الذي استحقه بجهاده وتضحياته في سبيل الله ولا شك أن لبني هاشم في هذا البناء النوراني موقع لا يبارى ولا يسامى.

وكما قال الإمام في رسالته لمعاوية التي سنوردها بنصها بعد قليل (أَلاَ تَـرَى ــ غَيْرَ مُخْبِر لَكَ لكِنْ بِنِعْمَةِ اللهِ أُحَدِّثُ ــ أَنَّ قَوْماً اسْتُشْهِدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ مِنَ الْمُهاجِرِينَ، لِكُلٍّ فَضْلٌ، حَتَّى إِذَا اسْتُشْهِدَ شَهِيدُنَا قِيلَ: سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ، وَخَصَّهُ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وآله) بِسَبْعِينَ تَكْبِيرَةً عِنْدَ صَلاَتِهِ عَلَيْهِ!. أَوَلاَ تَرَى أَنَّ قَوْماً قُطِّعَتْ أَيْدِيهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ــ وَلِكُلٍّ فَضْلٌ ــ حَتَّى إذَا فُعِلَ بِوَاحِدِنَا كَمَا فُعِلَ بِوَاحِدِهِمْ، قِيلَ: الطَّيَّارُ فِي الْجَنَّةِ وَذُو الْجَنَاحَيْنِ!. وَلَوْلاَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ مِنْ تَزْكِيَةِ الْمَرْءِ نَفْسَهُ لَذَكَرَ ذَاكِرٌ فَضَائِلَ جَمَّةً تَعْرِفُهَا قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلاَ تَمُجُّهَا آذَانُ السَّامِعِينَ).

أما الكارثة العظمى التي نزلت بالإسلام وأهله ونزلت بالإمام ورهطه الهاشميين المجاهدين أول ما نزلت ثم امتدت بعد ذلك لتصبح انقلابا تاما في الموازين فهي مناطحة ابن آكلة الأكباد للإمام في موقعه ومقامه حيث يقول الإمام **(فَيَا عَجَباً لِلدَّهْرِ! إِذْ صِرْتُ**

يُقْرَنُ بِي مَنْ لَمْ يَسْعَ بِقَدَمِي وَلَمْ تَكُنْ لَهُ كَسَابِقَتِي الَّتِي لاَ يُدْلِي أحَدٌ بِمِثْلِهَا، إلاَّ أنْ يَدَّعِـــيَ مُدَّعٍ مَا لاَ أعْرِفُهُ ولاَ أظُنُّ اللهَ يَعْرِفُهُ وَالْحَمْدُ للهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ)!!.

لقد شكل فرسان بني هاشم بجهادهم وسبقهم طليعة الأمة المضحية الملتفـــة حـــول رسول الله صلى الله عليه وآله والتي استحقت مـــن دون أدنـــى شـــك وصـــف الســـابقين **{وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ * وَقَلِيـــلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ} الواقعة** (١٠-١٤) سبقا زمانيا وعمليا وليس سبقا تلفيقيا لم يكن له وجـود إلا على ألسنة وضاع الأحاديث ومن ثم في مخيلة جمهورنا الذي تشكل وعيه على يد هـــؤلاء المؤلفين الكبار.

إنها المسابقة إلى مرضاة الله في الزمان والمكان الملائمين وليس سبقا إلى الكراسي والغنائم والتهافت على حطام الدنيا ونعيمها الزائل تسابق الفراش إلى الموت فـــي نـــيران المطامع **{سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاء وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} الحديد** (٢١).

ألّا تحصل تلك الكوكبة المجاهدة السابقة إلى رضوان الله ورحمته على ما تســـتحق من التعريف والتكريم فهي كارثة كبرى نزلت بنا وليست بهم فالأمة هـــي التـــي خســـرت الاقتداء بقيمهم ومبادئهم ومثلهم واستبدلت بها مجموعة من القيم الشمعية المصمغة الملفقـــة التي لا تصمد لا في وجه اختبار الصلابة ولا في مواجهة نيران المحن التي تحاصرنا مـــن كل حدب وصوب.

الأمة وعبر هؤلاء المزورين أقامت لنفسها نصبا من صنع الوهم والخيال فكـــانت بهذا كبني إسرائيل الذين استبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير فحقت عليهم الشقوة وحـــق عليهم قول ربهم إنهم لذائقوا العذاب الأليم ولن يجزون إلا ما كانوا يفترون ويكذبون.

في إحدى رسائله التي أرسلها إلى رأس الفتنة الأموية معاوية بن أبي سفيان يقـــول الإمام علي بن أبي طالب:

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ أَتَانِي كِتَابُكَ تَذْكُرُ فِيهِ اصْطِفَاءَ اللهِ تعالى مُحَمَّـــداً (صلـــى الله عليـــه وآله) لِدِينِهِ، وَتَأْيِيدَهُ إِيَّاهُ بِمَنْ أَيَّدَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ فَلَقَدْ خَبَّأَ لَنَا الدَّهْرُ مِنْكَ عَجَبـــاً إِذْ طَفِقْـــتَ تُخْبِرُنَا بِبَلاَءِ اللهِ عِنْدَنَا وَنِعْمَتِهِ عَلَيْنَا فِي نَبِيِّنَا فَكُنْتَ فِي ذلكِ كَنَاقِلِ التَّمْرِ إِلَـــى هَجَـــرَ، أَوْ دَاعِي مُسَدِّدِهِ إِلَى النِّضَالِ.

وزَعَمتَ أنَّ أفضَلَ النَّاسِ فِي الإسلَامِ فُلَانٌ وفُلَانٌ، فذَكَرتَ أمْراً إنْ تَمَّ اعتزَلَكَ كُلُّهُ، وَإنْ نقَصَ لَمْ يَلْحَقْكَ ثَلْمُهُ، ومَا أنْتَ والفَاضِلَ والمَفضُولَ، والسَّائِسَ والمَسُوسَ! ومَا للطُّلَقَاءِ وأَبْنَاءِ الطُّلَقَاءِ، والتَّمْيِيزَ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ الأوَّلِينَ، وتَرْتِيبَ دَرجَاتِهِمْ، وتَعرِيفَ طَبَقَاتِهِمْ! هَيْهَاتَ لَقَدْ حَنَّ قِدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا، وطَفِقَ يَحكُمُ فِيهَا مَنْ عَلَيْهِ الْحُكْمُ لَهَا!.

ألَا تَرْبَعُ أيُّهَا الإنْسَانُ عَلَى ظَلْعِكَ، وتَعْرِفُ قُصُورَ ذَرْعِكَ، وتَتَأَخَّرُ حَيْثُ أخَّرَكَ الْقَدَرُ! فَمَا عَلَيْكَ غَلَبَةُ الْمَغْلُوبِ، ولَا لَكَ ظَفَرُ الظَّافِرِ! وإنَّكَ لَذَهَّابٌ فِي التِّيهِ، رَوَّاغٌ عَنِ الْقَصْدِ.

ألَا تَرَى ــ غَيْرَ مُخْبِرٍ لَكَ لكِنْ بِنِعْمَةِ اللهِ أُحَدِّثُ ــ أنَّ قَوْماً اسْتُشْهِدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، لِكُلٍّ فَضْلٌ، حَتَّى إذَا اسْتُشْهِدَ شَهِيدُنَا، قِيلَ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ وخَصَّهُ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وآله) بِسَبْعِينَ تَكْبِيرَةً عِنْدَ صَلاتِهِ عَلَيْهِ!.

أوَلَا تَرَى أنَّ قَوْماً قُطِّعَتْ أيْدِيهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ــ ولِكُلٍّ فَضْلٌ ــ حَتَّى إذَا فُعِلَ بِوَاحِدِنَا كمَا فُعِلَ بِوَاحِدِهِمْ، قِيلَ: الطَّيَّارُ فِي الْجَنَّةِ وَذُو الْجَنَاحَيْنِ!.

ولَوْ لَا مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ مِنْ تَزْكِيَةِ الْمَرْءِ نَفْسَهُ، لَذَكَرَ ذَاكِرٌ فَضَائِلَ جَمَّةً، تَعْرِفُهَا قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ، ولَا تَمُجُّهَا آذَانُ السَّامِعِينَ.

فَدَعْ عَنْكَ مَنْ مَالَتْ به الرَّمِيَّةُ، فإنَّا صَنَائِعُ رَبِّنَا، والنَّاسُ بَعْدُ صَنَائِعُ لَنَا.

لَمْ يَمْنَعْنَا قَدِيمُ عِزِّنَا ولَا عَادِيُّ طَوْلِنَا عَلَى قَوْمِكَ أنْ خَلَطْنَاكُمْ بِأنْفُسِنَا، فَنَكَحْنَا وأَنْكَحْنَا، فِعْلَ الأكْفَاءِ، ولَسْتُمْ هُنَاكَ! وأنَّى يَكُونُ ذلكَ كَذَلِكَ ومِنَّا النَّبِيُّ ومِنْكُمُ الْمُكَذِّبُ، ومِنَّا أَسَدُ اللهِ ومِنْكُمْ أسَدُ الأحْلَافِ، ومِنَّا سَيِّدَا شَبَابِ أهْلِ الْجَنَّةِ ومِنْكُمْ صِبْيَةُ النَّارِ، ومِنَّا خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ومِنْكُمْ حَمَّالَةُ الْحَطَبِ، فِي كَثِيرٍ مِمَّا لَنَا وعَلَيْكُمْ!.

فَإِسْلَامُنَا مَا قَدْ سُمِعَ، وجَاهِلِيَّتُنَا لَا تُدْفَعُ، وكِتَابُ اللهِ يَجْمَعُ لَنَا مَا شَذَّ عَنَّا، وهُوَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: (وَأُولُو الأرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ)، وقَوْلُهُ تَعَالَى: (إنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ)، فَنَحْنُ مَرَّةً أَوْلَى بِالْقَرَابَةِ، وتَارَةً أَوْلَى بِالطَّاعَةِ.

ولَمَّا احْتَجَّ الْمُهَاجِرُونَ عَلَى الأنْصَارِ يَوْمَ السَّقِيفَةِ بِرَسُولِ اللهِ (صلى الله عليه وآله) فَلَجُوا عَلَيْهِمْ، فَإنْ يَكُنِ الْفَلَجُ بِهِ فَالْحَقُّ لَنَا دُونَكُمْ، وَإنْ يَكُنْ بِغَيْرِهِ فَالأنْصَارُ عَلَى دَعْوَاهُمْ.

وَزَعَمْتَ أَنِّي لِكُلِّ الْخُلَفَاءِ حَسَدْتُ، وَعَلَى كُلِّهِمْ بَغَيْتُ، فَإِنْ يَكُنْ ذلِكَ كَذلِكَ فَلَيْس الْجِنَايَةُ عَلَيْكَ، فَيَكُونَ الْعُذْرُ إِلَيْكَ.

وَتِلْكَ شَكَاةٌ ظَاهِرٌ عَنْكَ عَارُهَا.

أما قوله عليه السلام (**أَنَّ قَوْماً اسْتُشْهِدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ حَتَّى إِذَا اسْتُشْهِدَ شَهِيدُنَا, قِيلَ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ وَخَصَّهُ رَسُولُ اللهِ ص بِسَبْعِينَ تَكْبِيرَةً عِنْدَ صَلاَتِهِ عَلَيْهِ!) فيشرحه لنا ابن سعد في الطبقات وهو يروي قصة استشهاده رضوان الله عليه.**

استشهاد حمزة بن عبد المطلب

قال ابن سعد: حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله وعمه رضي الله تعالى عنه بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي وأمه هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة وكان يكنى أبا عمارة.[١٦]

أما عن سبب إسلامه فيذكر الرواة أن أبا جهل وعدي بن الحمراء وابن الأصداء نالوا من النبي ص يوما وشتموه وآذوه فبلغ ذلك حمزة بن عبد المطلب فدخل المسجد مغضبا فضرب رأس أبي جهل بالقوس ضربة أوضحت في رأسه وأسلم حمزة فعز به رسول الله ص والمسلمون وذلك في السنة السادسة من النبوة ولما هاجر حمزة بن عبد المطلب إلى المدينة آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وزيد بن حارثة وإليه أوصى حمزة بن عبد المطلب يوم أحد حين حضر القتال.[١٧]

وأول لواء عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة كان لحمزة بن عبد المطلب بعثه سرية في ثلاثين راكبا حتى بلغوا قريبا من سيف البحر يعترض لعير قريش وهي منحدرة إلى مكة قد جاءت من الشام وفيها أبو جهل بن هشام في ثلاثمائة راكب فانصرف ولم يكن بينهم قتال وكان حمزة معلما يوم بدر بريشة نعامة وهو الذي حمل لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بني قينقاع ولم يكن الرايات يومئذ وقتل رحمه الله يوم أحد على رأس اثنين وثلاثين شهرا من الهجرة وهو يومئذ بن تسع وخمسين سنة كان أسن من رسول الله ص بأربع سنين, قتله وحشي بن حرب وشق بطنه وأخذ كبده فجاء بها إلى هند بنت عتبة بن ربيعة فمضغتها ثم لفظتها ثم جاءت فمثلت

---

[١٦] – ابن سعد: الطبقات الكبرى ،٣/٧.مكتبة الاسرة ، القاهرة ،٢٠٠٢.

[١٧] - ابن سعد ، السابق ، ٣/٨. بتصرف واختصار.

بحمزة وجعلت من ذلك مسكتين ومعضدين وخدمتين حتى قدمت بذلك وبكبده مكة وكفن حمزة في بردة فجعلوا إذا غطوا بها رأسه بدت قدماه وإذا غطوا بها رجليه تنكشف عن وجهه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غطوا وجهه وجعل على رجليه الحرمل وكان حمزة أول من صلى رسول الله عليه ذلك اليوم من الشهداء وكبر عليه أربعا ثم جمع إليه الشهداء فكلما أتي بشهيد وضع إلى جنب حمزة فصلى عليه وعلى الشهيد حتى صلى عليه سبعين مرة وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم البكاء في بني عبد الأشهل على قتلاهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن حمزة لا بواكي له فسمع ذلك سعد بن معاذ فرجع إلى نساء بني عبد الأشهل فساقهن إلى باب رسول الله ص فبكين على حمزة فسمع ذلك رسول الله ص فدعا لهن وردهن فلم تبك امرأة من الأنصار بعد ذلك إلى اليوم على ميت إلا بدأت بالبكاء على حمزة ثم بكت على ميتها.[١٨]

وكان حمزة بن عبد المطلب يقاتل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد بسيفين ويقول أنا أسد الله وجعل يقبل ويدبر قال فبينما هو كذلك إذ عثر عثرة فوقع على ظهره وبصر به الأسود فزرقه بحربة فقتله فطعنه الحبشي بحربة أو رمح فبقره.[١٩]

وكانت هند بنت عتبة بن بن ربيعة امرأة أبي سفيان وأم معاوية جاءت مع الأحزاب يوم أحد وقد نذرت لئن قدرت على حمزة بن عبد المطلب لتأكلن من كبده فلما أصيب حمزة ومثلوا بالقتلى جاءوا بقطعة من كبد حمزة فأخذتها تمضغها لتأكلها فلم تستطع أن تبتلعها فلفظتها فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله قد حرم على النار أن تذوق من لحم حمزة شيئا أبدا.[٢٠]

ولما وقف رسول الله ص على حمزة فرآه قد شق بطنه وقد مثل به كره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينظر إليه ووقف بين ظهراني القتلى فقال أنا شهيد على هؤلاء, لفوهم في دمائهم فإنه ليس من جريح يجرح في الله إلا جاء جرحه يوم القيامة يدمى لونه لون الدم وريحه ريح المسك قدموا أكثرهم قرآنا فاجعلوه في اللحد ثم أقبلت صفية بنت عبد المطلب تطلبه لا.تدري ما صنع فلقيت عليا والزبير فقال علي للزبير أذكر

---

[١٨] -ابن سعد ، السابق ، ٨-١٠/٣. بتصرف واختصار

[١٩] – ابن سعد ، السابق ،١١٤/٣. بتصرف واختصار.

[٢٠] – ابن سعد ، السابق ، ١١/٣. بتصرف .

لأمك قال الزبير لا بل اذكر أنت لعمتك قالت ما فعل حمزة قال فأرياها أنهما لا يدريان قال فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال إني أخاف على عقلها قال فوضع يده على صدرها ودعا لها فاسترجعت وبكت.[٢١]

الرسول يصلي على حمزة سبعين مرة:

قال ثم أمر بالقتلى فجعل يصلي عليهم قال فيضع تسعة وحمزة فيكبر عليهم سبعا ثم يرفعون ويترك حمزة ثم يجاء بتسعة فيكبر عليهم حتى فرغ منهم وترك حمزة حتى صلى عليه يومئذ سبعين صلاة.

قال ابن سعد أخبرنا سعيد بن مسروق عن أبي الضحى في قول الله جل ثناؤه {ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون} قال نزلت في قتلى أحد ونزل فيهم {ويتخذ منكم شهداء} وقتل يومئذ سبعون من المسلمين أربعة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير أخو بني عبد الدار والشماس بن عثمان المخزومي وعبد الله بن جحش الأسدي والباقي من الأنصار كما نقل عن قيس بن عبادة قال سمعت أبا ذر يقسم أنزلت هذه الآيات {هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا إلى قوله إن الله يفعل ما يريد} في هؤلاء الرهط الستة يوم بدر حمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة.[٢٢]

ثم مر رسول الله ص على نساء بني عبد الأشهل لما فرغ من أحد فسمعهن يبكين على من استشهد منهم بأحد فقال رسول الله ص لكن حمزة لا بواكي له فسمعها سعد بن معاذ فذهب إلى نساء بني عبد الأشهل فأمرهن أن يذهبن إلى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيبكين على حمزة فذهبن فبكين فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بكاءهن فقال لهن رسول الله ص: بارك الله عليكن وعلى أولادكن وعلى أولاد أولادكن ورحم أولادكن وأولاد أولادكن.[٢٣]

---

[٢١] – ابن سعد ، السابق ، ١٢-٣/١٣. بتصرف .

[٢٢] -ابن سعد ، الطبقات ، ١٤-٣/١٥. بتصرف واختصار.

٦١– ابن سعد ، السابق ، ٣/١٦.

استشهاد جعفر الطيار

روى ابن هشام في سيرته: وكانت غزوة مؤتة في جمادى الأولى سنة ثمانية للهجرة فمضى الناس حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب فانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مؤتة ثم التقى الناس واقتتلوا فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل ثم أخذها جعفر بن أب طالب فقاتل بها حتى قتل قال الراوي والله لكأني أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرسه ثم قاتل حتى قتل وهو يقول:

يا حبذا الجنة واقترابها * طيبة وبارداً شرابها

والروم قد دنا عذابها * كافرة بعيدة أنسابها

ثم أخذ جعفر اللواء بيمينه فقطعت فأخذه بشماله فقطعت فاحتضنه بعضديه حتى قتل رضي الله عنه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فأثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء. ويقال: إن رجلاً من الروم ضربه يومئذ ضربة فقطعه نصفين فلما قتل جعفر أخذ عبد الله بن رواحة الراية ثم تقدم بها فقاتل حتى قتل .

ولما أصيب جعفر وأصحابه دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أسماء بنت عميس زوجة جعفر فقال لها ائتني ببني جعفر فأتت بهم فتشممهم وذرفت عيناه فقالت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي ما يبكيك؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء؟ قال نعم أصيبوا هذا اليوم فقامت تصيح واجتمعت إليها النساء ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله فقال: لا تغفلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعاماً ، فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم.

وحدثني عبد الرحمن بن القاسم بن محمد عن أبيه عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: لما أتى نعي جعفر عرفنا في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الحزن.[٢٤]

ويروي ابن الأثير في الكامل[٢٥] أن رسول الله ص قال: مر بي جعفر البارحة في نفر من الملائكة له جناحان مختضب القوادم بالدم.

---

[٢٤] - **ابن هشام ، مرجع سابق ،٦-٣/١٠. بتصرف .**

ويروي ابن هشام عمن رثى جعفرا رضوان الله عليه:

حسان بن ثابت:

تأوبني ليلٌ بيثــرب أعســـر * وهـــمٌ إذا مــا نوم الناس مسهر

لذكرى حبيبٍ هيجت لي عبرةً * ٠سفوحا وأسباب البكـــاء التذكــرُ

بلى إن فقدان الحبيب بليـــةٌ * وكم من كريم يبتلى ثـــم يصبــر

رأيت خيار المؤمنين تواردوا * شعوب وخلفـــا بعدهـــم يتأخــر

فلا يبعدن الله قتلـــى تتابعــوا * بمؤتة منهـــم ذو الجناحين جعفرُ

وزيد وعبد الله حيــن تتابعوا * جميعـــاً وأسباب المنيـــة تخطــر

غداة مضوا بالمؤمنين يقودهـــم * إلى الموت ميمون النقيبـــة أزهـــر

أغر كضوء البدر من آل هاشـــم * أبـــي إذا سيـــم الظلامـــة مجســـر

فطاعن حتى مال غيـــر موســـد * لمعتـــرك فيـــه قنـــا متكســـر

فصار مع المستشهدين ثوابـــه * جنـــان وملتـــف الحدائـــق أخضـــر

وكنا نرى في جعفر مـــن محمـــد * وفـــاء وأمـــراً حازمـــاً حيـــن يأمـــر

فما زال في الإسلام من آل هاشـــم * دعائـــم عـــز لا يزلـــن ومفخـــر

هم جبل الإسلام والناس حولهـــم * رضام إلـــى طـــود يـــروق ويقهـــر

بهاليل منهم جعفـــر وابن أمـــه * علـــي ومنهـــم أحمـــد المتخيـــر

وحمزة والعباس منهم ومنهـــم * عقيـــل ومـــاء العود من حيث يعصر

بهم تفرج اللأواء في كـــل مأزق * عمـــاس إذا مـــا ضاق بالناس مصدر

هم أولياء الله أنزل حكمه عليهم * وفيهـــم ذا الكتـــاب المطهـــر

وقال كعب بن مالك يرثي جعفرا وأصحابه :

نام العيون ودمع عينك يهمـــل * سحـــاً وكـــف الطبـــاب المخضـــل

في ليلة وردت علي همومهـــا * طـــورا أحـــن وتـــارة أتململـــــل

واعتادني حزن فبت كأننـــي * بنـــات نعـــش والسمـــاك مـــوكل

وكأنما بين الجوانح والحشـــى * ممـــا تأوبنـــي شهـــاب مدخـــل

وجدا على النفر الذين تتابعوا * يومـــا بمؤتـــة أسندوا لـــم ينقلوا

---

[٢٥]- ابن الاثير ، مرجع سابق ، ٢/١١٥.

صلى ا لإله عليهم من فتيـــــة * وسقـــى عظامهـــم الغمـــام المسبـــل

صبروا بمؤتة للإله نفوسهـــم * حـــذر الردى ومخـــافة أن ينكلـــــوا

فمضوا أمام المسلمين كأنهـــم * فنـــق عليهـــن الحديـــد المرفـــــل

إذ يهتدون بجعفـــــر ولوائـــه * قـــــدام أولهـــــم فنعـــــــم الأول

حتى تفرجت الصفوف وجعفـــر * حيث التقى وعث الصفوف مجـــــدل

فتغير القمر المنيـــــر لفقـــــده * والشمس قـــد كسفت وكادت تأفـــــل

قرم علا بنيانه مـــن هاشـــم * فرعـــا أشـــم وسؤدداً ما ينقـــــل

قوم بهم عصم الإله عبـــــاده * وعليهم نزل الكتـــاب المنـــــــزل

فضلــــوا المعاشر عزة وتكرما * وتغمـــدت أحلامهـــم مـــن يجهـــــل

لا يطلقون إلى السفاه حباهـــم * ويــــرى خطيبهــــم بحـــق يفصـــــل

بيض الوجوه ترى بطون أكفهم * تنـــدى إذا اعتــــــذر الزمان الممحل

يهديهم رضي الإله لخلقـــــه * وبجدهـــم نصـــر النبــــــي المرســـل

وقال حسان بن ثابت أيضا يبكي جعفرا:

ولقد بكيت وعز مهلـــك جعفـــــــر * حب النبي على البرية كلهـــــا

ولقد جزعت وقلت حين نعيت لـــــي * من للجلاد لدى العقـــاب وظلها

بالبيض حين تسل من أغمادهـــــــا * ضربا وإنهال الرمـــاح وعلهـــا

بعد ابن فاطمة المبارك جعفـــــــر * خير البرية كلهـــــا وأجلهـــــا

رزءاً وأكرمها جميعـــــاً محتداً * وأعزهـــــا متظلما وأذلهـــــا

للحـــق حين ينوب غير تنحـــــل * كذبـــاً ، وأنداها يداً وأقلهـــــا

فحشا ، وأكثرها إذا ما يجتـــــدى * فضلاً ، وأبذلها ندى وأبلهـــــا

بالعرف غيـــــر محمـــد لا مثلـــه * حـــي من أحياء البرية كلهـــــا

إن هذه الأبيات التي رثي بها جعفر بن أبي طالب رضوان الله عليـــه تشـــير إلـــى ترتيب مغاير للقيادة غير هذا الترتيب الذي يرويه بعض أهل السير (زيـــد بن حارثـــة ثـــم جعفر بن أبي طالب ثم عبد الله بن رواحة) فهاهو شعر كعب بن مالك (إذ يهتدون بجعفـــر ولوائه قدام أولهم فنعم الأول) يشير إلى تلك الحقيقة.

ولكننا نقول كما قال الإمام علي بن أبي طالب (ولكل فضل).

أحوال العرب قبل البعثة النبوية

يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب:

إِلَى أَنْ بَعَثَ اللهُ سُبْحَانَهُ مُحَمَّداً (صلى الله عليه وآله) لإِنْجَازِ عِدَتِهِ وَتَمامِ نُبُوَّتِـــهِ، مَأْخُوذاً عَلَى النَّبِيِّينَ مِيثَاقُهُ، مَشْهُورَةً سِمَاتُهُ، كَرِيماً مِيلادُهُ. وَأَهْـــلُ الأَرْضِ يَوْمَئِــذٍ مِلَـــلٌ مُتَفَرِّقَةٌ، وَأَهْوَاءٌ مُنْتَشِرَةٌ، وَطَرَائِقُ مُتَشَتِّتَةٌ، بَيْنَ مُشَبِّهٍ للهِ بِخَلْقِهِ، أَوْ مُلْحِدٍ فِي اسْـــمِهِ، أَوْ مُشِيرٍ إِلَى غَيْرِهِ، فَهَدَاهُمْ بِهِ مِنَ الضَّلالَةِ، وَأَنْقَذَهُمْ بِمَكَانِهِ مِنَ الجَهَالَةِ.[٢٦]

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالدِّينِ المَشْهُورِ، وَالعَلَمِ المَأْثُورِ، وَالكِتَابِ المَسْطُورِ، وَالنُّورِ السَّاطِعِ، وَالضِّيَاءِ اللامِعِ، وَالأَمْرِ الصَّادِعِ إِزَاحَةً لِلشُّـــبُهَاتِ وَاحْتِجَاجـــاً بِالبَيِّنَاتِ، وَتَحْذِيراً بِالآيَاتِ وَتَخْوِيفاً بِالمَثُلاتِ وَالنَّاسُ فِي فِتَنٍ انْجَذَمَ فِيـــهَا حَبْـــلُ الدِّيـــنِ وَتَزَعْزَعَتْ سَوَارِي اليَقِينِ وَاخْتَلَفَ النَّجْرُ وَتَشَتَّتَ الأَمْرُ وَضَاقَ الْـــمَخْرَجُ وَعَمِيَ المَصْـــدَرُ، فَالهُدَى خَامِلٌ، وَالعَمَى شَامِلٌ، عُصِيَ الرَّحْمنُ، وَنُصِرَ الشَّيْطَانُ، وَخُذِلَ الإِيمَانُ، فَانْـــهَارَتْ دَعَائِمُهُ، وَتَنَكَّرَتْ مَعَالِمُهُ، وَدَرَسَتْ سُبُلُهُ، وَعَفَتْ شُرُكُهُ. أَطَاعُوا الشَّيْطَانَ فَسَلَكُوا مَســـالِكَهُ وَوَرَدُوا مَنَاهِلَهُ بِهِمْ سَارَتْ أَعْلامُهُ وَقَامَ لِوَاؤُهُ، فِي فِتَنٍ دَاسَـــــتْهُمْ بِأَخْفَافِـــهَا، وَوَطِئَتْـــهُمْ بِأَظْلافِهَا، وَقَامَتْ عَلَى سَنَابِكِهَا، فَهُمْ فِيهَا تَائِهُونَ حَائِرُونَ جَاهِلُونَ مَفْتُونُونَ، فِي خَـــيْرِ دَارٍ وَشَرِّ جِيرَانٍ نَوْمُهُمْ سُهُودٌ وَكُحْلُهُمْ دُمُوعٌ بِأَرْضٍ عَالِمُهَا مُلْجَمٌ، وَجَاهِلُهَا مُكْرَمٌ.[٢٧]

إِنَّ اللهَ سُبْحانَه بَعَثَ مُحَمَّداً نَذِيراً لِلْعَالَمِينَ، وَأَمِيناً عَلَى التَّـــنْزِيلِ، وَأَنْتُـــمْ مَعْشَـــرَ العَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ، وَفِي شَرِّ دَارٍ، مُنِيخُونَ بَيْنَ حِجَارَةٍ خُشْنٍ وَحَيَّـــاتٍ صُـــمٍّ تَشْـــرَبُونَ الكَدِرَ، وَتَأْكُلُونَ الجَشِبَ وَتَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ، وَتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ الأَصْنَـــامُ فِيكُـــمْ مَنْصُوبَـــةٌ وَالآثَامُ بِكُمْ مَعْصُوبَةٌ.[٢٨]

أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ وَطُولِ هَجْعَةٍ مِنَ الأُمَمِ وَاعْـــتِزَامٍ مِـــنَ الْفِتَـــنِ، وَانْتِشَارٍ مِنَ الأُمُورِ، وَتَلَظٍّ مِنَ الْحُرُوبِ، وَالدُّنْيَا كَاسِفَةُ النُّورِ، ظَاهِرَةُ الْغُرُورِ، عَلَى حِيـــنِ اصْفِرَارٍ مِنْ وَرَقِهَا، وَإِيَاسٍ مِنْ ثَمَرِهَا، وَاغْوِرَارٍ مِنْ مَائِهَا، قَدْ دَرَسَـــتْ أَعْـــلامُ الْـــهُدَى، وَظَهَرَتْ أَعْلامُ الرَّدَى، فَهِيَ مُتَجَهِّمَةٌ لأَهْلِهَا، عَابِسَةٌ فِي وَجْهِ طَالِبِـــهَا، ثَمَرُهَـــا الْفِتْنَـــةُ، وَطَعَامُهَا الْجِيفَةُ، وَشِعَارُهَا الْخَوْفُ، وَدِثَارُهَا السَّيْفُ.[٢٩]

---

[٢٦] - نهج البلاغة ، الخطبة الاولى.

[٢٧] - السابق ، خطبة ٢.

[٢٨] - السابق ، خطبة ٢٦.

[٢٩] - السابق ، خطبة ٨٨.

يقول ابن أبي الحديد: فأما الأمة التي بعث محمد (ص) فيها فهم العرب وكانوا أصنافا شتى فمنهم معطلة ومنهم غير معطلة فأما المعطلة منهم فبعضهم أنكر الخالق والبعث والإعادة وقالوا ما قال القرآن العزيز عنهم ما هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ فجعلوا الجامع لهم الطبع والمهلك لهم الدهر وبعضهم اعترف بالخالق سبحانه وأنكر البعث وهم الذين أخبر سبحانه عنهم بقوله **(قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ** **ومنهم من أقر بالخالق ونوع من الإعادة و أنكروا الرسل وعبدوا الأصنام وزعموا أنها شفعاء عند الله في الآخرة وحجوا لها ونحروا لها الهدي وقربوا لها القربان وحللوا وحرموا وهم جمهور العرب وهم الذين قال الله تعالى عنهم (وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ).**

فممن نطق شعره بإنكار البعث بعضهم يرثي قتلى بدر :

فماذا بالقليب قليب بدر ** من الفتيان والقوم الكرام

وماذا بالقليب قليب بدر ** من الشيزى تكلل بالسنام

أيخبرنا ابن كبشة أن سنحيا ** وكيف حياة أصداء وهام

إذا ما الرأس زال بمنكبيه ** فقد شبع الأنيس من الطعام

أيقتلني إذا ما كنت حيا ** و يحييني إذ رمت عظامي

وكان من العرب من يعتقد التناسخ وتنقل الأرواح في الأجساد و من هؤلاء أرباب الهامة التي قال (ع) عنهم لا عدوى ولا هامة ولا صفر

وقال ذو الإصبع

يا عمرو إلا تدع شتمي و منقصتي ** أضربك حيث تقول الهامة اسقوني

و قالوا إن ليلى الأخيلية لما سلمت على قبر توبة بن الحمير خرج إليها هامة من القبر صائحة أفزعت ناقتها فوقصت بها فماتت و كان ذلك تصديق قوله :

و لو أن ليلى الأخيلية سلمت ** علي و دوني جندل و صفائح

لسلمت تسليم البشاشة أو زقا ** إليها صدى من جانب القبر صائح

وكان توبة و ليلى في أيام بني أمية.

وكانوا في عبادة الأصنام مختلفين فمنهم من يجعلها مشاركة للباريء تعالى و يطلق عليها لفظة الشريك و من ذلك قولهم في التلبية لبيك اللهم لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه و ما ملك ومنهم من لا يطلق عليها لفظ الشريك و يجعلها وسائل و ذرائع إلى الخالق سبحانه وهم الذين قالوا ما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونا إِلَى اللَّهِ زُلْفى.

وكان في العرب مشبهة و مجسمة منهم أمية بن أبي الصلت وهو القائل :

من فوق عرش جالس قد حط ** رجليه إلى كرسيه المنصوب

وكان جمهورهم عبدة الأصنام فكان ود لكلب بدومة الجندل وسواع لهذيل ونسر لحمير ويغوث لهمدان واللات لثقيف بالطائف والعزى لكنانة وقريش وبعض بني سليم ومناة لغسان والأوس و الخزرج وكان هبل لقريش خاصة على ظهر الكعبة وأساف ونائلة على الصفا والمروة وكان في العرب من يميل إلى اليهودية منهم جماعة من التبابعة وملوك اليمن ومنهم نصارى كبني تغلب والعباديين رهط عدي بن زيد ونصارى نجران ومنهم من كان يميل إلى الصابئة ويقول بالنجوم والأنواء.

فأما الذين ليسوا بمعطلة من العرب فالقليل منهم وهم المتألهون أصحاب الورع والتحرج عن القبائح كعبد الله وعبد المطلب و ابنه أبي طالب وزيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة الإيادي وعامر بن الظرب العدواني وجماعة غير هؤلاء.

وغرضنا من هذا الفصل بيان قوله (ع) بين مشبه لله بخلقه أو ملحد في اسمه إلى غير ذلك و قد ظهر بما شرحناه[٣٠]. انتهى.

وينقل أبو الفداء في تاريخه عن الشهرستاني في الملل والنحل عن أحوال العرب قبل الإسلام قال: والعرب الجاهلية أصناف فصنف أنكروا الخالق والبعث وقالوا بالطبع المحيي والدهر المفني كما أخبر عنهم التنزيل (**وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ} الجاثية ٢٤** وصنف اعترفوا بالخالق وأنكروا البعث وهم الذين أخبر الله عنهم بقوله تعالى **{أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد} ق: ١٥** وصنف عبدوا الأصنام وكانت أصنامهم

---

[٣٠] شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد. ج١ ص ٣٩-٤٠. ط دار الأندلس ١٩٨٣. الطبعة الثالثة.

مختصة بالقبائل فكان ود لكلب وهو بدومة الجندل وسواع لهذيل ويغوث لمذحج ولقبائل من اليمن ونسر لذي الكلاع بأرض حمير ويعوق لهمذان واللات لثقيف بالطائف والعزى لقريش وبني كنانة ومناة للأوس والخزرج وهبل أعظم أصنامهم وكان هبل على ظهر الكعبة وكان إساف ونائلة على الصفا والمروة وكان منهم من يميل إلى اليهود ومنهم من يميل إلى النصرانية ومنهم من يميل إلى الصابئة ويعتقد في أنواء المنازل اعتقاد السنجمين في السيارات حتى لا يتحرك إلا بنوء من الأنواء ويقول مطرنا بنوء كذا وكان منهم من يعبد الملائكة ومنهم من يعبد الجن وكانت علومهم علم الأنساب والأنواء والتواريخ وتعبير الرؤيا وكانت الجاهلية تفعل أشياء جاءت شريعة الإسلام بها فكانوا لا ينكحون الأمهات والبنات وكان أقبح شيء عندهم الجمع بين الأختين وكانوا يعيبون المتزوج بامرأة أبيه ويسمونه الضيزن وكانوا يحجون البيت ويعتمرون ويحرمون ويطوفون ويسعون ويقفون المواقف كلها ويرمون الجمار وكانوا يكبسون في كل ثلاثة أعوام شهراً ويغتسلون من الجنابة وكانوا يداومون على المضمضة والاستنشاق وفرق الرأس والسواك والاستنجاء وتقليم الأظافر ونتف الإبط وحلق العانةْ والختان[٣١].

يروي ابن الجوزي في المنتظم في أخبار سنة ٣٥ لمولد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم[٣٢]: فيها مات زيد بن عمرو بن نفيل وكان يَطْلُب الدَين وقدم الشام فسأل اليهود النصارى عن الدين والعلم فلم يُعْجِبْه دينهم فقال له رجل من النصارى أنت تلتمس دين إبراهيم فقال زيد وما دين إبراهيم قال: كان حنيفًا لا يَعْبُدُ إلا اللَهَ وحده لا شريك له كان يُعادي مَنْ عَبَدَ من دون الله شيئًا ولا يأكل ما ذُبح على الأصنام فقال زيد: هذا الذي أعرف وأنا على هذا الدين فأما عبادة حجر أو خشبة أَنْحِتُها بيدي فهذا ليس بشيء. فرجع زيد إلى مكة وهو على دين إبراهيم وكان يقول: هذه الشاة خلقها الله وأنزل من السماء ماء فأنبت لها الأرض ثم تذبحونها على غير اسمه؟؟ ينكر عليهم ذلك. ولقي رسول الله صلي الله عليه وسلم فَقَدمَ إليه رسول الله صلي الله عليه سُفرةً فيها لحم فقال إني لا آكل مما تذبحون على أصنامكم ولا آكل مما لم يذكر اسم الله عليه.

---

[٣١] المختصر في تاريخ البشر لأبي الفداء. ص ١٢٦, ج١, نفس الطبعة.

[٣٢] - ابن الجوزى ، مرجع سابق ، ٣٢٨- ٢/٣٣١.

وكان زيد بن عمرو بن نفيل يطلب الدين وكره النصرانية واليهودية وعبادة الأوثان والحجارة وأظهر خلاف قومه واعتزل آلهتهم وما كان يعبد آباؤهم ولا يأكل ذبائحهم.

يروي عنه عامر بن ربيعة قال لي: يا عامر إني خالفت قومي واتبعت ملَّة إبراهيم وما كان يعبد ولده إسماعيل من بعده فقال: وكانوا يصلون إلى هذه القبلة وأنا انتظر نبيّا من ولد إسماعيل يُبْعَثُ ولا أراني أدْركه فأنا أؤمن به وأصَدقه وأشهد أنه نبي فإن طالت بك مدة فرأيته فأقْرِئْهُ منَي السلام, قال عامر: فلما تنبأ رسول الله صلي الله عليه وسلم أسلمت وأخبرته بقول زيد وأقْرأتُه منه السلام فرد عليه رسول الله السلام وترحم عليه وقال "قد رأيتُه في الجنة يسْحَبُ ذُيولًا".

ومات زيد فرثاه ورقة فقال:

دعاءك ربا ليس رب كمثلِه وتركَك أوثان الطواغي كما هيا.[٣٣]

صورة إجمالية

كانت هذه نماذج من أوضاع العرب قبل البعثة النبوية المشرفة ويبدو واضحا أنه لم يكن هناك اتفاق على شيء باستثناء العمل على إدامة الواقع القائم ورفض أي محاولة للتغيير والتطهير وهو القانون السائد إلى يومنا هذا في دنيا الناس.

إن أصدق ما ينطبق على واقع العرب قبل البعثة المحمدية فضلا عن كلام الإمام علي بن أبي طالب هو ما جاء في خطبة الزهراء عليها السلام التي قالتها بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم **(فبلغ الرسالة صادعا بالنذارة مائلا عن مدرجة المشركين ضاربا ثبجهم آخذا بأكظامهم وينكث الهام، يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة حتى تفرى الليل عن صبحه وأسفر الحق عن محضه ونطق زعيم الدين وخرست شقاشق الشياطين وتمت كلمة الإخلاص وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها نهزة الطامع ومذقة الشارب وقبسة العجلان وموطأ الأقدام تشربون الطرق وتقتاتون القد والورق أذلة خاسئين تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم حتى استنقذكم الله برسوله "ص" بعد اللتيا والتي)**. رواها السيد ابن طاووس في كتابه الطرائف.

[٣٣] – ابن الجوزى ، المنتظم ، ٣٢٨-٢/٣٣١.

فالقوم كانوا فرقا في أديانهم لا يجمعهم جامع ولا يربطهم رابط قد **(بَدَّلَ أَكْثَرُهم عَهْدَ اللهِ إِلَيهِمْ، فَجَهِلُوا حَقَّهُ، واتَّخَذُوا الأَنْدَادَ مَعَهُ، وَاجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ، وَاقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ)** وهم **(يَوْمَئِذ مِلَلٌ مُتَفَرِّقَةٌ وَأَهْوَاءٌ مُنْتَشِرَةٌ، وطَرَائِقُ مُتَشَتِّتَةٌ، بَيْنَ مُشَبِّه للهِ بِخَلْقِهِ، أَوْ مُلْحِد في اسْمِهِ أَوْ مُشِير إِلَى غَيْرِه).**

لقد كانوا كما وصفهم أمير المؤمنين: عَلَى شَرِّ دِين وَفِي شَرِّ دَار، مُنِيخُونَ بَيْنَ حِجَارَة خُشْن وَحَيَّات صُمّ يشْرَبُونَ الكَدِرَ وَيَأْكُلُونَ الجَشِبَ وَيسْفِكُون دِمَاءَهُمْ، وَيَقْطَعُونَ أَرْحَامَهمْ الأَصْنَامُ-فِيهِمْ مَنْصُوبَةٌ وَالآثَامُ بِهِمْ مَعْصُوبَةٌ.

اجتمعت عليهم العلل والأمراض الأخلاقية فلم يكتفوا بعلة واحدة وزاد ذلك كله حالة الكبر والغطرسة التي اعترت أكابر مجرميهم ممن أعماهم الكبر عن رؤية الحق ودفعهم دفعا لمعاندته ومما زاد طينهم بلة ذلك الحسد الذي اعتراهم وأصابهم وخاصة عندما رأوا بأم أعينهم ما اختص الله به رسوله محمدا صلى الله عليه وآله وسلم من الوحي والكرامة وكان موقفهم منه هو موقف الرفض والاستهجان لنبوة محمد صلى الله عليه وآله بغيا وحسدا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده **{وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ * أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ}. (٣١-٣٢) الزخرف**

ومن الطبيعي في ظل تلك الظروف أن يتفشى الظلم ويصبح هو القاعدة والقانون وأن يصبح الجور والإرهاب سائدا فتنام الناس وتصحو وشعارهم **(أي غطاؤهم الذي يحتمون به) الْخَوْفُ وَدِثَارُهَم السَّيْفُ (الوسيلة الوحيدة لتحقيق الأمن!!).**

الكبر والغطرسة ومنطق القوة العمياء هو الذي دعا قريشا للقتال في مواجهة الدعوة الإسلامية التي ستعيد رسم الخريطة السياسية والأخلاقية والاجتماعية لمجتمع أمسى وأضحى يحكمه الجهل والتقليد الأعمى والتخلف فضلا عن قانون الغاب الذي يأكل فيه القوي الضعيف ويعدو الناس بعضهم على بعض.

مجتمع تعود على البلادة والتقليد الأعمى للموروث الجاهلي فإذا به يواجه بنبي الله الذي يخاطبهم {قل انظروا ماذا في السماوات والأرض} وينادي بالعدل {والسماء رفعها ووضع الميزان ألا تطغوا في الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان} وهذه

هي الطبيعة الغالبة على بني الإنسان **{ كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى}** فكيف يقبل مثل هذا المجتمع بدين ينذر الناس بيوم الحساب ويضع قاعدة الثواب والعقاب على الصغير والكبير **{فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره}**.

أما ما يزعمه الوهابيون من أن **(المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقروا بتوحيد الربوبية، وإنما قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عند توحيد الألوهية، وأن الرجل لا يدخل في الإسلام بتوحيد الربوبية إلا إذا انضم إليه توحيد الألوهية وأن الذين أقروا بالربوبية دون الألوهية ما عرفوا التوحيد وإنهم منكرون دين الإسلام)** فهو من بنات أفكار ابن عبد الوهاب لا أكثر ولا أقل.

إنها كما وصفها القرآن الكريم (الجاهلية الأولى) التي تكونت من ذلك الخلط الجاهل والمتعسف بين المعتقد الموروث القائم على غير أساس ولا دليل وتحالف القوة والثروة والمصالح التي ترى في إحياء دور العقل إحياء لدور البشرية المهملة والمغيبة بفعل تغييبها العقلي والمعرفي وهو ما ترفضه وتأباه تلك القوى الظالمة والمتسلطة.

الجاهلية الأولى هو تعبير ذو دلالة بالغة الأهمية فالجاهلية الأولى يمكن اتباعها بجاهلية ثانية وثالثة ورابعة إذا جرى تفعيل ذلك التحالف في دنيا الناس مرة أخرى بعد أن تلقى الضربة الأولى على يد الرسول الأكرم.

يخطئ من يظن أن الجاهلية الأولى كانت قاصرة على جاهلية المعتقد وكأن الأمر كله كان صراعا بين معتقد ومعتقد في عالم التجريد والمثال لا في عالم الواقع المعاش.

الإقرار بالحق الذي جاء به محمد صلى الله عليه وآله لم يكن يعني مجرد الانتقال من تصور ديني يؤمن بتعدد الآلهة إلى عالم التوحيد وحسب بل كان يعني أيضا الانتقال من عالم يهيمن عليه أبو جهل وأبو سفيان والوليد بن عتبة وغيرهم من أكابر مجرميها وتكون لهم فيه الكلمة العليا في العقيدة والسياسة وتدبير أمور الناس إلى عالم الطهارة الذي يسوده ويقوده محمد بن عبد الله وعلي بن أبي طالب وحمزة بن عبد المطلب وهو أمر دونه الموت وهذا ما حدث بالفعل.

إنها القاعدة التي استنها هؤلاء وأقاموا عليها الجاهلية الثانية والعاشرة حيث يجري صياغة المعتقدات الدينية والتراتبية الاجتماعية خدمة للأمويين الجدد ونظرة واحدة على جاهليتنا المعاصرة تكشف عن تلك الحقيقة حيث يستخدم المال في شراء (رجال الدين)

ليقوموا بدورهم في صناعة عقيدة وتصور يخدم سلطة الأمر الواقع قطعا للطريق على كل من يحاول إعادة النجم إلى مساره المحمدي الأصلي.

إنها بكل تأكيد ليست جاهلية ردة وكفر مطلق عن الإسلام بل جاهلية دينية تؤثر تقليد الآباء والأحبار والرهبان الذين جرى توظيفهم ليقوموا بدور الآلهة الوسيطة لتتفرغ الآلهة الكبرى للقيام بدورها في السلب والنهب والظلم وليعود الناس مرة أخرى إلى نقطة البدء.. شعارهم الخوف ودثارهم السيف.

الدليل الأكبر على انتقال العرب من جاهلية أولى إلى جاهلية ثانية وربما ثالثة هو تسلل تلك التصورات الجاهلية عن الألوهية إلى بعض المنتمين للإسلام ومن أخطرها تلك التصورات التجسيدية للذات الإلهية التي ذكرها أمير المؤمنين عليه السلام من تشبيه اللهِ بِخَلْقِهِ والتي أوردها ابن أبيٍ الحديد في شرحه للنهج بقوله (وكان في العرب مشبهة ومجسمة منهم أمية بن أبي الصلت وهو القائل:

من فوق عرش جالس قد حط ** رجليه إلى كرسيه المنصوب

والغريب أن من يدعى بشيخ الإسلام ابن تيميه قد استدل في فتواه الحموية بقول الكافر أمية بن أبي الصلت الذي أنشد للنبي صلى الله عليه وسلم هو وغيره من شعره فاستحسنه **وقال (حسب زعم ابن تيميه؟!)**: آمن شعره وكفر قلبه: -

مجدوا الله فهو للمجد أهل ربنا في السماء أمسى كبيرا

بالبناء الأعلى الذي سبق النا س وسوى فوق السماء سريرا

زاعما أن الرسول صلى الله عليه وسلم المبلغ عن الله قد رضي عما زعمه ابن أبي الصلت من أن الله سبحانه على العرش وأنه فوق السماء أو كما قال ابن تيميه وكافره ابن أبي الصلت.[٣٤]

لم يجد شيخ الإسلام ابن تيميه من يستدل به على صحة مذهبه التجسيدي المشبه للذات الإلهية بمن خلقه الله تعالى سوى ابن أبي الصلت وهو بالتأكيد بسبب مرضه القلبي الذي لا دواء له حيث لا يمكنه الرجوع إلى أئمة أهل البيت عليهم حتى لا يقع في جريمة (التشيع لعلي بن أبي طالب) ولا بأس أن يقع في جريمة التشيع والرجوع إلى كفار قريش.

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

---

[٣٤] - **ابن تيمية الحراني ، مجموع الرسائل الكبرى ، العقيدة الحموية الكبرى ، ١/٤٣١.**

وظيفة الأنبياء

إقامة الحجة

يقول الإمام علي عليه السلام:

فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ، وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِياءَهُ، لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ، وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ، وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ، وَيُرُوهُمْ آيَاتِ الْمَقْدِرَةِ: مِنْ سَقْف فَوْقَهُمْ مَرْفُوع، وَمِهَاد تَحْتَهُمْ مَوْضُوع، وَمَعَايِش تُحْيِيهِمْ، وَآجَال تُفْنِيهِمْ، وَأَوْصَاب تُهْرِمُهُمْ وَأَحْدَاث تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يُخْلِ اللهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيّ مُرْسَل، أَوْ كِتَاب مُنْزَل أَوْ حُجَّة لاَزِمَة أَوْ مَحَجَّة قَائِمَة رُسُلٌ لا تُقَصِّرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ وَلاَ كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ: مِنْ سَابِق سُمِّيَ لَهُ مَنْ بَعْدَهُ أَوْ غَابِر عَرَّفَهُ مَنْ قَبْلَهُ عَلَى ذٰلِكَ نَسَلَتِ الْقُرُونُ وَمَضَتِ الدُّهُورُ وَسَلَفَتِ الآبَاءُ، وَخَلَفَتِ الأَبْنَاءُ.[1]

بَعَثَ اللهُ رُسُلَهُ بِمَا خَصَّهُمْ بِهِ مِنْ وَحْيِهِ، وَجَعَلَهُمْ حُجَّةً لَهُ عَلَى خَلْقِهِ، لِئَلاَّ تَجِبَ الْحُجَّةُ لَهُمْ بِتَرْكِ الإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ، فَدَعَاهُمْ بِلِسَانِ الصِّدْقِ إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ. أَلاَ إِنَّ اللهَ قَدْ كَشَفَ الْخَلْقَ كَشْفَةً، لاَ أَنَّهُ جَهِلَ مَا أَخْفَوْهُ مِنْ مَصُونِ أَسْرَارِهِمْ وَمَكْنُونِ ضَمَائِرِهِمْ، وَلٰكِنْ لِيَبْلُوَهُمْ (أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً)، فَيَكُونَ الثَّوَابُ جَزَاءً، وَالْعِقَابُ بَوَاءً.[2]

يقول سبحانه {رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً} النساء

ويقول عز من قائل {وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} الأنعام

{قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِن شَهِدُوا فَلاَ تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ} الأنعام

---

[1] – نهج البلاغة ، الخطبة الاولى .

[2] – السابق ، الخطبة ١٤٤.

{فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ} الشورى

{وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} الجاثية

معنى الحجة:

يقول الراغب الأصفهاني: الحجة هي الدلالة المبينة للمحجة أي المقصد المستقيم والذي يقتضي صحة أحد النقيضين.

ويقول ابن جرير الطبري في تفسير قوله تعالى **{لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ} يَقُول تعالى : أَرْسَلْت رُسُلِي إِلَى عِبَادِي مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَحْتَجّ مَنْ كَفَرَ بِي وَعَبَدَ الْأَنْدَاد مِنْ دُونِي أَوْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِي بِأَنْ يَقُول إِنْ أَرَدْت عِقَابه {لَوْلَا أَرْسَلْت إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِع آيَاتك مِنْ قَبْل أَنْ نَذِلّ وَنَخْزَى} ٢٠/ ١٣٤ فَقَطَعَ حُجَّة كُلّ مُبْطِل أَلْحَدَ فِي تَوْحِيده وَخَالَفَ أَمْره بِجَمِيعِ مَعَانِي الْحُجَج الْقَاطِعَة عُذْره, إِعْذَارًا مِنْهُ بِذَلِكَ إِلَيْهِمْ لِتَكُون لِلَّهِ الْحُجَّة الْبَالِغَة عَلَيْهِمْ وَعَلَى جَمِيع خَلْقه وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْل التَّأْوِيل. حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن الْحُسَيْن , قَالَ: ثنا أَحْمَد بْن الْمُفَضَّل , قَالَ: ثنا أَسْبَاط عَنْ السُّدِّيّ: {لِئَلَّا يَكُون لِلنَّاسِ عَلَى اللَّه حُجَّة بَعْد الرُّسُل} فَيَقُولُوا: مَا أَرْسَلْت إِلَيْنَا رُسُلًا. الطبري.**

والمعنى أن الله تبارك وتعالى لا يكلف عباده بما لا يعرفون أو بغير الممكن **{لا يكلف الله نفسا إلا وسعها} {لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها}.**

والتكليف صنفان صنف معرفي وصنف آخر يتعلق بإقامة الحجة على العباد وإلزامهم بالتكاليف من خلال تقديم النموذج التطبيقي العملي الذي يقطع حجة المتنصلين أو المدعين عدم قدرتهم على أداء التكليف الإلهي.

النوع الأول من أنواع التكليف هو النوع المعرفي وهو ما يتعين على المكلف معرفته من توحيد الله عز وجل والإيمان بالبعث والحساب والثواب والعقاب وهو ما قضت حكمته عز وجل أن يرسل الأنبياء والرسل ليبلغوه للناس ويقطعوا السبيل على المتألهين والمنحرفين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون **{ليهلك**

من هلك عن بينة ويحيى من حيي عن بينة} وهكذا فإن الصراع الأزلي بين الحق والباطل والإيمان والكفر والتوحيد والشرك لا بد أن ينتهي بتلك النتيجة الطبيعية **{فريقا هدى وفريقا عليهم الضلالة}... {وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم}... {وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين}**. وكما يقول أمير المؤمنين فإن إقامة الحجة على الناس بلسان الصدق والإخلاص لرب العالمين – لسان الأنبياء والمرسلين– **{واجعل لي لسان صدق في الآخرين}**.. **(أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير)** يقطع سبيل الاعتذار للمعتذرين.. فلاً تَجِبَ الْحُجَّةُ لَهُمْ بِتَرْكِ الإعْذَارِ إِلَيْهِمْ، فَدَعَاهُمْ بِلِسَانِ الصِّدْقِ إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ.

كما أن البلاغ النبوي عن رب العالمين يحدد معالم الصراع بين الحق والباطل ويجعل من الدنيا ساحة اختبار لا ساحة قرار ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم بأعمالهم لا بسابق علم الله فيهم... وَلَكِنْ لِيَبْلُوَهُمْ {أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً}، فَيَكُونَ الثَّوَابُ جَزَاءً، وَالْعِقَابُ بَوَاءً. أي نتيجة عادلة حيث يبوء الظالم بظلمه والآثم بإثمه.. كما قال أمير المؤمنين.

ويبقى أن تقديم الدين للناس بصورة صحيحة لا يمكن أن يكون إلا عبر الأمناء على هذا الدين العالمين به على وجهه الصحيح ممن يؤمن منهم عدم تعمد الخطأ أو التحريف وممن يُطمئن إلى سعة علمهم ومعرفتهم وورعهم وتقواهم فلا يقع منهم السهو أو خطأ النقل أو الجهل.

إنها مهمة ما زالت مستمرة ومتواصلة في دنيا الناس ما اختلف الليل والنهار وهي نقل الدين للناس بصورة صحيحة أمينة وواعية لا تتم ولا تكتمل إلا بالنقل الأمين المعصوم عن خاتم الأنبياء والمرسلين وهي مهمة لا يقدر على حملها والاضطلاع بها من وجهة نظرنا إلا الأئمة من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

الوجه الثاني من وجوه إقامة الحج على المكلفين هو الجانب العملي التطبيقي أو إقامة الواجبات والفرائض التي فرضها الله على خلقه على الوجه الأكمل لأن الله سبحانه لا يكلف نفسا إلا وسعها ومن ثم فإن ما يقدر الإنسان المكلف بإقامة الحجة الإلهية على الناس على القيام به يصبح داخلا في الوسع الإنساني ويدخل في إطار التكليف بالممكن لا بالمستحيل **{قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ}**.

فالله تبارك وتعالى فرض الحج إلى بيت الله الحرام في مكة وليس إلى القمر ورغم أن بعض البشر قد تمكنوا من الوصول إلى تلك البقعة إلا أنه تكليف بالمستحيل بالنسبة لعامة الناس.

الله تبارك وتعالى **قال {أقم الصلاة لذكري}** ولا شك أن أغلب الناس يصلون ولا يقيمون الصلاة على وجهها الأكمل ولذا تعين أن يوجد دوما من بين المسلمين من يؤدي تلك العبادة على وجهها الأتم فيتحقق فيه النموذج الإنساني الأكمل لعبادة الله وحسن الخلق وطيب المعاشرة لئلا يقول قائل كان من الممكن أن نفعل كذا وكذا لو كنا في عصر النبوة أما الآن فقد أصبح هذا تكليفا بغير الممكن ولذا اقتضى اللطف الإلهي بقاء الحجة واستمرارها في أداء مهمتها سواء كان الحجة رسولا نبيا يوحى إليه أو إماما لا يوحى إليه ولكنه إنسان من لحم ودم يأكل مما يأكله الناس ويشرب مما يشربون ويفرح ويألم إلا أنه في النهاية عبد من عباد الله **{عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون} الأنبياء.**

وسائل إقامة الحجة:

يبين لنا أمير المؤمنين في خطبته الطرق والوسائل التي سلكها الأنبياء والمرسلون حجج الله على عباده في إقامة الحجة على الخلائق فهو سبحانه قد أرسلهم:

أولا: لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ. أي ليذكروا الإنسان بهذا الميثاق المودع في داخله والذي يلبي شوقه المغروس في نفسه للخير إذ أن كل إنسان يولد على الفطرة التي فطر الله الناس عليها **{فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} الروم ٣٠.**

تلك الفطرة التي تذعن لخالقها ولا تتنكر له والتي تتجه دوما نحو الطيبات وتنفر دوما من الخبائث وتحب العدل وترفض الظلم وتبغض الظالم وتتعاطف مع المظلوم وبالتالي فالرسالات السماوية جاءت لترد الإنسان إلى فطرته التي خُلق عليها وإلى إنسانيته الكاملة وتمنع ارتكاسه إلى مخلوق لا يختلف كثيرا عن الحيوانات الضارية.

ثانيا: وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ.

يقول تعالى: {وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ

رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ * أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ * وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ} (١٨) النحل ١٤-١٨.

فما أسرع ما ينسى الإنسان ما منحه الله تبارك وتعالى من نعم وينسى أن من أعطى يمكن أن يأخذ وهكذا فإن البطر والترف كانا من بين أسباب هلاك الأمم وطردها من رحمة الله عز وجل ووقوعها في دائرة العقاب الأليم.

ثالثا: وَيَحتَجُّوا عَلَيْهِمْ بَالتَّبْلِيغِ عن رب العالمين.

رابعا: إحياء دور العقل:

وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ وَيُرُوهُمْ آيَاتِ الْمَقْدِرَةِ: مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ، وَمِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ، وَمَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ، وَآجَالٍ تُفْنِيهِمْ، وَأَوْصَابٍ تُهْرِمُهُمْ، وَأَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ،

إنه دور العقل الذي كرم الله به بني آدم وفضلهم به على العالمين ومن ثم جاء الأنبياء يدعون الناس للنظر وإعمال العقل والتفكر في خلق السماوات والأرض.

يقول تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ * رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبْرَارِ * رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ } آل عمران ١٩٠-١٩٤.

كما تظاهرت الروايات الواردة عن أئمة أهل البيت والتي تؤكد على أهمية إعمال العقل الإنساني فلا يكمل إيمان عبد إلا إذا كمل عقله ولا شك أن ما أصاب المسلمين من تخلف وانحطاط جاء بسبب هذا الإيمان المنتزع عن السياق العقلي والذي يجمع الروايات من هنا وهناك فلا يجمعها جامع ولا ينظمها سياق.

إنه العقل الذي يؤمن بالشيء ونقيضه فيؤمن بالظلم والعدل في آن واحد ويصر على اتباع الآباء والأجداد من دون نقد ولا تمحيص ويقول **{للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا}**!!.

الروايات التي تكرم العقل:

الكافي: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما قسم الله للعباد شيئا أفضل من العقل فنوم العاقل أفضل من سهر الجاهل وإقامة العاقل أفضل من شخوص الجاهل ولا بعث الله نبيا ولا رسولا حتى يستكمل العقل ويكون عقله أفضل من جميع عقول أمته وما يضمر النبي صلى الله عليه وآله في نفسه أفضل من اجتهاد المجتهدين وما أدى العبد فرائض الله حتى عقل عنه ولا بلغ جميع العابدين في فضل عبادتهم ما بلغ العاقل والعقلاء هم أولو الألباب الذين قال الله تعالى: **{وما يتذكر إلا أولو الألباب}**.

الكافي: عن هشام بن الحكم قال: قال لي أبو الحسن موسى بن جعفر عليهما **السلام:** يا هشام إن الله تبارك وتعالى بشر أهل العقل والفهم في كتابه فقال: **{فبشر عباد * الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب}**.

يا هشام إن الله تبارك وتعالى أكمل للناس الحجج بالعقول، ونصر النبيين بالبيان ودلهم على ربوبيته بالأدلة فقال: **{وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم * إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون}**.

يا هشام قد جعل الله ذلك دليلا على معرفته بأن لهم مدبرا فقال **{وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون}**. وقال **{هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون}** وقال **{إن في اختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيى به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون}** وقال **{يحيي الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون}** وقال: **{وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون}** وقال: **{ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون}** وقال: **{قل**

تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون} وقال: {هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون}.

يا هشام ثم وعظ أهل العقل ورغبهم في الآخرة فقال {وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون}. يا هشام ثم خوف الذين لا يعقلون عقابه فقال تعالى "ثم دمرنا الآخرين وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون".

وقال: {إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون}.

يا هشام إن العقل مع العلم فقال: {وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون}.

يا هشام ثم ذم الذين لا يعقلون فقال: {وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون} وقال: {ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون". وقال: "ومنهم من يستمع إليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون" وقال: {أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا}.

وقال: {لا يقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون} . وقال: {وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون}.

يا هشام ثم ذم الله الكثرة فقال: {وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله}. وقال {ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون}.

وقال: {ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيى به الأرض من بعد موته ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون}.

يا هشام ثم مدح القلة فقال: {وقليل من عبادي الشكور} .

وقال: {وقليل ما هم}. وقال: {وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله}. وقال: {ومن آمن وما آمن معه إلا قليل}. وقال: {ولكن أكثرهم لا يعلمون}.

وقال: {وأكثرهم لا يعقلون}. وقال: {وأكثرهم لا يشعرون}.

يا هشام ثم ذكر أولي الألباب بأحسن الذكر وحلاهم بأحسن الحلية فقال: {يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب}.

وقال: {والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب} وقال: {إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب}.

وقال: {أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولو الألباب}.

وقال: {أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب}.

وقال: {كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب} . وقال: {ولقد آتينا موسى الهدى وأورثنا بني إسرائيل الكتاب هدى وذكرى لأولي الألباب} وقال: {وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين}.

يا هشام إن الله تعالى يقول في كتابه: {إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب} يعني: عقل،وقال {ولقد آتينا لقمان الحكمة} قال: الفهم والعقل.

يا هشام إن لقمان قال لابنه: تواضع للحق تكن أعقل الناس وإن الكيس لدى الحق يسير يا بني إن الدنيا بحر عميق قد غرق فيها عالم كثير فلتكن سفينتك فيها تقوى الله وحشوها الإيمان وشراعها التوكل وقيمها العقل ودليلها العلم وسكانها الصبر.

يا هشام إن لكل شئ دليلا ودليل العقل التفكر ودليل التفكر الصمت و لكل شئ مطية ومطية العقل التواضع وكفى بك جهلا أن تركب ما نهيت عنه.

يا هشام ما بعث الله أنبياءه ورسله إلى عباده إلا ليعقلوا عن الله فأحسنهم استجابة أحسنهم معرفة وأعلمهم بأمر الله أحسنهم عقلا وأكملهم عقلا أرفعهم درجة في الدنيا والآخرة.

يا هشام إن لله على الناس حجتين: حجة ظاهرة وحجة باطنة، فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة عليهم السلام، وأما الباطنة فالعقول.

يا هشام إن العاقل الذي لا يشغل الحلال شكره ولا يغلب الحرام صبره.

يا هشام من سلط ثلاثا على ثلاث فكأنما أعان على هدم عقله: من أظلم نور تفكره بطول أمله ومحا طرائف حكمته بفضول كلامه وأطفأ نور عبرته بشهوات نفسه فكأنما أعان هواه على هدم عقله ومن هدم عقله أفسد عليه دينه ودنياه.

يا هشام كيف يزكو عند الله عملك وأنت قد شغلت قلبك عن أمر ربك وأطعت هواك على غلبة عقلك.

يا هشام الصبر على الوحدة علامة قوة العقل فمن عقل عن الله اعتزل أهل الدنيا والراغبين فيها ورغب فيما عند الله وكان الله أنسه في الوحشة وصاحبه في الوحدة وغناه في العيلة، ومعزه من غير عشيرة.

يا هشام نصب الحق لطاعة الله، ولا نجاة إلا بالطاعة والطاعة بالعلم والعلم بالتعلم والتعلم بالعقل يعتقد، ولا علم إلا من عالم رباني، ومعرفة العلم بالعقل.

يا هشام قليل العمل من العالم مقبول مضاعف وكثير العمل من أهل الهوى والجهل مردود.

يا هشام إن العاقل رضي بالدون من الدنيا مع الحكمة ولم يرض بالدون من الحكمة مع الدنيا ، فلذلك ربحت تجارتهم.

يا هشام إن العقلاء تركوا فضول الدنيا فكيف الذنوب وترك الدنيا من الفضل وترك الذنوب من الفرض.

يا هشام إن العاقل نظر إلى الدنيا وإلى أهلها فعلم أنها لا تنال إلا بالمشقة ونظر إلى الآخرة فعلم أنها لا تنال إلا بالمشقة، فطلب بالمشقة أبقاهما.

يا هشام إن العقلاء زهدوا في الدنيا ورغبوا في الآخرة، لأنهم علموا أن الدنيا طالبة مطلوبة والآخرة طالبة ومطلوبة فمن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يستوفي منها رزقه ومن طلب الدنيا طلبته الآخرة فيأتيه الموت فيفسد عليه دنياه وآخرته.

يا هشام من أراد الغنى بلا مال وراحة القلب من الحسد والسلامة في الدين فليتضرع إلى الله عز وجل في مسألته بأن يكمل عقله فمن عقل قنع بما يكفيه ومن قنع بما يكفيه استغني ومن لم يقنع بما يكفيه لم يدرك الغني أبدا.

يا هشام إن الله حكى عن قوم صالحين: أنهم قالوا {ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب} حين علموا أن القلوب تزيغ وتعود إلى عماها ورداها.

إنه لم يخف الله من لم يعقل عن الله ومن لم يعقل عن الله لم يعقد قلبه على معرفة ثابتة يبصرها ويجد حقيقتها في قلبه، ولا يكون أحد كذلك إلا من كان قوله لفعله مصدقا وسره لعلانيته موافقا لان الله تبارك اسمه لم يدل على الباطن الخفي من العقل إلا بظاهر منه وناطق عنه.

يا هشام كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول ما عبد الله بشيء أفضل من العقل وما تم عقل امرئ حتى يكون فيه خصال شتى: الكفر والشر منه مأمونان والرشد والخير منه مأمولان وفضل ماله مبذول وفضل قوله مكفوف ونصيبه من الدنيا القوت لا يشبع من العلم دهره الذل أحب إليه مع الله من العز مع غيره، والتواضع أحب إليه من الشرف يستكثر قليل المعروف من غيره ويستقل كثير المعروف من نفسه ويرى الناس كلهم خيرا منه وأنه شرهم في نفسه وهو تمام الأمر.

يا هشام إن العاقل لا يكذب وإن كان فيه هواه .

يا هشام لا دين لمن لا مروءة له ولا مروءة لمن لا عقل له وإن أعظم الناس قدرا الذي لا يرى الدنيا لنفسه خطرا أما إن أبدانكم ليس لها ثمن إلا الجنة فلا تبيعوها بغيرها.

يا هشام إن أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول: إن من علامة العاقل أن يكون فيه ثلاث خصال: يجيب إذا سئل وينطق إذا عجز القوم عن الكلام ويشير بالرأي الذي يكون فيه صلاح أهله فمن لم يكن فيه من هذه الخصال الثلاث شئ فهو أحمق.

إن أمير المؤمنين عليه السلام قال: لا يجلس في صدر المجلس إلا رجل فيه هذه الخصال الثلاث أو واحدة منهن فمن لم يكن فيه شئ منهن فجلس فهو أحمق.

وقال الحسن بن علي عليهما السلام إذا طلبتم الحوائج فاطلبوها من أهلها قيل يا ابن رسول الله ومن أهلها؟ قال الذين قص الله في كتابه وذكرهم **فقال: {إنما يتذكر أولو الألباب} قال: هم أولو العقول.**

وقال علي بن الحسين عليهما السلام: مجالسة الصالحين داعية إلى الصلاح وآداب العلماء زيادة في العقل وطاعة ولاة العدل تمام العز واستثمار المال تمام المروءة وإرشاد المستشير قضاء لحق النعمة وكف الأذى من كمال العقل وفيه راحة البدن عاجلا وآجلا.

يا هشام إن العاقل لا يحدث من يخاف تكذيبه ولا يسأل من يخاف منعه ولا يعد ما لا يقدر عليه ولا يرجو ما يعنف برجائه ولا يقدم على ما يخاف فوته بالعجز عنه.

ويبقى أن اقتفاء آثار الحجة والاقتداء بها {أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده} هو الضمان الأكيد لتصحيح العمل والسير على بصيرة {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة} ولا يخفى على أحد أن المرض أحد أخطر الأمراض التي ضربت هذه الأمة هو مرض السير العشوائي واتباع الهوى الذي يعمي ويصم لأن (**اَلنَّاظِرُ بِالْقَلْبِ الْعَامِلُ بِالْبَصَرِ، يَكُونُ مُبْتَدَأُ عَمَلِهِ أَنْ يَعْلَمَ: أَعَمَلُهُ عَلَيْهِ أَمْ لَهُ؟! فَإِنْ كَانَ لَهُ مضَى فِيهِ، وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ وَقَفَ عِنْدَهُ. فَإِنَّ الْعَامِلَ بَغَيْرِ عِلْم كَالسَّائرِ عَلَى غيْرِ طَرِيق، فَلاَ يَزِيدُهُ بُعْدُهُ عَنِ الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ إِلاَّ بُعْداً مِنْ حَاجَتِهِ، وَالْعَامِلُ بالْعِلْمِ كَالسَّائرِ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ، فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ: أَسَائرٌ هُوَ أَمْ رَاجِعٌ؟!**).[3]

---

[3] - نهج البلاغة ، خطبة ١٦٠.

أهل البيت عليهم السلام
ودورهم في مواصلة إقامة الحجة

قلنا سابقا أن رسالة الأنبياء في إقامة الحجة على الخلائق تنقسم إلى قسمين قسم يتعلق بالبلاغ الأتم الأكمل وقسم يتعلق بالتطبيق الأكمل للدين وتقديم الأسوة والنموذج وهو الإنسان الكامل وقلنا أيضا أن لإقامة الحجة وسائل وأساليب منها إبلاغ الناس بحقائق الدين والواجب المتعين عليهم أداؤه ليتحقق معنى الإيمان بالله وتذكير الناس بفطرتهم الأصلية السليمة التي خلقوا عليها وتذكيرهم بنعم الله عليهم سواء كان هذا في عموم الكون أو في أنفسهم أو في ثمرات الإيمان بالله {فمن اتبع هداي فلا يضل فيها ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا}، يضاف إلى هذا تحريك العقول الجامدة وتدريبها على التفكر في خلق الله والسعي في الأرض لنفع الناس وفعل الخير والاعتبار بقدرة الله عز وجل وقدرته على نصر المظلوم من الظالم وكيف أخذ من أخذ من الظالمين بالمثلات والعقاب الأليم.

يبقى أن الأنبياء والمرسلين لا يمكن لهم أن يؤدوا كل تلك المهام بمفردهم خاصة إذا علمنا أن محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله كان خاتم الأنبياء والمرسلين وأن الأمة الإسلامية هي خاتم الأمم وأن مسيرة الإنسانية نحو الرفعة والتكامل وإقامة صرحها الحضاري تحتاج إلى وجود الحجة دوما كما أن الحجة أو الإمام قد استلم كل مهام النبوة الأربعة التي ذكرناها عدا مهمة تلقي الوحي والتبليغ عن رب العالمين.

إن وظيفة الحجة في مرحلة ما بعد النبوة هيَ نفس وظيفتها في مرحلة النبوة والفارق الوحيد يتلخص أن الوحي قد انقطع برحيل رسول الله صلى الله عليه وآله عن هذه الدنيا:

١- التبليغ عن رسول الله لا عن رب العالمين.

٢- رد الأمة إلى الفطرة السوية ومواجهة الانحرافات الأخلاقية.

٣- تذكير الناس بنعم الله عليهم.

٤- دفع الأمة لإعمال العقل وتطوير مسيرة العلم والتحضر الاجتماعي والرقي الأخلاقي.

إنها مهمة ووظيفة لا تتوقف حتى تقوم الساعة ويرث الله الأرض ومن عليها.

يقول الإمام علي بن أبي طالب:

ثُمَّ اخْتَارَ سُبْحَانَهُ لِمُحَمَّد صلى الله عليه لقاءَهُ، وَرَضِيَ لَهُ مَا عِنْدَهُ فَأَكْرَمَهُ عَنْ دَارِ الدُّنْيَا وَرَغِبَ بِهِ عَنْ مُقَارَنَةِ البَلْوَى فَقَبَضَهُ إِلَيْهِ كَرِيماً وَخَلَّفَ فِيكُمْ مَا خَلَّفَتِ الأَنْبِيَاءُ فِي أُمَمِهَا إِذْ لَمْ يَتْرُكُوهُمْ هَمَلاً بِغَيْرِ طَرِيق وَاضِح، وَلاَ عَلَم قَائِم.

كِتَابَ رَبِّكُمْ فِيكُمْ: مُبَيِّناً حَلاَلَهُ وَحَرَامَهُ، وَفَرَائِضَهُ وَفَضَائِلَهُ وَنَاسِخَهُ وَمَنْسُوخَهُ، وَرُخَصَهُ وَعَزَائِمَهُ وَخَاصَّهُ وَعَامَّهُ وَعِبَرَهُ وَأَمْثَالَهُ وَمُرْسَلَهُ وَمَحْدُودَهُ، وَمُحْكَمَهُ وَمُتَشَابِهَهُ، مُفَسِّراً جُمَلَهُ، وَمُبَيِّناً غَوَامِضَهُ.

بَيْنَ مَأْخُوذ مِيثَاقُ عِلْمِهِ، وَمُوَسَّع عَلَى العِبَادِ فِي جَهْلِهِ، وَبَيْنَ مُثْبَت فِي الكِتَابِ فَرْضُهُ، وَمَعْلُوم فِي السُّنَّةِ نَسْخُهُ، وَوَاجِب فِي السُّنَّةِ أَخْذُهُ، وَمُرَخَّص فِي الكِتَابِ تَرْكُهُ، وَبَيْنَ وَاجِب بِوَقْتِهِ، وَزَائِل فِي مُسْتَقْبَلِهِ، وَمُبَايَنٌ بَيْنَ مَحَارِمِهِ، مِنْ كَبِير أَوْعَدَ عَلَيْهِ نِيرَانَهُ، أَوْ صَغِير أَرْصَدَ لَهُ غُفْرَانَهُ، وَبَيْنَ مَقْبُول فِي أَدْنَاهُ، وَمُوَسَّع فِي أَقْصَاهُ.[4]

ويقول عليه السلام في وصف أهل بيت النبوة والكمال:

هُمْ مَوْضِعُ سِرِّهِ، وَلَجَأُ أَمْرِهِ، وَعَيْبَةُ عِلْمِهِ، وَمَوْئِلُ حُكْمِهِ، وَكُهُوفُ كُتُبِهِ، وَجِبَالُ دِينِهِ، بِهِمْ أَقَامَ انْحِنَاءَ ظَهْرِهِ، وَأَذْهَبَ ارْتِعَادَ فَرَائِصِهِ.

زَرَعُوا الفُجُورَ، وَسَقَوْهُ الغُرُورَ، وَحَصَدُوا الثُّبُورَ، لا يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّد (عليهم السلام) مِنْ هذِهِ الأُمَّةِ أَحَدٌ، وَلا يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَداً.هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ، وَعِمَادُ اليَقِينِ، إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الغَالِي، وَبِهِمْ يَلْحَقُ التَّالِي، وَلَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الوِلاَيَةِ، وَفِيهِمُ الوَصِيَّةُ وَالوِرَاثَةُ، الآنَ إِذْ رَجَعَ الحَقُّ إِلَى أَهْلِهِ، وَنُقِلَ إِلَى مُنْتَقَلِهِ.[5]

ويقول أيضا :فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ؟ وَأَنَّى تُؤْفَكُونَ! وَالأَعْلاَمُ قَائِمَةٌ، وَالآيَاتُ وَاضِحَةٌ، وَالْمَنَارُ مَنْصُوبَةٌ، فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ؟ بَلْ كَيْفَ تَعْمَهُونَ وَبَيْنَكُمْ عِتْرَةُ نَبِيِّكُمْ؟ وَهُمْ أَزِمَّةُ الْحَقِّ، وَأَلْسِنَةُ الصِّدْقِ! فَأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ القُرْآنِ، وَرِدُوهُمْ وُرُودَ الْهِيمِ الْعِطَاشِ.[6]

وكذلك قوله :نَحْنُ شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ، وَمَحَطُّ الرِّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفُ الْمَلاَئِكَةِ، وَمَعَادِنُ الْعِلْمِ، وَيَنَابِيعُ الْحُكْمِ، نَاصِرُنَا وَمُحِبُّنَا يَنْتَظِرُ الرَّحْمَةَ وَعَدُوُّنَا وَمُبْغِضُنَا يَنْتَظِرُ السَّطْوَةَ.[7]

---

[4] – نهج البلاغة ، الخطبة الاولى.

[5] – السابق ، خطبة ٢.

[6] – السابق ، خطبة ٨٦.

[7] – خطبة ،١٠٨.

ويقول عليه السلام: أَيْنَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَنَا، كَذِباً وَبَغْياً عَلَيْنَا، أَنْ رَفَعَنَا اللهُ وَوَضَعَهُمْ، وَأَعْطَانَا وَحَرَمَهُمْ، وَأَدْخَلَنَا وَأَخْرَجَهُمْ.

بِنَا يُسْتَعْطَى الْهُدَى، وَبِنَا يُسْتَجْلَى الْعَمَى. إِنَّ الأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْش غُرِسُوا فِي هذَا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِم لاَ تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُم وَلاَ تَصْلُحُ الْوُلاَةُ مِنْ غَيْرِهِمْ.[٨]

فالرسول الأكرم ص خَلَّفَ فِي أمته مَا خَلَّفَتِ الأَنْبِيَاءُ فِي أممِها إِذْ لَمْ يَتْرُكُوهُمْ هَمَلاً بِغَيْر طَرِيق واضِح ولاَ عَلَم قَائِم وهذا الطريق له أسس ومعالم تلخصها الوصية النبوية الكريمة " إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وأهل بيتي ، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض" وهو الحديث الشريف الذي رواه أصحاب السنن على اختلاف مذاهبهم والذي يؤكد على أهمية الاقتداء بأئمة أهل البيت عليهم السلام وأخذ علوم القرآن عنهم وهم الراسخون في العلم لا عن غيرهم ولذا فقد بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب شيئا من علوم القرآن وأقسام الأحكام فالقرآن فيه:

١- علم الحلال والحرام.

٢- وما افترضه الله على عباده من الواجبات مثل الصلاة والصيام والجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٣- علم الأخلاق وتزكية النفس.

كما ينبهنا الإمام إلى أن الخطاب القرآني فيه الناسخ والمنسوخ وفيه الرخص التي إن شاء المرء أخذ بها وإن شاء لم يأخذ وفيه عزائم الله التي يحب سبحانه أن تؤتى وفيه الخطاب الخاص الموجه لرسوله أو لأزواجه دون غيرهن من النساء وفيه الخطاب الموجه للناس كافة وفيه المحدود بزمان ولى وانقضى أو زمان سيأتي به الله وهو وعد الله القادم لا ريب فيه كما أن فيه المحكم والمتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم.

لقد خلف رسول الله صلى الله عليه وآله كل هذا العلم عن القرآن مفسرا ومشروحا غوامضه وفيه ما يتعين على كل مسلم أن يعرف ويقر به ويذعن له وفيه ما لا يعلمه ولا يفقهه إلا الراسخون في العلم من خاصة أولياء الله المقربين (**بَيْنَ مَأْخُوذ مِيثَاقُ عِلْمِهِ، وموسع على العباد في جهله وبين مثبت في الكتاب فرضه ومعلوم في السنة نسخه، وواجب في السنة أخذه ومرخص في الكتاب تركه، وبين واجب بوقته، وزائل في مستقبله ومباين بين محارمه،- إذ ليس كل أنواع المعاصي شيئا واحدا فمنها الكبير ومنها الصغير- من كبير أوعد عليه نيرانه، أو صغير أرصد له غفرانه، وبين مقبول في أدناه، وموسع في أقصاه**).

---

[٨] - **السابق ، خطبة ١٤٤.**

فأيـن ذهب كل هذا العلم بعد موت رسول الله صلى الله عليه وآله وكيـف يمكـن لكائن من كان أن يقدم لنا الدين في صورته الصحيحة فلا يمزج بين الحق والباطل والخطـأ والصواب من دون أن يكون مطلعا على كل هذه العلوم وفي نفس الوقت فإن أحـدا مـن المسلمين لا مـن جيل الصحابة أو جيل التابعين أو ممن جاء بعدهم لم يدعي لنفسـه هـذا العلم أو تلك المعرفـة.

إنهم إذا أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وهم من وصفهم الإمام بأنهم مَوْضِعُ سِرِّهِ.. وَلَجَأُ أَمْرِهِ.. وَعَيْبَةُ عِلْمِهِ -أي وعاء هذا العلم وحفظته- وَمَوْئِلُ حُكْمِهِ، وَكُهُوفُ كُتُبِهِ، وَجِبَالُ دِينِهِ {رواسي أن تميد بكم}!! بِهِمْ أَقَامَ انْحِنَاءَ ظَهْرِهِ (**أي قـام عمود الدين شامخا**) وَأَذْهَبَ ارْتِعَادَ فَرَائِصِهِ (**فسلم من الآفات والانحرافات التي وقعت فـي الأمم السابقة**).

فلا عجب إذا أن يؤكد الإمام ألا وجه للمقارنة بين آلِ مُحَمَّد وأحد من هذِهِ الأُمَّـة وَلا يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَداً.

فهُمْ أَسَاسُ الدِّينِ وَعِمَادُ اليَقِينِ، إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الغَالِي أي المتطرف في تدينه وَبِهِمْ يَلْحَقُ التَّالِي أي المقصر المهمل في أداء فرائضه وَلَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الوِلايَةِ، وَفِيهِمُ الوَصِيَّةُ وَالوِرَاثَةُ.

إنهم إذا الحجة على الخلائق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

مفهوم الحجة عند أئمة أهل البيت:

روى الكليني في الكافي باب الحجة:

* علي بن إبراهيم عن أبيه عن محمد بن أبي عمير عن منصور بن يونس وسعدان بـن مسلم عن إسحاق بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال سمعته يقول إن الأرض لا تخلو إلا وفيها إمام كيما إن زاد المؤمنون شيئا ردهم وإن نقصوا شيئا أتمه لهم.
* محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن علي بن الحكم عن ربيع بن محمد المسلي عن عبد الله بن سليمان العامري عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما زالت الأرض إلا ولله فيها الحجة يعرف الحلال والحرام ويدعو الناس إلى سبيل الله.
* علي بن إبراهيم عن محمد بن عيسى عن محمد بن الفضيل عن أبي حمزة عـن أبـي جعفر عليه السلام قال: والله ما ترك الله أرضا منذ قبض آدم عليه السلام إلا وفيها إمام يهتدي به إلى الله وهو حجته على عباده ولا تبقى الأرض بغير إمـام حجـة لله علـى عباده.[٩]

---

[٩] - الكليني ، الكافي ، باب الحجة ج١.

معجزات الرسول الأكرم

يقول الإمام علي بن أبي طالب:وَلَقَدْ كُنْتُ مَعَهُ (صلى الله عليه وآله) لَمَّا أَتاهُ المَلأُ مِنْ قُرَيْش، فَقَالُوا لَهُ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ قَدِ ادَّعَيْتَ عَظِيماً لَمْ يَدَّعِهِ آبَاؤُكَ وَلاَ أَحَدٌ مِن بَيْتِكَ، وَنَحْنُ نَسأَلُكَ أَمْراً إِنْ أَجَبْتَنَا إِلَيْهِ وَأَرَيْتَنَاهُ عَلِمْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَرَسُولٌ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْنَا أَنَّكَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ.

فَقَالَ لهم (صلى الله عليه وآله): "وَمَا تَسْأَلُونَ؟".

قَالُوا: تَدْعُو لَنَا هذِهِ الشَّجَرَةَ حَتَّى تَنْقَلِعَ بِعُرُوقِهَا وَتَقِفَ بَيْنَ يَدَيْكَ.

فَقَالَ (صلى الله عليه وآله): "إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْء قَدِيرٌ، فَإِنْ فَعَلَ اللهُ ذلِكَ لَكُمْ، أَتُؤْمِنُونَ وَتَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ؟".

قَالُوا: نَعَمْ.

قَالَ: "فَإِنِّي سَأُرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ، وَإِنِّي لأَعْلَمُ أَنَّكُمْ لاَ تَفِيئُونَ إِلَى خَيْر، وَإِنَّ فِيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِي الْقَلِيبِ، وَمَنْ يُحَزِّبُ الأَحْزَابَ".

ثُمَّ قَالَ: "يَا أَيَّتُهَا الشَّجَرَةُ إِنْ كُنْتِ تُؤْمِنِينَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتَعْلَمِينَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ، فَانْقَلِعِي بِعُرُوقِكِ حَتَّى تَقِفِي بَيْنَ يَدَيَّ بِإِذْنِ اللهِ".

فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ نَبِيّاً لاَنْقَلَعَتْ بِعُرُوقِهَا، وَجَاءَتْ وَلَهَا دَوِيٌّ شَدِيدٌ وَقَصْفٌ كَقَصْفِ أَجْنِحَةِ الطَّيْرِ، حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ (صلى الله عليه وآله) مُرَفْرِفَةً، وَأَلْقَتْ بِغُصْنِهَا الأَعْلَى عَلَى رَسُولِ اللهِ (صلى الله عليه وآله)، وَبِبَعْضِ أَغْصَانِهَا عَلَى مَنْكِبِي، وَكُنْتُ عَنْ يَمِينِهِ (عليه السلام).

فَلَمَّا نَظَرَ الْقَوْمُ إِلَى ذلِكَ قَالُوا ــ عُلُوّاً وَاسْتِكْبَاراً ــ : فَمُرْهَا فَلْيَأْتِكَ نِصْفُهَا وَيَبْقَى نِصْفُهَا.

فَأَمَرَهَا بِذلِكَ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ نِصْفُهَا كَأَعْجَبِ إِقْبَال وَأَشَدِّهِ دَوِيّاً، فَكَادَتْ تَلْتَفُّ بِرَسُولِ اللهِ(صلى الله عليه وآله).

فَقَالُوا ــ كُفْراً وَعُتُوّاً ــ : فَمُرْ هذَا النِّصْفَ فَلْيَرْجِعْ إِلَى نِصْفِهِ كَمَا كَانَ.

فَأَمَرَهُ فَرَجَعَ.

فَقُلْتُ أَنَا: لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ، إِنِّي أَوَّلُ مُؤْمِن بِكَ يَا رَسُولَ اللهِ، وَأَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِأَنَّ الشَّجَرَةَ فَعَلَتْ مَا فَعَلَتْ بِأَمْرِ اللهِ تَصْدِيقاً لِنُبُوَّتِكَ، وَإِجْلاَلاً لِكَلِمَتِكَ.

فَقَالَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ: بَلْ سَاحِرٌ كَذَّابٌ، عَجِيبُ السِّحْرِ خَفِيفٌ فِيهِ وَهَلْ يُصَدِّقُكَ فِي أَمْرِكَ إِلاَّ مِثْلُ هذَا! يَعْنُونَنِي.

وَإِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ لاَ تَأْخُذُهُمْ فِي اللهِ لَوْمَةُ لاَئِمٍ، سِيمَاهُمْ سِيمَا الصِّدِّيقِينَ، وَكَلاَمُهُمْ كَلاَمُ الأَبْرَارِ، عُمَّارُ اللَّيْلِ، وَمَنَارُ النَّهَارِ، مُتَمَسِّكُونَ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ، يُحْيُونَ سُنَنَ اللهِ وسُنَنَ رَسُولِهِ، لاَ يَسْتَكْبِرُونَ وَلاَ يَعْلُونَ، وَلاَ يَغُلُّونَ وَلاَ يُفْسِدُونَ، قُلُوبُهُمْ فِي الْجِنَانِ، وَأَجْسَادُهُمْ فِي الْعَمَلِ!.[10]

إنها نفس الرواية التي ذكرها ابن هشام في سيرة النبي في عندما حكى عن المستهزئين ومن بينهم: ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب وكان شديد العداوة لرسول الله فلقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا ابن أخي بلغني عنك أمر ولست بكذاب فإن صرعتني علمت أنك صادق ولم يكن يصرعه أحد فصرعه النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات ودعاه رسول الله إلى الإسلام فقال: لا أسلم حتى تدعو هذه الشجرة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: أقبلي فأقبلت تخد الأرض فقال ركانة ما رأيت سحرًا أعظم من هذا مرها فلترجع فأمرها فعادت فقال: هذا سحر عظيم[11].

معجزة انشقاق القمر

قال تعالى (اقتربت الساعة وانشق القمر * وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر * وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر) سورة القمر.

ذكر ابن كثير في تفسيره[12]:

وَقَوْله تَعَالَى " وَانْشَقَّ الْقَمَر " قَدْ كَانَ هَذَا فِي زَمَان رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وسَلَّم كَمَا وَرَدَ ذَلِكَ فِي الْأَحَادِيث الْمُتَوَاتِرَة بِالْأَسَانِيدِ الصَّحِيحَة.

وهَذَا أَمْر مُتَّفَق عَلَيْهِ بَيْن الْعُلَمَاء أَيْ انْشِقَاق الْقَمَر قَدْ وَقَعَ فِي زَمَان النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّم وأَنَّهُ كَانَ إِحْدَى الْمُعْجِزَات الْبَاهِرَات".

---

[10] - نهج البلاغة ، خطبة ١٩٢.

[11] سيرة النبي لابن هشام ج١، ص ٢٦٢. طبعة دار الطلائع . ٢٠٠٥.

[12] تفسير ابن كثير ج٤ ص ٢٦١-٢٦٢, طبعة عيسى البابي الحلبي. بدون تاريخ.

ذكرُ الْأحَاديث الْوَاردَة فِي ذَلكَ: "روَايَة أنَس بْن مَالك" قَالَ الْإمَام أحمَد حَدَّثنَا عَبد الرَّزَّاق حَدَّثنَا مَعْمَر عَنْ قَتَادَة عَنْ أنَس بْن مَالك قَالَ سَأَلَ أهْل مَكَّة النَّبيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ آيَة فَانشَقَّ الْقَمَر بِمَكَّة مَرَّتَيْنِ فَقَالَ "اقْتَرَبَتْ السَّاعَة وَانْشَقَّ الْقَمَر" وَروَاهُ مُسْلِم عَنْ مُحَمَّد بْن رَافِع عَنْ عَبْد الرَّزَّاق, وَقَالَ الْبُخَارِيّ حَدَّثَنِي عَبْد اللَّه بْن عَبْد الْوَهَّاب حَدَّثنَا بِشْر بْن الْمُفَضَّل حَدَّثنَا سَعِيد بْن أَبِي عَرُوبَة عَنْ قَتَادَة عَنْ أنَس بْن مَالك أنَّ أهْل مَكَّة سَأَلُوا رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنْ يُرِيَهُمْ آيَة فَأرَاهُمْ الْقَمَر شِقَّيْنِ حَتَّى رَأَوْا حِرَاء بَيْنهمَا.

وَأخْرَجَاهُ أيْضًا مِنْ حَدِيث يُونُس بْن مُحَمَّد الْمُؤَدِّب عَنْ شَيْبَان عَنْ قَتَادَة وَروَاهُ مُسْلِم أيْضًا عَنْ حَدِيث أبِي دَاوُد الطَّيَالِسِيّ وَيَحْيَى الْقَطَّان وَغَيْرهمَا عَنْ شُعْبَة عَنْ قَتَادَة بِهِ "روَايَة جُبَيْر بْن مُطْعِم رَضِيَ اللَّه عَنْهُ" قَالَ الْإمَام أحْمَد حَدَّثنَا مُحَمَّد بْن كَثِير ثنَا سُلَيْمَان بْن كَثِير عَنْ حُصَيْن بْن عَبْد الرَّحْمَن عَنْ مُحَمَّد بْن جُبَيْر بْن مُطْعِم عَنْ أبِيهِ قَالَ: انْشَقَّ الْقَمَر عَلَى عَهْد رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَصَارَ فِرْقَتَيْنِ فِرْقَة عَلَى هَذَا الْجَبَل وَفِرْقَة عَلَى هَذَا الْجَبَل فَقَالُوا سَحَرَنَا مُحَمَّد فَقَالُوا إنْ كَانَ سَحَرَنَا فَإنَّهُ لَا يَسْتَطِيع أنْ يَسْحَر النَّاس كُلّهمْ تَفَرَّدَ بِهِ الْإمَام أحْمَد مِنْ هَذَا الْوَجْه وَأسْنَدَهُ الْبَيْهَقِيّ فِي الدَّلَائِل مِنْ طَرِيق مُحَمَّد بْن كَثِير عَنْ أخِيهِ سُلَيْمَان بْن كَثِير عَنْ حُصَيْن بْن عَبْد الرَّحْمَن وَهَكَذَا رَوَاهُ ابْن جَرِير مِنْ حَدِيث مُحَمَّد بْن فُضَيْل وَغَيْره عَنْ حُصَيْن بِهِ وَروَاهُ الْبَيْهَقِيّ أيْضًا مِنْ طَرِيق إبْرَاهِيم بْن طَهْمَان وَهُشَيْم كِلَاهُمَا عَنْ حُصَيْن عَنْ جُبَيْر بْن مُحَمَّد بْن جُبَيْر بْن مُطْعِم عَنْ أبِيهِ عَنْ جَدّه فَذَكَرَهُ.

روَايَة عبْد اللَّه بْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا قَالَ الْبُخَارِيّ حَدَّثنَا يَحْيَى بْن كَثِير حَدَّثنَا بَكْر عَنْ جَعْفَر عَنْ عِرَاك بْن مَالك عَنْ عُبَيْد اللَّه بْن عَبْد اللَّه بْن عُتْبَة عَنْ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا قَالَ: انْشَقَّ الْقَمَر فِي زَمَان النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَروَاهُ الْبُخَارِيّ أيْضًا وَمُسْلِم مِنْ حَدِيث بَكْر بْن مُضَر عَنْ جَعْفَر بْن رَبِيعَة عَنْ عِرَاك بِهِ مِثْلَه . وَقَالَ ابْن جَرِير : حَدَّثنَا ابْن مُثَنَّى حدَّثنَا عَبْد الْأعْلَى حَدَّثنَا دَاوُد بْن أبِي هِنْد عَنْ عَلِيّ بْن أبِي طَلْحَة عَنْ ابْن عَبَّاس . فِي قَوْله " اقْتَرَبَتْ السَّاعَة وَانْشَقَّ الْقَمَر وَإنْ يَرَوْا آيَة يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْر مُسْتَمِرّ " قَالَ قَدْ مَضَى ذَلِكَ كَانَ قَبْل الْهِجْرَة انْشَقَّ الْقَمَر حَتَّى رَأَوْا شِقَّيْهِ . وَرَوَى الْعَوْفِيّ عَنْ ابْن عَبَّاس نَحْو هَذَا وَقَالَ الطَّبَرَانِيّ حدَّثنَا أحْمَد بْن

عَمْرو الْبَزَّار حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن يَحْيَى الْقُطَعِيّ حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن شُكْر حَدَّثَنَا اِبْن جُرَيْج عَنْ عَمْرو بْن دِينَار عَنْ عِكْرِمَة عَنْ اِبْن عَبَّاس قَالَ كُسِفَ الْقَمَر عَلَى عَهْد رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا سَحَرَ الْقَمَر فَنَزَلَتْ "اِقْتَرَبَتْ السَّاعَة وَانْشَقَّ الْقَمَر - إِلَى قَوْله - مُسْتَمِرّ " " رِوَايَة عَبْد اللَّه بْن عُمَر " قَالَ الْحَافِظ أَبُو بَكْر الْبَيْهَقِيّ أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْد اللَّه الْحَافِظ وَأَبُو بَكْر أَحْمَد بْن الْحَسَن الْقَاضِي قَالَا حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاس الْأَصَمّ حَدَّثَنَا الْعَبَّاس بْن مُحَمَّد الدَّوْرِيّ حَدَّثَنَا وَهْب بْن جَرِير عَنْ شُعْبَة عَنْ الْأَعْمَش عَنْ مُجَاهِد عَنْ عَبْد اللَّه بْن عُمَر فِي قَوْله تَعَالَى " اِقْتَرَبَتْ السَّاعَة وَانْشَقَّ الْقَمَر " قَالَ وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ عَلَى عَهْد رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اِنْشَقَّ فِلْقَتَيْنِ فِلْقَة مِنْ دُون الْجَبَل وَفِلْقَة مِنْ خَلْف الْجَبَل فَقَالَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " اللَّهُمَّ اشْهَدْ " وَهَكَذَا رَوَاهُ مُسْلِم وَالتِّرْمِذِيّ مِنْ طُرُق عَنْ شُعْبَة عَنْ الْأَعْمَش عَنْ مُجَاهِد بِهِ قَالَ مُسْلِم كَرِوَايَةِ مُجَاهِد عَنْ أَبِي مَعْمَر عَنْ اِبْن مَسْعُود وَقَالَ التِّرْمِذِيّ حَسَن صَحِيح " رِوَايَة عَبْد اللَّه اِبْن مَسْعُود " قَالَ الْإِمَام أَحْمَد حَدَّثَنَا سُفْيَان عَنْ اِبْن أَبِي نَجِيح عَنْ مُجَاهِد عَنْ أَبِي مَعْمَر عَنْ اِبْن مَسْعُود قَالَ اِنْشَقَّ الْقَمَر عَلَى عَهْد رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شِقَّتَيْنِ حَتَّى نَظَرُوا إِلَيْهِ فَقَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " اِشْهَدُوا " وَهَكَذَا رَوَاهُ الْبُخَارِيّ وَمُسْلِم مِنْ حَدِيث سُفْيَان بْن عُيَيْنَة بِهِ وَأَخْرَجَاهُ مِنْ حَدِيث الْأَعْمَش عَنْ إِبْرَاهِيم عَنْ أَبِي مَعْمَر عَبْد اللَّه بْن سَخْبَرَة عَنْ اِبْن مَسْعُود بِهِ وَقَالَ اِبْن جَرِير حَدَّثَنِي عِيسَى بْن عُثْمَان بْن عِيسَى الرَّمْلِيّ حَدَّثَنَا عَمِّي يَحْيَى بْن عِيسَى عَنْ الْأَعْمَش عَنْ إِبْرَاهِيم عَنْ رَجُل عَنْ عَبْد اللَّه قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّم بِمِنًى فَانْشَقَّ الْقَمَر فَأَخَذَتْ فِرْقَة خَلْف الْجَبَل فَقَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّم "اِشْهَدُوا, اِشْهَدُوا" قَالَ الْبُخَارِيّ : وَقَالَ أَبُو الضُّحَى عَنْ مَسْرُوق عَنْ عَبْد اللَّه بِمَكَّة وَقَالَ أَبُو دَاوُد الطَّيَالِسِيّ حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَة عَنْ الْمُغِيرَة عَنْ أَبِي الضُّحَى عَنْ مَسْرُوق عَنْ عَبْد اللَّه بْن مَسْعُود قَالَ اِنْشَقَّ الْقَمَر عَلَى عَهْد رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ قُرَيْش هَذَا سِحْر اِبْن أَبِي كَبْشَة قَالَ فَقَالُوا اُنْظُرُوا مَا يَأْتِيكُمْ بِهِ السُّفَّار فَإِنَّ مُحَمَّدًا لَا يَسْتَطِيع أَنْ يَسْحَر النَّاس كُلّهمْ قَالَ فَجَاءَ السُّفَّار فَقَالُوا ذَلِكَ وَقَالَ الْبَيْهَقِيّ أَخْبَرنَا أَبُو عَبْد اللَّه الْحَافِظ أَخْبَرَنَا أَبُو الْعَبَّاس مُحَمَّد بْن يَعْقُوب حَدَّثَنَا الْعَبَّاس بْن مُحَمَّد الدَّوْرِيّ حَدَّثَنَا سَعِيد بْن سُلَيْمَان حَدَّثَنَا هُشَيْم حَدَّثَنَا مُغِيرَة عَنْ أَبِي الضُّحَى عَنْ مَسْرُوق عَنْ عَبْد اللَّه قَالَ اِنْشَقَّ الْقَمَر بِمَكَّة حَتَّى صَارَ فِرْقَتَيْنِ فَقَالَ كُفَّار قُرَيْش أَهْل مَكَّة هَذَا سِحْرٌ سَحَركُمْ بِهِ اِبْن

أبي كَبْشَةَ اُنْظُرُوا السُّفَّار فَإِنْ كَانُوا رَأَوْا مَا رَأَيْتُمْ فَقَدْ صَدَقَ وَإِنْ كَانُوا لَمْ يروْا مِثْل مَا رَأَيْتُمْ فَهُوَ سِحْر سَحَرَكُمْ بِهِ قَالَ فَسُئِلَ السُّفَّار قَالَ وَقَدِمُوا مِنْ كُلّ وَجْهَة فَقَالُوا : رَأَيْنَا . وَرَوَاهُ اِبْن جَرِير مِنْ حَدِيث الْمُغِيرَة بِهِ وَزَادَ فَأَنْزَلَ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ " اقْتَرَبَتْ السَّاعَة وَانْشَقَّ الْقَمَر" . ثُمَّ قَالَ اِبْن جَرِير حَدَّثَنِي يَعْقُوب بْن إِبْرَاهِيم حَدَّثَنَا اِبْن عُلَيَّة أَخْبَرَنَا أَيُّوب عَنْ مُحَمَّد هُوَ اِبْن سِيرِينَ قَالَ نُبِّئْت أَنَّ اِبْن مَسْعُود رَضِيَ اللَّه عَنْهُ كَانَ يَقُول لَقَدْ اِنْشَقَّ الْقَمَر. وَقَالَ اِبْن جَرِير أَيْضًا حَدَّثَنِي مُحَمَّد بْن عُمَارَة حَدَّثَنَا عَمْرو بْن حَمَّاد حَدَّثَنَا أَسْبَاط عَنْ سِمَاك عَنْ إِبْرَاهِيم عَنْ الْأَسْوَد عَنْ عَبْد اللَّه قَالَ لَقَدْ رَأَيْت الْجَبَل مِنْ فَرْج الْقَمَر حِين اِنْشَقَّ . وَرَوَاهُ الْإِمَام أَحْمَد عَنْ مُؤَمَّل عَنْ إِسْرَائِيل عَنْ سِمَاك عَنْ إِبْرَاهِيم عَنْ الْأَسْوَد عَنْ عَبْد اللَّه قَالَ اِنْشَقَّ الْقَمَر عَلَى عَهْد رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى رَأَيْت الْجَبَل مِنْ بَيْن فُرْجَتَيْ الْقَمَر وَقَالَ لَيْث عَنْ مُجَاهِد اِنْشَقَّ الْقَمَر عَلَى عَهْد رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَصَارَ فِرْقَتَيْنِ فَقَالَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي بَكْر "اِشْهَدْ يَا أَبَا بَكْر" فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ سَحَرَ الْقَمَر حَتَّى اِنْشَقَّ.

دلالة المعجزات النبوية:

لا شك أن واقعة انشقاق القمر وغيرها من الوقائع هي من معجزات النبوة وهي بعبارة أخرى تشكل جزءا من الولاية التكوينية التي قد يهبها الله لرسله وأنبيائه وخاصة أوليائه.

إنها ليست حدثا منفصلا عن سياق النبوة وإقامة الحجة على الخلائق أجمعين.

فسجود الملائكة لآدم عليه السلام داخل في هذه الولاية التكوينية وهو سجود الخضوع والطاعة لنبي الله ولسر الله المودع في أرواح الأنبياء فضلا عن أنه خضوع لمن حمله الله أمانة الدين **{فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين}** فما بالك بسيد الأنبياء والمرسلين.

وإذا كانت الملائكة قد سجدت لآدم أي خضعت وأذعنت وائتمرت بأمر الله فالملائكة ليست سوى جند من أجناد الله تنفذ ما يأمر به الله عز وجل من أمر **{لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون}**.

من هنا فحدوث المعجزات على يد النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله سيد الخلق والحجة على العالمين فضلا عن ثبوته بالنص القرآني والروايات المتواترة لم يكن

يوما إلغاء للعقل كما تصور البعض ممن ذهبوا في رفضهم لمعجزات النبوة حدا جاوز المعقول ويكفي أن نقرأ الآية الثانية من سورة القمر **{وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر}** وقوله تعالى **{وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاء فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ * لَقَالُواْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ} الحجر ١٤-١٥ {إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ * وَلَوْ جَاءتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ} يونس (٩٦-٩٧) لنعرف أن الهدف من هذه المعجزات لم يكن دفع هؤلاء للإيمان بل الوصول معهم إلى آخر الطريق في إقامة الحجة عليهم لئلا يقولوا لو جاءنا الرسول بمعجزة لآمنا!!.**

وها قد جاءهم الرسول بما طلبوا فما آمنوا ولا أسلموا ولا طابت قلوبهم بالإيمان بنبوة محمد صلى الله عليهم وآله وسلم وظلوا على عنادهم وقتالهم لرسول الله حتى عضهم السيف فأعلنوا استسلامهم بعد أن جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون.

وإذا أكملنا قراءة رواية الإمام علي بن أبي طالب عن معجزة الشجرة نرى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يخبرهم بخبيئة نفسهم وأن طلبهم للمعجزة لا يعدو كونها عنادا ومكابرة **(فَإِنِّي سَأُرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ، وإِنِّي لأَعْلَمُ أَنَّكُمْ لا تَفِيئُونَ إِلَى خَيْر وَإِنَّ فِيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِي الْقَلِيبِ، وَمَنْ يُحَزِّبُ الأَحْزَابَ)** وكانت المعجزة الكبرى والآية العظمى عندما انتهى الأمر بهؤلاء القوم تلك النهاية السوداء التي اختاروها لأنفسهم فمنهم من كان مثواه الأخير تلك البئر الهاوية الذي ألقوا فيه بعد هزيمتهم يوم بدر ومنهم من امتد به العمر وغلبت عليه شقوته فمضى يحزب الأحزاب ويجمع قوى الكفر والضلال لحرب رسول الله صلى الله عليه وآله **{قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا * وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا} مريم ٧٥-٧٦.**

الدكتور هيكل ينفي وقوع المعجزات النبوية!!

أحد الذين سعوا لنفي معجزات النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله انتصارا للعقل جاوز به حد المعقول هو الدكتور محمد حسين هيكل في كتابه حياة محمد.

الدكتور هيكل هو أحد أهم من تصدوا لكتابة السيرة النبوية في عصرنا الحديث وكتابه (حياة محمد) الذي صدر في ثلاثينات القرن الماضي به الكثير من النقاط الإيجابية

التي ينبغي أن تذكر لصالحه, إلا أن أبرز نقاط الضعف في هذا الكتاب هو إسقاطه شبه المطلق لمعجزات وكرامات الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله.

استشهد الدكتور هيكل على صحة منهجه في إسقاط معجزات النبوة بمحمد رشيد رضا (أحد أبرز مؤسسي التيار السلفي في مصر)،و صاحب مجلة المنار ردا على من اعترض على كتابه (حياة محمد) حيث ذكر رشيد رضا ما نصه "أهم ما ينكره الأزهريون والطرقيون على هيكل أو أكثره مسألة المعجزات أو خوارق العادات وقد حررتها في كتاب "الوحي المحمدي" من جميع مناحيها ومطاويها في الفصل الثاني وفي المقصد الثاني من الفصل الخامس بما أثبت به أن القرآن وحده هو حجة الله القطعية على ثبوت نبوة محمد صلى الله عليه وآله بالذات ولا يمكن في عصرنا إثبات آية إلا بها وأن الخوارق الكونية شبهة عند علمائه لا حجة لأنها موجودة في زماننا ككل زمان مضى وأن المفتونين بها هم الخرافيون من جميع الملل وبينت سبب الافتتان والفروق بين ما يدخل منها في عموم السنن الكونية والروحية وغيره".[١٣]

وينقل هيكل أيضا عن الشيخ محمد عبده في كتابه (الإسلام والنصرانية) "فالإسلام في هذه الدعوة والمطالبة بالإيمان بالله ووحدانيته لا يعتمد على شيء سوى الدليل العقلي والفكر الإنساني الذي يجري على نظامه الفطري فلا يدهشك بخارق العادة ولا يغش بصرك بأطوار غير معتادة ولا يخرس لسانك بقارعة سماوية ولا يقطع حركة فكرك بصيحة إلهية وقد اتفق المسلمون إلا قليلا ممن لا يعتد برأيه على أن الاعتقاد بالله مقدم على الاعتقاد بالنبوات وأنه لا يمكن الإيمان بالرسل إلا بعد الإيمان بالله فلا يصح أن يؤخذ الإيمان بالله من كلام الرسل ولا من الكتب المنزلة فإنه لا يعقل أن تؤمن بكتاب أنزله الله إلا إذا صدقت قبل ذلك بوجود الله وبأنه يجوز أن ينزل كتابا أو يرسل رسولا"[١٤]

ويمضي الدكتور هيكل قائلا: (**أما ومضرة الروايات التي لا يقرها العقل والعلم قد أصبحت واضحة ملموسة فمن الحق على كل من يعرض لهذه الأمور أن يراعي جانب الدقة العلمية في تمحيصها خدمة للحق وخدمة للإسلام ولتاريخ النبي العربي وتمهيدا لما**

---

[١٣] - محمد رشيد رضا ، المنار ،٣مايو /آيار ١٩٥٣.

[١٤] - د/ محمد حسين هيكل ، حياة محمد ، ص٦٩-٧٠. القاهرة ، دار المعارف .

يجلوه البحث في هذا التاريخ العظيم من حقائق تنير أمام الإنسانية سبيلها إلى الحضارة الصحيحة).

(ولو أننا عرضنا كثيرا من الأمور التي ترويها كتب السيرة وكتب الحديث على ما في القرآن لما وسعنا إلا أن نأخذ برأي الأئمة المدققين فقد كان أهل مكة يطلبون إلى النبي أن يجري على يديه المعجزات إذا أرادهم أن يصدقوه فنزل القرآن يذكر ما طلبوا ويدفعه بحجج مختلفة قال تعالى:

{وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاء كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ قَبِيلاً * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاء وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إَلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً } (٩٠-٩٣) الإسراء

وقوله تعالى {وَأَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءتْ لاَ يُؤْمِنُونَ * وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ * وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلآئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ إِلاَّ أَن يَشَاء اللّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ } (١٠٩- ١١١) الأنعام)

ثم يقول الدكتور هيكل (ولم يرد في كتاب الله ذكر لمعجزة أراد الله بها أن يؤمن الناس كافة على اختلاف عصورهم برسالة محمد إلا القرآن الكريم هذا مع أنه ذكر المعجزات التي جرت بإذن الله على أيدي من سبق محمدا من الرسل كما أنه جرى بالكثير مما أفاء الله على محمد وما وجه إليه الخطاب فيه وما ورد في الكتاب عن النبي العربي لا يخالف سنة الكون في شيء).

ثم يتساءل: (أي داع دعا طائفة من المسلمين فيما مضى ويدعو طائفة منهم اليوم إلى إثبات خوارق مادية للنبي العربي؟؟

إنما دعاهم لذلك أنهم تلوا ما جاء في القرآن من معجزات من سبق محمدا من الرسل فاعتقدوا أن هذا النوع من الخوارق المادية لازم لكمال الرسالة فصدقوا ما روي

منها وإن لم يرد في القرآن وظنوا أنها كلما ازداد عددها كانت أدل على الكمال وأدعى إلى أن يزداد الناس إيمانا بالرسالة).[15]

والواقع أننا لا نذهب إلى ما ذهب إليه الدكتور هيكل في نفيه للمعجزات والخوارق التي أجراها رب الكون على يدي رسوله محمدا صلى الله عليه وآله وسلم ونرى أن ما استدل به لا يعدو كونه خلطا بين مسألتين لا يجوز الخلط بينهما بحال من الأحوال.

المسألة الأولى أن العقل هو الحجة البالغة والدلالة الباهرة على صدق الرسالة الإسلامية وهو ما لا نراه موضعا للخلاف بين أحد من المسلمين سواء من أثبت الخوارق أو من لم يثبتها.

والمسألة الثانية هي وقوع هذه الخوارق على يدي رسول الله صلى الله عليه وآله بالفعل وأنها كانت أداة لإقامة الحجة على صنف من البشر لا ينفع معهم أي خطاب عقلي وهم أنفسهم الذين ذهبوا ضحايا كفرهم وعنادهم في تلك المواجهات التي دارت بين الإسلام والشرك.

العقل هو الأداة الرئيسة لمعرفة الخالق عز وجل وهو الحجة الباطنة التي توزن بها الأدلة الفرعية على الأدلة الكلية المحكمة فيسقط بموجبها الفرعي إذا تناقض مع الكلي.

ولذا فإن الخالق عز وجل خاطب الناس بآياته الكلية العقلية وذهب معهم إلى نهاية الشوط عندما طالب البعض بالمعجزات والخوارق فأظهرها لهم إقامة لحجته البالغة عليهم وإثباتا لأن علة كفرهم هو تلك النفس المريضة التي لا ينفع معها خطاب عقلي ولا خارق غير عادي لا يمكن أن يأتي به غير نبي الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم **{قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ}. يونس ١٠١**

العقل وحده وكفى لم يكن هو المخاطب من الله عز وجل ولو تأمل الدكتور هيكل في آيات القرآن التي استدل بها قبل أن يخرج بهذا الاستنتاج القاطع لانتبه إلى أن آيات سورة الأنعام تتحدث عن القلب والأبصار أي العقل وهذا معنى قوله تعالى في سورة الأنعام آية ١١٠ **{وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي**

---

[15] - **د/ محمد حسين هيكل / السابق ، ص٧١-٧٢.**

طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ } وهذا أيضا معنى قوله تعالى في سورة المطففين {كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون} ومن البديهي أن العقل أو الضمير يختلف عن العقل.

ولو كانت إقامة الحجة العقلية كافية وحدها لإدامة الإيمان لما ارتد من ارتد بعد ذلك قوم ممن أسلموا ولما نافق من نافق منهم مع بقائهم على ظاهر الإسلام والسبب أيضا هو مرض القلوب {في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا}.

الآيات التي استدل بها الدكتور هيكل لا تنفي وقوع المعجزات ولكنها تنفي إمكانية إيمان هؤلاء المعاندين أيا كان الخطاب الموجه إليهم سواء كان عقليا أو قلبيا أو إعجازيا.

إنها طبيعة معاكسة ومعوجة لا يجدي معها عقل ولا منطق وهو المعنى الذي نستفيده من تلك الآيات التي استدل بها على نفي المعجزات واستفدنا نحن منها نفي أي إمكانية لإيمان هؤلاء {وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلآئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللّهُ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ}.

إنها نفس الشخوص التي حكى عنها ربنا عز وجل في **سورة الأنعام أيضا** {وَلَوْ تَرَىَ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى النَّارِ فَقَالُواْ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} (٢٧- ٢٨).

المعنى إذا أن هؤلاء القوم لو خاطبتهم بالعقل فلن يؤمنوا ولو أظهرت لهم المعجزات لتقطع عليهم طريق المجادلة فلن يؤمنوا ولو انكشف لهم الغطاء عن غيب الله المكنون وشاهدوا الجنة والنار رأي العين وبدا لهم عين اليقين لطلبوا مهلة للعودة والإيمان مرة أخرى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون مجادلون مكابرون!!.

هل حقا أن القرآن لم يأت على ذكر معجزات النبوة؟؟.

وفي محاولة منه لإقرار منهجه (العقلي) في قراءة أحداث السيرة نراه يتخلى حتى عن الدليل الذي استدل به لإبطال المعجزات الإلهية وهو عدم ورود ذكر لأي من تلك المعجزات في القرآن الكريم في حين أثبت القرآن الكريم واحدة من تلك المعجزات الهاشمية وهي معجزة إهلاك جيش أبرهة عندما أرسل الله عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل.

إنها المعجزة التي أفرد لها الله تبارك وتعالى لها سورة كاملة سميت باسمها هي سورة الفيل: **{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ}.**

ومع ذلك لم يجد الدكتور هيكل حرجا في سبيل نفيه للمعجزات أن يحور الواقعة خلافا لما هو مشهور فيزعم أن عبد المطلب حاول أن يقنع أبرهة بالرحيل وعدم هدم الكعبة و(لكنه أبى إباء تاما كل حديث في أمر الكعبة ورجوعه عن هدمها ورفض ما عرض عليه من النزول عن ثلث ثروة تهامة وعاد عبد المطلب وقومه إلى مكة فنصح الناس بالخروج منها إلى شعاب الجبل خوفا من أبرهة وجيشه) وأن عبد المطلب وقومه (أخذ حلقة باب الكعبة وجعلوا يدعون ويستنصرون بآلهتهم على هذا المعتدي على بيت الله) وأن هذه الطير الأبابيل التي حكى عنها رب العزة في سورة الفيل هي (وباء الجدري الذي تفشى بالجيش وبدأ يفتك به وكان فتكا ذريعا لم يعهد من قبل ولعل جراثيم الوباء جاءت مع الريح من ناحية البحر وأصابت العدوى أبرهة نفسه ففتكت به) .[١٦]

ورغم أن الدكتور هيكل حاول واجتهد أن يلتزم بالمنهج العقلي إلا أنه لم يستنكف عن نقل أسطورة البخاري المزعومة عن محاولة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم إلقاء نفسه من أعلى حراء أو أبيَ قبيس ولا أدري أي عقل سوي يقبل أن يروي مثل هذه الرواية حتى وإن أوردها تحت لائحة (قيل) كما وضعها هو.

بنو أمية: أعلم بشئون دنياكم!!.

قلنا أن التهجم على مقام النبي الأكرم محمدا صلى الله عليه وآله وسلم ومحاولة الحط من شأنه هو بلاء ابتليت به أمتنا الإسلامية التي كانت ولا زالت تتخبط في دينها ودنياها.

فالأمر لم يقف عند نفي البعض لمعجزات رسول الله وكراماته بل تخطاه لإمكانية ارتكابه لأخطاء دنيوية والتفريق بين ما يأمر به على سبيل التشريع وما يأمر به على سبيل الوصايا الدنيوية وهو في مثل هذه الحالة بشر يصيب ويخطئ والباقي معلوم فبنو أمية أعلم بشئون دنياكم!!!.

---

[١٦] – د/ محمدحسين هيكل / السابق ، ص١١٩.

فقد روى مسلم بن الحجاج قال:

قال قدم نبي الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يؤبرون النخل يقولون يلقحون النخل فقال ما تصنعون قالوا كنا نصنعه قال لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا فتركوه فنفضت أو فنقصت قال فذكروا ذلك له فقال إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به وإذا أمرتكم بشيء من رأي فإنما أنا بشر.

كما روى أيضا: أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بقوم يلقحون فقال لو لم تفعلوا لصلح قال فخرج شيصا فمر بهم فقال ما لنخلكم قالوا قلت كذا وكذا قال أنتم أعلم بأمر دنياكم.

* موسى بن طلحة عن أبيه قال مررت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوم على رءوس النخل فقال ما يصنع هؤلاء فقالوا يلقحونه يجعلون الذكر في الأنثى فيلقح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أظن يغني ذلك شيئا قال فأخبروا بذلك فتركوه فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه فإني إنما ظننت ظنا فلا تؤاخذوني بالظن ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئا فخذوا به فإني لن أكذب على الله عز وجل.

ولك أن تتخيل أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي نزل عليه كلام الله **(ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا)** قد أفتى بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير مما أدى إلى وقوع خسارة جسيمة لمحصول التمر الذي يشكل الثروة الرئيسة الزراعية لأهل المدينة!!.

لماذا كل هذا؟؟.

لكي يعلم الناس أنهم أعلم بشئون دنياهم!!.

بينما يروي ابن هشام في السيرة النبوية قصة عتق سلمان الفارسي قال سلمان: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : كاتب يا سلمان؛ فكاتبت صاحبي على ثلثمائة نخلة أحييها له بالفقير، وأربعين أوقية. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: أعينوا أخاكم، فأعانوني بالنخل، الرجل بثلاثين وَدِيَّة، والرجل بعشرين ودية، والرجل بخمس عشرة ودية، والرجل بعشر، يعين الرجل بقدر ما عنده ، حتى اجتمعت لي ثلاثمائة

ودية؛ فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: اذهب يا سلمان ففقِّر لها، فإذا فرغت فأتني أكنْ أنا أضعها بيدي .

قال: ففقَّرت وأعانني أصحابي، حتى إذا فرغت جئته فأخبرته ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معي إليها، فجعلنا نقرب إليه الودي، ويضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده، حتى فرغنا. فالذي نفس سلمان بيده ما ماتت منها ودية واحدة.

قال: فأديت النخل وبقي عليّ المال. فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل بيضة الدجاجة من ذهب، من بعض المعادن ، فقال: ما فعل الفارسي المكاتب؟ قال: فدعيت له، فقال: (خذ هذه، فأدها مما عليك يا سلمان) قال: قلت: وأين تقع هذه يا رسول الله مما علي؟ فقال: خذها فإن الله سيؤدي بها عنك .

قال: فأخذتها فوزنتُ لهم منها، والذي نفس سلمان بيده أربعين أوقية، فأوفيتهم حقهم منها ، وعتق سلمان . فشهدت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الخندق حرا ، ثم لم يفتني معه مشهد .

قال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن رجل من عبد القيس عن سلمان: أنه قال: لما قلت: وأين تقع هذه من الذي علي يا رسول الله ؟ أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلبها على لسانه، ثم قال: خذها فأوفهم منها، فأخذتها، فأوفيتهم منها حقهم كله، أربعين أوقية[١٧].

كما يروي ابن سعد في الطبقات نقلا عن سلمان الفارسي قال: ثم أسلمت وشغلني الرق وما كنت فيه حتى فاتني بدر وأحد ثم قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتب فسألت صاحبي ذلك فلم أزل حتى كاتبني على أن أحيي له ثلاثمائة نخلة وأربعين أوقية من ورق ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعينوا أخاكم بالنخل فأعانني كل رجل بقدره بالثلاثين والعشرين والخمس عشرة والعشر ثم قال يا سلمان اذهب ففقر لها فإذا أنت أردت أن تضعها فلا تضعها حتى تأتيني فتؤذنني فأكون أنا الذي أضعها بيدي فقمت في تفقيري فأعانني أصحابي حتى فقرنا شربا ثلاثمائة شربة جاء كل رجل بما أعانني به من النخل ثم جاء رسول الله فجعل يضعها بيده يسوي عليها شربها ويبرك حتى فرغ منها

---

[١٧] السيرة النبوية لابن هشام.ص١٦٣-١٦٤. دار الطلائع. القاهرة ٢٠٠٥. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.

رسول الله جميعا فلا والذي نفس سليمان بيده ما ماتت منه ودية وبقيت الدراهم فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم في أصحابه إذ أتاه رجل من أصحابه بمثل البيضة من ذهب أصابها من بعض المعادن فتصدق بها إليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعل الفارسي المسكين المكاتب ادعوه لي فدعيت له فجئت فقال اذهب بهذا فأدها عنك مما عليك من المال قال وقلت وأين يقع هذا مما علي يا رسول الله قال إن سيؤدي عنك قال بن إسحاق فأخبرني يزيد بن أبي حبيب أنه كان في هذا الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعها يومئذ على لسانه ثم قلبها ثم قال لي اذهب فأدها عنك ثم عاد حديث بن عباس ويزيد أيضا قال سلمان فوالذي نفسي بيده لوزنت له منها أربعين أوقية حتى وفيته الذي له وعتق سلمان وشهد الخندق وبقية مشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حرا مسلما حتى قبضه الله.[18]

ولا أدري أيها نصدق نخل سلمان الذي جيء به إلى رسول الله مجرد فسائل صغيرة تحتاج إلى سنوات وسنوات حتى تنبت فغرسها رسول الله وباركها بيده الشريفة فأنبتت في أسابيع وهو النخل الذي بقي بعد ذلك عديد القرون حتى جاءت يد الحقد الوهابي فاقتلعته أم نخل عكرمة بن عمار الذي لم ينبت وخرج شيصا ليعلم الناس أن بني أمية أعلم من رسول الله وأهل بيته بأمور دنيانا وأن رسولنا الأكرم لا يعدو كونه مجرد مبلغ عن ربه وليس أبدا تلك الرحمة المهداة ولا النعمة المسداة.

نزول الوحي

يقول الإمام علي بن أبي طالب: وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللهِ (صلى الله عليه وآله) بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ، وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ: وَضَعَنِي فِي حِجْرِه وَأَنا وليدٌ يَضُمُّنِي إِلى صَدْرِه، وَيَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِه، وَيُمِسُّنِي جَسَدَهُ، وَيُشِمُّنِي عَرْفَهُ، وَكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ، وَمَا وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْل، وَلاَ خَطْلَةً فِي فِعْل.

[18] – ابن سعد ، مرجع سابق ، ٦٩-٤/٧٠.

وَلَقَدْ قَرَنَ اللهُ تَعَالَى بهِ (صلى الله عليه وآله) مِنْ لَدُنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَك مِنْ مَلاَئِكَتِهِ يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ، وَمَحَاسِنَ أَخْلاَقِ الْعَالَمِ، لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ، وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّهِ، يَرْفَعُ لي فِي كُلِّ يَوْم عَلَماً مِنْ أَخْلاقِهِ، وَيَأْمُرُني بالاقْتِدَاءِ بِهِ.

وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَة بِحِرَاءَ، فَأَرَاهُ وَلاَ يَرَاهُ غَيْرِي، وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئذ فِي الإسْلاَمِ غَيْرَ رَسُولِ اللهِ (صلى الله عليه وآله) وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا، أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ، وَأَشُمُّ رِيحَ النُّبُوَّةِ.

وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ (صلى الله عليه وآله) فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا هذِهِ الرَّنَّةُ؟ فَقَالَ: "هذَا الشَّيْطَانُ قَدْ أَيِسَ مِنْ عِبَادَتِهِ، إنَّكَ تَسْمَعُ ما أَسْمَعُ، وَتَرَى مَا أَرَى، إلاَّ أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيّ، وَلكِنَّكَ وَزِيرٌ، وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْر".[19]

روى الكليني في الكافي عن الأحول قال سألت أبا جعفر (الإمام الباقر) عليه السلام عن الرسول والنبي والمحدث فقال: الرسول الذي يأتيه جبريل قبلا فيراه ويكلمه فهذا الرسول وأما النبي فهو الذي يرى في منامه نحو رؤيا إبراهيم ونحو ما كان رأى رسول الله صلى الله عليه وآله من أسباب النبوة قبل الوحي حتى أتاه جبريل عليه السلام من عند الله بالرسالة وكان محمد صلى الله عليه وآله حين جمع له النبوة وجاءته الرسالة من عند الله يجيئه بها جبريل ويكلمه بها قبلا ومن الأنبياء من جمع له النبوة ويرى في منامه ويأتيه الروح ويكلمه ويحدثه من غير أن يكون يرى في اليقظة وأما المحدث فهو الذي يحدث فيسمع ولا يعاين ولا يرى في منامه.

المُحَدَّث هو من تحدثه الملائكة كأم موسى ومريم ابنة عمران **{إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين}** آل عمران **{وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه}** ومن المعلوم أن أيا من أم موسى أو مريم ابنة عمران لم تكونا من الأنبياء ولا من المرسلين.

والمعنى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان نبيا قبل أن يبعث بالرسالة وينزل عليه القرآن وأنه صلوات الله وسلامه عليه كما يذكر الرواة أول ما بدأه الوحي كان الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح.[20]

---

[19] – نهج البلاغة ، خطبة ١٩٢.

[20] – الكليني، الكافي ، باب الحجة ج١.

كما روى مسلم في (صحيحه) عن رسول الله ص: (إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن).

يروي أبو الفداء في تاريخه نقلا عن دلائل النبوة للبيهقي ما يلي:

ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين سنة بعثه الله تعالى إلى الأسود والأحمر رسولا ناسخا بشريعته الشرائع الماضية فكان أول ما ابتدئ به من النبوة الرؤيا الصادقة وحبب الله تعالى إليه الخلوة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور في جبل حراء من كل سنة شهرا فلما كانت سنة مبعثه خرج إلى حراء في رمضان للمجاورة فيه ومعه أهله.

حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله سبحانه وتعالى فيها جاءه جبريل عليه السلام فقال له: اقرأ. قال له فما أقرأ؟؟ قال: **{اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق...}.**

ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم خرج إلى وسط الجبل فسمع صوتا من جهة السماء: يا محمد أنت رسول الله وأنا جبرائيل فبقي واقفا في موضعه يشاهد جبرائيل حتى انصرف جبرائيل ثم انصرف النبي صلى الله عليه وسلم وأتى خديجة فحكى لها ما رأى فقالت: أبشر فوالذي نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة ثم انطلقت خديجة إلى ورقة بن نوفل وهو ابن عمها وكان ورقة قد نظر في الكتب وقرأها وسمع من أهل التوراة والإنجيل فأخبرته ما أخبرها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ورقة: قدوس والذي نفس ورقة بيده لئن صدقتني يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى بن عمران وإنه نبي هذه الأمة فرجعت خديجة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بقول ورقة.

ولما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره وانصرف طاف بالبيت أسبوعا ثم انصرف إلى منزله ثم تواتر الوحي إليه أولا فأولا وكان أول الناس إسلاما خديجة لم يتقدمها أحد وفي الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا أربع: آسية زوجة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد)[٢١].

---

[٢١] المختصر في تاريخ البشر لأبي الفداء , ج١ ص ١٤٦ نفس الطبعة.

هذا عن الطريقة التي نزل بها الوحي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والحوار الذي جرى بينه وبين جبريل عليه السلام عندما قال له اقرأ فقال ما أقرأ؟؟ قال اقرأ بسم ربك الذي خلق.. فقرأها الرسول صلى الله عليه وآله.

ونحن لا نعتقد على الإطلاق بحدوث المفاجأة على الطريقة المذكورة في البخاري أو غيره تلك المفاجأة التي تدفع رسول الله للحيرة والذهول وكأنها كانت المرة الأولى التي يشعر فيها الرسول بالتواصل بينه وبين جبريل عليه السلام ولا يمنع على الإطلاق أن تكون الرهبة التي أحس بها عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأتم السلام رهبة ناتجة عن إدراكه لعظم المسئولية والأمانة الملقاة على عاتقه..

إنها رهبة تلقي التكليف الإلهي حتى ولو كان متوقعا في أي وقت وحتى من فترة طويلة.

ولكنها أبدا ليست تلك الرهبة التي تدفعه لمحاولة استجلاء الموقف ومحاولة التعرف على الهاتف الداعي من ورقة ابن نوفل.

إنها الرهبة الناشئة عن عظم الإحساس بمسئولية تلقي الوحي وتبليغه للناس أجمعين، المصدقين والمكذبين **{إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا * إن ناشئة الليل هي أشد وطءا وأقوم قيلا * إن لك في النهار سبحا طويلا * واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا * رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا * واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا * وذرني والمكذبين أولي النعمة ومهلهم قليلا} (٥-١١) المزمل**

إنها نفس الرهبة التي واجهها رسول الله عندما أمر بإنذار عشيرته الأقربين **{وأنذر عشيرتك الأقربين}** وعندما أمر بإبلاغ المسلمين بولاية علي عندما **{يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته}** وعندما أمر بالزواج من زينب بنت جحش {وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه} ولكنها أبدا ليست رهبة الخائف الوجل الحائر المضطرب الذي لا يدري من يأتيه ولا ما يخفيه له الزمان من مفاجآت فيجلس بين يدي ورقة ليسأله (أو مخرجي هم؟؟).

ينبهنا الإمام علي بن أبي طالب (ع) إلى حقيقيتين:

الأولى: أن الله تبارك وتعالى وكل برسوله (صلى الله عليه وآله) من لدن كان فطيما أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم، ليله ونهاره أي أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان عالما معلما منذ اللحظة الأولى لمولده وأن هذا العلم والهداية إلى طريق الكمال الإلهي كانت بواسطة أعظم ملك من ملائكة الله المقربين ومن هنا يصبح التساؤل عن معنى {فاجأه الوحي} أمرا مشروعا ومبررا ويصبح نفي حدوث المفاجأة أمرا منطقيا ومحسوما.

لا وجه للعجب في هذه الرواية فهو صلى الله عليه وآله كما وصف نفسه {إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق} وكما قال سبحانه {وإنك لعلى خلق عظيم} وتلك هي المرحلة الأولى التي مر بها كل الأنبياء عليهم السلام في سيرهم المتواصل نحو الكمال فلا شيء في هذا الكون يجري مصادفة {وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما} وإذا كان الغاية العظمى للبعثة النبوية تتلخص في أن يعبد الله فلا يشرك به شيئا فهذا مما لا يمكن إدراكه أو بلوغه إلا على يد {رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة}.

رجال بلغوا قمة الكمالات الإنسانية ممن صنعهم الله على عينه كما قال ربنا لموسى ع {ولتصنع على عيني}.

كما أننا ينبغي أن نتنبه إلى التفرقة بين مرحلتين:

مرحلة النبوة الممتدة منذ مولده إلى يوم مبعثه وهي مرحلة من التواصل مع الله تترقى فيها النفس وتعرج فيها إلى آفاق الكمال لترى من آيات ربها الكبرى...

ومرحلة البعثة بالرسالة الإسلامية التي نزل فيها القرآن على قلب رسول الله ليكون من المنذرين ولينذر قوما ما أنذر آباؤهم من قبل فهم غافلون.

الحقيقة الثانية: أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان عالما معلما لتلميذه ووصيه وأخيه وزوج ابنته سيدة نساء العالمين علي بن أبي طالب فترة كفالته له في بيته.

وهاهو علي يصف فترة الحضانة التربوية التي عاش فيها في كنف رسول الله صلى الله عليه وآله في منزل الوحي ينهل من العلم الإلهي فيقول: وقد علمتم موضعي من

رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة وضعني في حجره وأنا وليد يضمني إلى صدره ويكنفني في فراشه ويمسني جسده ويشمني عرفه وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه وما وجد لي كذبة في قول ولا خطلة في فعل. ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لي في كل يوم علما من أخلاقه، ويأمرني بالاقتداء به.

ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء، فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة، وأشم ريح النبوة. ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه (صلى الله عليه وآله) فقلت: يا رسول الله ما هذه الرنة؟ فقال: "هذا الشيطان قد أيس من عبادته، إنك تسمع ما أسمع، وترى ما أرى، إلا أنك لست بنبي، ولكنك وزير، وإنك لعلى خير".

التمهيد والإعداد لمرحلة البعثة النبوية المباركة كان من الضروري أن يصحبه التمهيد والإعداد لمرحلة ما بعد انتهاء هذه البعثة وهذا هو سر التواجد العلوي في البيت المحمدي بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة يضمه إلى صدره ويكنفه في فراشه ويطعمه مما يطعم.. يربيه تربية روحية وعلمية وعملية على مكارم الأخلاق وما بعث رسول الله صلى الله عليه إلا ليتمم مكارم الأخلاق عبر التلقين والاقتداء فيرى علي بن أبي طالب بأم عينيه نزول الوحي وحقيقة الإيمان عين اليقين إلا أنه ليس بنبي ولا يوحى إليه بل هو وزير كما كان هارون وزيرا لموسى **{قال رب اشرح لي صدري * ويسر لي أمري * واحلل عقدة من لساني * يفقهوا قولي * واجعل لي وزيرا من أهلي * هارون أخي * اشدد به أزري * وأشركه في أمري * كي نسبحك كثيرا * ونذكرك كثيرا * إنك كنت بنا بصيرا * قال قد أوتيت سؤلك يا موسى} (٢٥- ٣٦) طه.**

علي الصديق الأكبر:

أما كونه سلام الله عليه الصديق الأكبر والفاروق الأكبر وأول من أسلم فهذا مما مشت به الركبان حيث يروي ابن الأثير في الكامل[٢٢]: أول ذكر آمن علي وروي عن علي عليه السلام أنه قال: أنا عبد الله وأخو رسوله وأنا الصديق الأكبر لا يقولها بعدي إلا كاذب مفتر صليت مع رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ قبل الناس بسبع سنين. وقال ابن

---

[٢٢] - ابن الاثير ، مرجع سابق ، ١/٥٨٢.

عباس: أول من صلى علي وقال جابر بن عبد الله: بعث النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم الاثنين وصلى علي يوم الثلاثاء وقال زيد بن أرقم أول من أسلم مع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ علي.

قال عفيف الكندي: كنت أمرا تاجرا فقدمت مكة أيام الحج فأتيت العباس فبينا نحن عنده إذ خرج رجل فقال تجاه الكعبة يصلي ثم خرجت امرأة تصلي معه ثم خرج غلام فقال يصلي معه فقلت: يا عباس ما هذا الدين فقال: هذا محمد بن عبد الله ابن أخي زعم أن الله أرسله وأن كنوز كسرى وقيصر ستفتح عليه وهذه امرأته خديجة آمنت به وهذا الغلام علي بن أبي طالب آمن به وأيم الله ما أعلم على ظهر الأرض أحدا على هذا الدين إلا هؤلاء الثلاثة! قال عفيف: ليتني كنت رابعا وقال محمد بن المنذر وربيعة بن أبي عبد الرحمن وأبو حازم المدي والكلبي: أول من أسلم علي, قال الكلبي: كان عمره تسع سنين وقيل إحدى عشرة سنة وقال ابن إسحاق: أول من أسلم علي وعمره إحدى عشرة سنة.

وكان من نعمة الله عليه أن قريشا أصابتهم أزمة شديدة وكان أبو طالب ذا عيال كثيرة فقال يوما رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لعمه العباس: يا عم إن أبا طالب كثير العيال فانطلق بنا نخفف عن عيال أبي طالب فانطلقا إليه وأعلماه ما أرادا فقال أبو طالب: اتركا لي عقيلا واصنعا ما شئتما فأخذ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عليا وأخذ العباس جعفرا فلم يزل علي عند النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى أرسله الله فاتبعه.

وكان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا أراد الصلاة انطلق هو وعلي إلى بعض الشعاب بمكة فيصليان ويعودان.

أما كونه وزيرا فيشهد على ذلك حديث يوم الدار وهي الرواية التي يرويها ابن الأثير الجزري في الكامل وأبو الفداء[٢٣] في تاريخه واللفظ لابن الأثير: قال جعفر بن عبد الله بن أبي الحكم: لما أنزل الله على رسوله وأنذر عشيرتك الأقربين اشتد ذلك عليه وضاق به ذرعا فجلس في بيته كالمريض فأتته عماته يعدنه فقال: ما اشتكيت شيئا ولكن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين فقلن له: فادعهم ولا تدع أبا لهب فيهم فإنه غير مجيبك.

---

[٢٣] **المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء, ص ١٤٧-١٤٨. نفس الطبعة.**

فدعاهم ـ صلى الله عليه وسلم ـ فحضروا ومعهم نفر من بني المطلب بن عبد مناف فكانوا خمسة وأربعين رجلا فبادره أبو لهب وقال: هؤلاء هم عمومتك وبنو عمك فتكلم ودع الصباة واعلم أنه ليس لقومك في العرب قاطبة طاقة وأن أحق من أخذك فحبسك بنو أبيك وإن أقمت على ما أنت عليه فهو أيسر عليهم من أن يثب بك بطون قريش وتمدهم العرب فما رأيت أحدا جاء على بني أبيه بشر مما جئتهم به.

فسكت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم يتكلم في ذلك المجلس ثم دعاهم ثانية وقال: الحمد لله أحمده وأستعينه وأؤمن به وأتوكل عليه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ثم قال: إن الرائد لا يكذب أهله والله الذي لا إله إلا هو إني رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس عامة والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون وإنها الجنة أبدا والنار أبدا. فقال أبو طالب: ما أحب إلينا معاونتك وأقبلنا لنصيحتك وأشد تصديقنا لحديثك وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون وإنما أنا أحدهم غير أني أسرعهم إلى ما تحب فامض لما أمرت به فوالله لا أزال فقال أبو لهب: هذه والله السوءة! خذوا على يديه قبل أن يأخذ غيركم. فقال أبو طالب: والله لنمنعنه ما بقينا.

وقال علي بن أبي طالب: لما نزلت: **{وأنذر عشيرتك الأقربين}** **(سورة الشعراء)** ٢١٤. دعاني النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال: يا علي إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين فضقت ذرعا وعلمت أني متى أبادرهم بهذا الأمر أر منهم ما أكره فصمت عليه حتى جاءني جبرائيل فقال: يا محمد إلا تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك فاصنع لنا صاعا من طعام واجعل عليه رجل شاة واملأ لنا عسا من لبن واجمع لي بني عبد المطلب حتى أكلمهم وأبلغهم ما أمرت به ففعلت ما أمرني به ثم دعوتهم وهم يومئذ أربعون رجلا يزيدون رجلا أو ينقصونه فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب فلما اجتمعوا فتنفها بأسنانه ثم ألقاها في نواحي الصحفة ثم قال: خذوا باسم الله فأكل القوم حتى ما لهم بشيء من حاجة وما أرى إلا مواضع أيديهم وأيم الله الذي نفس علي بيده إن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدمت لجميعهم! ثم قال: اسق القوم فجئتهم بذلك العس فشربوا منه حتى رووا جميعا وأيم الله إن كان الرجل الواحد ليشرب مثله! فلما أراد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يكلمهم بدره أبو لهب إلى الكلام فقال: لشد ما سحركم به صاحبكم فتفرق القوم ولم يكلمهم ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال: الغد يا علي إن هذا الرجل سبقني إلى ما سمعت من القول فتفرقوا قبل أن أكلمهم فعد لنا من الطعام بمثل ما صنعت ثم اجمعهم إلي ففعل مثل ما فعل بالأمس فأكلوا وسقيتهم ذلك العس فشربوا حتى

رووا جميعـا وشبعوا ثم تكلم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال: يـا بنـي عبـد المطلب إني والله ما أعلم شابا في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتكم به قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقـد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه فأيكم يؤازرني على هذا الأمر **علـى أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم** فأحجم القوم عنها جميعا وقلت وإني لأحدثهم سـنا وأرمصهم عينا وأعظمهم بطنا وأحمشهم ساقا: أنا يا نبي الله أكون وزيـرك عليـه فـأخذ برقبتي ثم قال: إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا قال: فقـام القـوم يضحكون فيقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع[٢٤].

الرواية نفسها ذكرها ابن جرير الطبري في تاريخه بزيادة طفيفة: حدثنا ابن حميـد قال حدثنـا سلمة قال حدثني محمد بن إسحاق عن عبد الغفار بن القاسم عن المنـهال بـن عمرو عن عبـد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب عن عبـد الله بـن عباس عن علي بن أبي طالب قال لما نزلت هذه الآية على رسـول الله وأنـذر عشـيرتك الأقربين دعاني رسـول الله فقال لي يا علي إن الله أمرني أن أنـذر عشـيرتي الأقربيـن فضقت بذلك ذرعا وعرفت أني متى أباديهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره فصمـت عليـه حتى جاءني جبرئيل فقال يا محمد إنك إلا تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك فاصنع لنا صاعـا من طعام واجعل عليه رجل شاة واملأ لنا عسا من لبن ثم اجمع لي بني عبد المطلب حتـى أكلمهم وأبلغهم ما أمرت به ففعلت ما أمرني به ثم دعوتهم له وهم يومئذ أربعـون رجـلا يزيدون رجلا أو ينقصونه فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب فلما اجتمعـوا إليه دعاني بالطعام الـذي صنعت لهم فجئت به فلما وضعته تناول رسول الله حذيـة مـن اللحم فشقها بأسنانه ثم ألقاها في نواحي الصحفة ثم قال خذوا بسم الله فأكل القوم حتى مـا لهم بشيء حاجة وما أرى إلا موضع أيديهم وأيم الله الذي نفس علي بيده وإن كان الرجـل الواحد منهم ليأكل ما قدمت لجميعهم ثم قال اسق القوم فجئتهم بذلك العس فشربوا منه حتـى رووا منه جميعا وأيم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله فلما أراد رسـول الله أن يكلمهم بدره أبو لهب إلى الكلام فقال لشد ما سحركم صاحبكم فتفرق القـوم ولـم يكلمـهم رسول الله فقال الغد يا علي إن هذا الرجل سبقني إلى ما قد سمعت من القول فتفرق القـوم قبل أن أكلمهم فعد لنا من الطعام بمثل ما صنعت ثم اجمعهم إلي قال ففعلت ثم جمعتهم ثـم دعاني بالطعام فقربته لهم ففعل كما فعل بالأمس فأكلوا حتى ما لهم بشيء حاجة ثـم قـال اسقهم فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا منه جميعا ثم تكلم رسول الله فقال يا بني عبـد

---

[٢٤] – ابن الاثير ، مرجع سابق ، ١/٥٨٥.

المطلب إني والله ما أعلم شابا في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتكم به إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني الله تعالى أدعوكم إليه فأيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم قال فأحجم القوم عنها جميعا وقلت وإني لأحدثهم سنا وأرمصهم عينا وأعظمهم بطنا وأحمشهم ساقا أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه فأخذ برقبتي ثم قال إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا قال فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع حدثني زكريا بن يحيى الضرير قال حدثنا عفان بن مسلم قال حدثنا أبو عوانة عن عثمان بن المغيرة عن أبي صادق عن ربيعة بن ناجد أن رجلا قال لعلي عليه السلام يا أمير المؤمنين بم ورثت ابن عمك دون عمك فقال علي هاؤم ثلاث مرات حتى اشرأب الناس ونشروا آذانهم ثم قال جمع رسول الله أو دعا رسول الله بني عبد المطلب منهم رهطه كلهم يأكل الجذعة ويشرب الفرق قال فصنع لهم مدا من طعام فأكلوا حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو كأنه لم يمس قال ثم دعا بغمر فشربوا حتى رووا وبقي الشراب كأنه لم يمس ولم يشربوا قال ثم قال يا بني عبد المطلب إني بعثت إليكم بخاصة وإلى الناس بعامة وقد رأيتم من هذا الأمر ما قد رأيتم فأيكم يبايعني على أن يكون أخي وصاحبي ووارثي فلم يقم إليه أحد فقمت إليه وكنت أصغر القوم قال فقال اجلس قال ثم قال ثلاث مرات كل ذلك أقوم إليه فيقول لي اجلس حتى كان في الثالثة فضرب بيده على يدي قال فبذلك ورثت ابن عمي دون عمي.

ومن المؤسف أن يروي الدكتور هيكل في كتابه واقعة الدار بصورة مبتورة وناقصة كما يلي:

لما نزل قول الله تبارك وتعالى {وأنذر عشيرتك الأقربين} دعا محمد صلى الله عليه وآله عشيرته وقومه إلى طعام في بيته وحاول أن يدعوهم إلى الله فقطع عمه أبو لهب حديثه واستنفر القوم ليقوموا.

ثم دعاهم محمد صلى الله عليه وآله في الغداة مرة أخرى فلما طعموا قال لهم: ما أعلم إنسانا في العرب جاء قومه بأفضل مما جئت به, جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني ربي أن أدعوكم إليه فأيكم يؤازرني على هذا الأمر ؟؟ فأعرضوا عنه وهموا بتركه لكن عليا نهض وهو ما يزال صبيا دون الحلم وقال "أنا يا رسول الله عونك, أنا حرب على من حاربت" فابتسم بنو هاشم وقهقه بعضهم وجعل نظرهم ينتقل من أبي طالب إلى ابنه ثم انصرفوا مستهزئين.[٢٥]

[٢٥] د/ محمد حسين هيكل ، مرجع سابق ، ص٤٦.

الهجــــرة

يقول أمير المؤمنين:

فمن الإيمان ما يكون ثابتا مستقرا في القلوب، ومنه ما يكون عوارى بين القلـــوب والصدور، إلى أجل معلوم، فإذا كانت لكم براءة من أحد فقفوه حتى يحضره الموت، فعنـــد ذلك يقع حد البراءة.

والهجرة قائمة على حدها الأول، ما كان لله تعالى في أهـــل الأرض حاجـــة مـــن مستسر الأمة ومعلنها، لا يقع اسم الهجرة على أحد إلا بمعرفة الحجة فـــي الأرض، فمـــن عرفها وأقر بها فهو مهاجر، ولا يقع اسم الاستضعاف على من بلغته الحجة فسمعتها أذنـــه ووعاها قلبه.

إن أمرنا صعب مستصعب، لا يحتمله إلا عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمـــان، ولا يعي حديثنا إلا صدور أمينة، وأحلام رزينة.

أيها الناس، سلوني قبل أن تفقدوني فلأنا بطرق السماء أعلم مني بطـــرق الأرض قبل أن تشغر برجلها فتنة تطأ في خطامها وتذهب بأحلام قومها.[٢٦]

لا وإنكم قد نفضتم أيديكم من حبل الطاعة وثلمتم حصن الله المضـــروب عليكـــم، بأحكام الجاهلية، فإن الله سبحانه قد امتن على جماعة هذه الأمة فيما عقد بينهم من حبل هذه الألفة التي ينتقلون في ظلها، ويأوون إلى كنفها، بنعمة لا يعرف أحد من الـــمخلوقين لـــــها قيمة، لأنها أرجح من كل ثمن، وأجل من كل خطر.

واعلموا أنكم صرتم بعد الهجرة أعرابا، وبعد الموالاة أحزابا، مـــا تتعلقـــون مـــن الإسلام إلا باسمه، ولا تعرفون من الإيمان إلا رسمه، تقولون: النـــار ولا العـــار! كـــأنكم تريدون أن تكفئوا الإسلام على وجهه،

انتهاكا لحريمه، ونقضا لميثاقه الذي وضعه الله لكم حرما في أرضه، وأمنـــا بيـــن خلقه.

وإنكم إن لجأتم إلى غيره حاربكم أهل الكفـــر، ثـــم لا جـــبرائيل ولا ميكـــائيل ولا مهاجرون ولا أنصار ينصرونكم إلا المقارعة بالسيف حتى يحكم الله بينكم.

---

[٢٦] - نهج لبلاغة ، خطبة ١٨٩.

وإن عندكم الأمثال من بأس الله تعالى وقوارعه، وأيامه ووقائعه فلا تستبطئوا عيده جهلا بأخذه وتهاونا ببطشه، ويأسا من بأسه فإن الله سبحانه لم يلعن القرن الماضي بن أيديكم إلا لتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلعن السفهاء لركوب المعاصي والحلماء لترك التناهي![٢٧]

المفهوم الحقيقي للهجرة

يقدم لنا الإمام عليه السلام في هذه الكلمات المفهوم الحقيقي للهجرة وهو مفهوم يتجاوز الانتقال المكاني من مكة إلى المدينة لتحقيق الأمن الذاتي للفرد المسلم أو للجماعة المسلمة والفرار من اضطهاد القوى الظالمة.

الهجرة الحقيقية إلى الله ورسوله لا تتحقق إلا من خلال معرفة الحجة الإلهية على الخلق أجمعين الذي كان يومها رسول الله صلى الله عليه وآله ومن بعده إمام الأمة من آل محمد صلى الله عليه وآله.

لقد تحقق مفهوم الهجرة يومها بانتقال جماعة المهاجرين من مكة إلى المدينة المنورة والالتفاف حول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حجة الله على خلقه حيث تكونت اللبنة الأولى للمجتمع المسلم ومن ثم فقد وقع عليهم اسم الهجرة بمعرفة الحجة في الأرض والإقرار بها وهو رسول الله صلى الله عليه وآله والإمام من بعده ومن فعل هذا التزاما بطاعة رسول الله وحجته على العالمين فهو مهاجر إلى الله ورسوله وهو وصف قابل وصف الاستضعاف الذي لا ينطبق على من بلغته الحجة فسمعتها أذنه ووعاها قلبه أو بلغته فلم يعي شيئا كحال أغلب المسلمين الآن.

الاستضعاف الذي يتحدث عنه الإمام علي هو تلك الحالة التي تعيشها الآن الكثرة الغالبة من أبناء الأمة الإسلامية الذين لا يعرفون من الإسلام سوى تلك الصور والقشور التي يقدمها لهم زبانية الإسلام الأموي من أصحاب الخطب الخشبية الطنانة الرنانة فاقدة الروح والمعنى لفقدانها كل صلة وارتباط بمنهل الإسلام العذب الصافي إسلام أهل بيت العصمة والنبوة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وعلى رأسهم من دون أدنى شك إمام الأمة وحجة الله على خلقه ومعرفة الإمام هنا تمثل ضمانة حقيقية تمنع سقوط المرء المسلم في براثن الدجالين المتاجرين بالدين والمحرفين الكلم عن مواضعه.

---

[٢٧] - نهج البلاغة ، خطبة ١٩٢.

وبالتالي فالمستضعف الحقيقي لا يمكن أن يكون ذلك الإنسان المعذب الثابت على دينه الحق بل هو الواقع في براثن هؤلاء الدجالين الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار والذين قادوا المسلمين طيلة هذه القرون من هزيمة إلى هزيمة ومن نكسة إلى مصيبة وهم مصرون على نهجهم في تضليل المسلمين وخلط الحق بالباطل وكتمان الحق وتقديم دائهم العياء في صورة الدواء الشافي من كل داء.

الهجرة ما زالت قائمة على حدها الأول انتقالا من طاعة الطواغيت والأصنام البشرية المنصوبة للصد عن سبيل الله إلى طاعة إمام الحق وهي حالة مستمرة ومتواصلة ما كان لله في أهل الأرض من حاجة من مستتر الأمة أو المعلن بإيمانه جاهرا بالحق لا يخاف لومة لائم ولا عذل عاذل {سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف **بالليل وسارب بالنهار * له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال} (١٠-١١) الرعد.**

والمستسر هنا هو الإمام الغائب المنتظر أي إلى ما قبل قيام الساعة فمن عرف إمام زمانه فهو ليس بمستضعف.

إن هذه الآية من سورة الرعد تنبهنا إلى أن الصراع بين الحق والباطل والإيمان والنفاق هو صراع دائم ومستمر ويمكن أن يأخذ صورا وأشكالا متنوعة يضطر خلالها قادة الإيمان إلى إسرار القول أو التخفي بالليل بينما يتبجح المبطلون بأباطيلهم ويروجونها في وضح النهار وعبر وسائل الإعلام والإعلان ولا شك أن الضحية الأولى في هذا الصراع هم أولئك المستضعفون المغلوبون على أمرهم وعقولهم.

{إن الذين توفاهم الملآئكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا * إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا * فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا * ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما} النساء (٩٧-١٠٠)

الهجرة فضلا عن كونها تحركا وتوجها إلى الله ورسوله وارتباطا ثابتا بقيادة الأمة الشرعية تنشئ المجتمع المسلم الحقيقي الذي يلتف حول القيادة الشرعية المسددة من السماء وليس تلك القيادات التي وصفناها سابقا وهو المجتمع الذي يترابط برباط الألفة والولاية {واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا} وهي نعمة كما وصفها الإمام لا يمكن تثمينها أو إدراك قيمتها الحقيقية وهي ليست ألفة مصنوعة بل ألفة المؤمنين الملتفين حول إيمانهم وطاعة رسولهم وإمامهم الواثقين من أن خطوهم هو في سبيل الله ومرضاته.

إنها الحالة التي رسمت معالمها آيات آخر **سورة الأنفال:{إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير * والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير * والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم * والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم}**

(٧٢- ٧٥)

يقول الشيخ الطوسي في تفسيره التبيان:

أخبر الله تعالى في هذه الآية عن أحوال المؤمنين الذين هاجروا من مكة إلى المدينة بقوله {إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله} وعن أحوال الأنصار بقوله {والذين آووا ونصروا} يعني النبي صلى الله عليه وآله ثم قال "أولئك" يعني المهاجرين والأنصار{ بعضهم أولياء بعض }والهجرة فراق الوطن إلى غيره من البلاد فرارا من المفتنين في الدين لأنهم هجروا دار الكفار إلى دار الإسلام والجهاد تحمل المشاق في قتال أعداء الدين جاهد جهادا وجهده الأمر جهدا واجتهد اجتهادا وجاهد مجاهدة والإيواء ضم الإنسان صاحبه إليه بإنزاله عنده وتقريبه له تقول آواه يؤويه إيواء وآوى يأوي آويا وأويت معناه رجعت إلى المأوى والولاية عقد النصرة للموافقة في الديانة.

ثم اخبر الله تعالى عن الذين آمنوا ولم يهاجروا من مكة إلى المدينة فقال {والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شئ} وقيل في معناه قولان أحدهما ولاية القرابة

نفاها عنهم لأنهم كانوا يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الرحم في قول ابن عباس والحسن وقتادة والسدي وعن أبي جعفر عليه السلام انهم كانوا يتوارثون بالمؤاخاة الأولى.

الثاني انه نفي الولاية التي يكونون بها يدا واحدة في الحل والعقد فنفى عن هؤلاء ما أثبته للأولين حتى يهاجروا ثم قال {وإن استنصروكم} أي طلبوا نصركم {في الدين} يعني الذين آمنوا ولم يهاجروا {فعليكم النصر} أي نصرهم بسبب الإيمان الذي يجب عليكم أن تنصروهم على الكفار {إلا على قوم بينكم} وبينهم ميثاق يعني موادعة ومهادنة تقتضيه من جهة أن عقدهم بخلاف عقدهم.[٢٨]

لقد انقضت الهجرة المكانية وبقيت هجرة الموالاة والالتفاف حول إمام الحق والزمان من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو الآن المهدي المنتظر الذي سيملأ الأرض عدلا بعدما ملئت ظلما وجورا.

تلك الهجرة والموالاة التي نقضها القوم عندما نقضوا ميثاقهم الذي واثقوا به رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدير خم فصاروا بعد الهجرة أعرابا وبعد الموالاة أي الاصطفاف خلف راية رسول الله ووصيه ووارثه من بعده علي بن أبي طالب أحزابا كل حزب بما لديهم فرحون.

فذرهم في غمرتهم حتى حين.

[٢٨] – الطوسى ، التبيان فى تفسير القرآن ، ٣/٢٦١.

زهد رسول الله في الدنيا

يقول الإمام عن رسول الله:

قد حقر الدنيا وصغرها وأهون بها وهونها وعلم أن الله تعالى زواها عنه اختيارا، وبسطها لغيره احتقارا فأعرض عن الدنيا بقلبه وأمات ذكرها عن نفسه وأحب أن تغيب زينتها عن عينه لكيلا يتخذ منها رياشا، أو يرجو فيها مقاما.[٢٩]

ولقد كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) كاف لك في الأسوة، ودليل لك على ذم لدنيا وعيبها وكثرة مخازيها ومساويها إذ قبضت عنه أطرافها، ووطئت لغيره أكنافها وفطم من رضاعها وزوي عن زخارفها.

وإن شئت ثنيت بموسى كليم الله (صلى الله عليه وآله) إذ يقول (رب إني لما نزلت إلى من خير فقير) والله ما سأله إلا خبزا يأكله لأنه كان يأكل بقلة الأرض ولقد كانت خضرة البقل ترى من شفيف صفاق بطنه، لهزاله وتشذب لحمه.

وإن شئت ثلثت بداوود صاحب المزامير، وقارئ أهل الجنة، فلقد كان يعمل سفائف الخوص بيده، ويقول لجلسائه: أيكم يكفيني بيعها! ويأكل قرص الشعير من ثمنها.

وإن شئت قلت في عيسى بن مريم(عليه السلام)، فلقد كان يتوسد الحجر، ويلبس الخشن وكان إدامه الجوع، وسراجه بالليل القمر، وظلاله في الشتاء مشارق الأرض ومغاربها، وفاكهته وريحانه ما تنبت الأرض للبهائم، ولم تكن له زوجة تفتنه، ولا ولد يحزنه، ولا مال يلفته، ولا طمع يذله، دابته رجلاه، وخادمه يداه!

فتأس بنبيك الأطيب الأطهر (صلى الله عليه وآله) فإن فيه أسوة لمن تأسى، وعزاء لمن تعزى ـ وأحب العباد إلى الله المتأسي بنبيه، والمقتص لأثره ـ قضم الدنيا قضما، ولم يعرها طرفا، أهضم أهل الدنيا كشحا، وأخمصهم من الدنيا بطنا، عرضت عليه الدنيا فأبى أن يقبلها، وعلم أن الله سبحانه أبغض شيئا فأبغضه، وحقر شيئا فحقره، وصغر شيئا فصغره. ولو لم يكن فينا إلا حبنا ما أبغض الله، وتعظيمنا ما صغر الله، لكفى به شقاقا لله، ومحادة عن أمر الله.

---

[٢٩] – نهج البلاغة ، خطبة رقم ١٠٨.

ولقد كان (صلى الله عليه وآله) يأكل على الأرض، ويجلس جلسة العبد، ويخصف بيده نعله، ويرقع بيده ثوبه، ويركب الحمار العاري، ويردف خلفه، ويكون الستر على باب بيته فتكون فيه التصاوير فيقول: "يا فلانة ـ لإحدى أزواجه ـ غيبيه عني، فإني إذا نظرت إليه ذكرت الدنيا وزخارفها".

فأعرض عن الدنيا بقلبه، وأمات ذكرها من نفسه، وأحب أن تغيب زينتها عن عينه، لكيلا يتخذ منها رياشا، ولا يعتقدها قرارا، ولا يرجو فيها مقاما فأخرجها من النفس وأشخصها عن القلب وغيبها عن البصر.

وكذلك من أبغض شيئا أبغض أن ينظر إليه، وأن يذكر عنده.

ولقد كان في رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما يدلك على مساوئ الدنيا وعيوبها إذ جاع فيها مع خاصته وزويت عنه زخارفها مع عظيم زلفته.

فلينظر ناظر بعقله: أكرم الله محمدا (عليه السلام) بذلك أم أهانه! فإن قال: أهانه، فقد كذب ـ والله العظيم ـ وإن قال: أكرمه، فليعلم أن الله قد أهان غيره حيث بسط الدنيا له، وزواها عن أقرب الناس منه.

فتأسى متأس بنبيه واقتص أثره وولج مولجه وإلا فلا يأمن الهلكة، فإن الله عز وجل جعل محمدا(صلى الله عليه وآله) علما للساعة، ومبشرا بالجنة، ومنذرا بالعقوبة.

خرج من الدنيا خميصا، وورد الآخرة سليما، لم يضع حجرا على حجر حتى مضى لسبيله، وأجاب داعي ربه، فما أعظم منة الله عندنا حين أنعم علينا به سلفا نتبعه، وقائدا نطأ عقبه!.

والله لقد رقعت مدرعتي هذه حتى استحييت من راقعها، ولقد قال لي قائل: ألا تنبذها؟ فقلت: اغرب عني، فعند الصباح يحمد القوم السرى .[٣٠]

{وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم * أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمت ربك خير مما يجمعون * ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون * ولبيوتهم

---

[٣٠] - المرجع السابق ، خطبة ١٦٠.

أبوابا وسررا عليها يتكؤون * وزخرفا وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين } (٣١- ٣٥) الزخرف

{زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب * قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد * الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار * الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار} (١٤- ١٧) آل عمران

{اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور * سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم * ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير * لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور} (٢٠- ٢٣) الحديد.

لا حاجة بنا أن نذكر أن مهمة الأنبياء الأولى هي الدعوة إلى عبادة الله الواحد الأحد وزجر الناس عن المعاصي التي تجر إلى سخط الله وحلول نقمته بالخارجين عن ناموسه وشريعته.

ولأن حب الدنيا هو رأس كل خطيئة ولأن الأنبياء ينبغي عليهم أن يقدموا لأمتهم النموذج الأكمل للزهد في الدنيا والرغبة في نعيم الله المقيم نرى أن رسول الله صلى الله عليه وآله سار على نفس الدرب الذي سار عليه أنبياء الله أجمعين.

درب الزهد في الدنيا والرغبة فيما عند الله عز وجل حيث جاع فيها مع خاصته وزويت عنه زخارفها مع عظيم زلفته ثم خرج من الدنيا خميصا (لم تمتلئ بطنه منها) وورد الآخرة سليما فلم يضع حجرا على حجر حتى مضى لسبيله، وأجاب داعي ربه.

لقد أعرض عنها صلى الله عليه وآله الدنيا وأمات ذكرها من نفسه، وأحب أن تغيب زينتها عن عينه، لكيلا يتخذ منها رياشا، ولا يتخذ منها مستقرا ولا مقاما فأخرجها من نفسه وأبعدها عن قلبه وغيبها عن بصره.

أما موسى عليه السلام فعندما خاطب ربه بقوله {رب إني لما أنزلت إلى من خير فقير} والله ما سأله إلا خبزا يأكله لأنه كان يأكل بقلة الأرض ولقد كانت خضرة البقل ترى من شفيف صفاق بطنه، لهزاله وتشذب لحمه.

وأما داود صاحب المزامير، وقارئ أهل الجنة، فكان يعمل سفائف الخوص بيده، ويقول لجلسائه: أيكم يكفيني بيعها! ويأكل قرص الشعير من ثمنها.

وأما عيسى بن مريم (عليه السلام)، فلقد كان يتوسد الحجر أي يضعه تحت رأسه ويلبس الخشن وكان إدامه الجوع، وسراجه بالليل القمر، وظلاله في الشتاء مشارق الأرض ومغاربها وفاكهته وريحانه ما تنبت الأرض للبهائم، ولم تكن له زوجة تفتنه، ولا ولد يحزنه، ولا مال يلفته، ولا طمع يذله، دابته رجلاه، وخادمه يداه!

فبأي حديث بعده يؤمنون؟؟!!.

الذين رووا عن رسول الله

قال الإمام علي بن أبي طالب ع وقد سأله سائل عن أحاديث البدع، وعما في أيدي الناس من اختلاف الخبر، فقال (عليه السلام):إن في أيدي الناس حقا وباطلا، وصدقا وكذبا، وناسخا ومنسوخا، وعاما وخاصا ومحكما ومتشابها وحفظا ووهما وقد كذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على عهده، حتى قام خطيبا، فقال: "من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار".

وإنما أتاك بالحديث أربعة رجال ليس لهم خامس:

رجل منافق مظهر للإيمان، متصنع بالإسلام، لا يتأثم ولا يتحرج، يكذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله) متعمدا، فلو علم الناس أنه منافق كاذب لم يقبلوا منه، ولم يصدقوا قوله، ولكنهم قالوا: صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله) رآه، وسمع منه، ولقف عنه، فيأخذون بقوله، وقد أخبرك الله عن المنافقين بما أخبرك، ووصفهم بما وصفهم به لك، ثم بقوا بعده (عليه السلام)، فتقربوا إلى أئمة الضلالة والدعاة إلى النار بالزور

ر البهتان فولوهم الأعمال، وجعلوهم على رقاب الناس، وأكلوا بهم الدنيا، وإنما الناس مع الملوك والدنيا، إلا من عصم الله، فهذا أحد الأربعة.

ورجل سمع من رسول الله (صلى الله عليه وآله) شيئا لم يحفظه على وجهه فوهم فيه ولم يتعمد كذبا فهو في يديه، يرويه ويعمل به، ويقول: أنا سمعته من رسول الله(صلى الله عليه وآله)، فلو علم المسلمون أنه وهم فيه لم يقبلوه منه ولو علم هو أنه كذلك لرفضه!.
ورجل ثالث، سمع من رسول الله (صلى الله عليه وآله) شيئا يأمر به، ثم نهى عنه وهو لا يعلم، أو سمعه ينهى عن شيء، ثم أمر به وهو لا يعلم، فحفظ المنسوخ، ولم يحفظ الناسخ، فلو علم أنه منسوخ لرفضه، ولو علم المسلمون إذ سمعوه منه أنه منسوخ لرفضوه.

وآخر رابع، لم يكذب على الله، ولا على رسوله، مبغض للكذب، خوفا لله، وتعظيما لرسول الله، ولم يهم، بل حفظ ما سمع على وجهه، فجاء به على ما سمعه لم يزد فيه ولم ينقص منه، وحفظ الناسخ فعمل به وحفظ المنسوخ فجنب عنه وعرف الخاص والعام فوضع كل شيء موضعه، وعرف المتشابه ومحكمه.

وقد كان يكون من رسول الله (صلى الله عليه وآله) الكلام له وجهان: فكلام خاص، وكلام عام، فيسمعه من لا يعرف ما عنى الله به، ولا ما عنى به رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيحمله السامع، ويوجهه على غير معرفة بمعناه، وما قصد به، وما خرج من أجله، وليس كل أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) من كان يسأله ويستفهمه، حتى إن كانوا ليحبون أن يجيء الأعرابي أو الطارئ، فيسأله (عليه السلام) حتى يسمعوا وكان لا يمر بي من ذلك شيء إلا سألت عنه وحفظته.

فهذه وجوه ما عليه الناس في اختلافهم، وعللهم في رواياتهم.[٣١]

الآن يقول الناس قال رسول الله صلى الله عليه وآله من دون تأثم ولا تحرج فيروون الشيء ونقيضه ولا يرون بذلك بأسا ويروون ما يناقض كتاب الله وشعارهم (ارو ولا حرج... قل قال رسول الله ولا تلق بالا لما ترويه ولا عمن تروي) وهم يرون أن البخاري هو أصح الكتب بعد كتاب الله عز وجل ولا أدري من أين جاءتهم كل هذه الثقة المفرطة.

---

[٣١] - نهج البلاغة ، خطبة ٢١٠

أكتب هذه السطور والقوم يحتفلون بذكرى عاشوراء ذكرى انتصار الحق على الباطل في عالمهم الوهمي الذي يصرون على العيش فيه ولو تأملوا فيما رواه البخاري (أصح الكتب بعد كتاب الله؟!) لوجدوا فيه اختلافا كثيرا بما يقطع أن ليس كل ما في هذا الكتاب هو من عند الله أو من عند رسوله.

يقول البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة رأى اليهود تصوم يوم عاشوراء (فقال ما هذا قالوا هذا يوم صالح هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى قال فأنا أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه)!!.

إن هذه الرواية التي تقرر أن بدء صوم يوم عاشوراء كان في المدينة عندما رأي رسول الله (ص) اليهود تصومه فصامه اقتداء بهم تنقضها رواية أخرى رواها البخاري نفسه وهي الأقرب للصواب (كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه فلما فرض رمضان ترك يوم عاشوراء فمن شاء صامه ومن شاء تركه).

وعلى القوم أن يختاروا إحدى الروايتين ليتسنى لنا القبول بصحة البخاري من الأصل فضلا عن كونه أصح الكتب بعد كتاب الله كما يزعم القوم.

إنها عقلية الرواية وليست عقلية الدراية التي وصفها عليه السلام بقوله: اعقلوا الخبر إذا سمعتموه عقل رعاية لا عقل رواية، فإن رواة العلم كثير، ورعاته قليل.[٣٢]

أما لماذا تغاضى القوم عن الدراية والتأمل وإعمال العقل والنظر في الروايات فالعقل الصحيح لا يستسيغ الجمع بين النقيضين أي بين تلك الروايات المتضاربة مقابل الهوى والرغبة في ملء تلك المساحات الفارغة من أجل إقناع العوام بصحة الطريقة التي يأخذون الدين بها عن تلك الأصناف التي قام الإمام بتعيينها في كلماته النورانية التي كان يفترض أن تشكل الأساس لما عرف بعد هذا بعلم الحديث.

أما وقد أعرض القوم عن خلفاء رسول الله من أهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ذلك التطهير الذي يحول دون قيامهم بالكذب على الله، ورسوله خوفا من الله وتعظيما لرسول الله، كما أنهم سلام الله عليهم يؤمن وقوع الوهم منهم فقد حفظوا ما سمعوه من رسول الله على وجهه، ونقلوه على ما سمعوه من دون زيادة ولا نقصان وحفظوا الناسخ والمنسوخ فجنبوا عنه وعرفوا الخاص والعام والمحكم والمتشابه ووضعوا كل شيء في موضعه.

---

٣٢ - نهج البلاغة ، حكمة ٩٢.

لقد وجد القوم أنفسهم مضطرين للاستمرار في ممارسة الكذب بهدف إيجاد البديل الذي يسد هذا الفراغ الخطير والكبير الناجم عن تغييب المرجعية الدينية الأصلية للأمة الإسلامية.

أن يؤكد الإمام على وجود هذه الأصناف الثلاث التي قامت بخلط علوم ومعارف رسول الله ولبست على الأمة أمر دينها وأولها المنافق المكلف بالوضع المتعمد للكذب على رسول الله من أجل إرضاء المتسلطين على رقاب المسلمين وثانيها ضعيف الحفظ محدود القدرة والإمكانات الذهنية التي تؤهله للقيام بالنقل الصحيح عن رسول الله وأخيرا محدود العلم وليس محدود الحفظ والذي صدر فتصدر في صدر المجلس فأخذ يفتي ويجادل من غير علم ولا هدى ولا كتاب منير وكلها كوارث ابتليت بها الأمة وهاهي تحصد آثارها الآن كوارث وهزات ارتدادية تضرب الأمة في كيانها الاجتماعي والسياسي والفقهي والأخلاقي.

ورغم أن وجود المنافقين ودورهم القذر في إشعال الفتن والأزمات على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله لا يحتاج إلى بينة ولا دليل ورغم أن القرآن حكى عنهم وعن جرائمهم مثلما حكى عن بني إسرائيل إلا أن المدرسة المتغلبة على فضاء الفكر الإسلامي أسقطت ذكرهم بصورة تامة من كتبها وأسبغت على كل من شهد رسول الله أو سمع منه ولو لمرة واحدة صفة الصحابي الجليل ووصفت كل من ذكر التاريخ الإسلامي من دون مدح ولا تبجيل بسوء الأدب واعتبرته ممن يسبون الصحابة من دون حاجة إلى فرز أو تمييز بين المنافق مدعي الإيمان باللسان والمجاهد المضحي في سبيل الله بالنفس والمال ورغم أن سيرة الكثير منهم ممن بقوا بعد رسول الله **(فتقربوا إلى أئمة الضلالة والدعاة إلى النار بالزور والبهتان فولوهم الأعمال وجعلوهم على رقاب الناس وأكلوا بهم الدنيا لأن الناس مع الملوك والدنيا إلا من عصم الله)** معروفة ومدونة ويكفي أن نرى اسم أحدهم واليا من قبل بني أمية على مدينة رسول الله أو على (كوفة) علي بن أبي طالب لنعرف أي نوع من الرجال يروي عن رسول الله وإلى أي صنف من هذه الأصناف الثلاث ينتمي هذا المحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

أمية الرسول المزعومة

هل كان رسول الله أمياً لا يقرأ ولا يكتب؟؟

إنها إحدى مفردات الوعي الثقافي الإسلامي القديم والمعاصر التي تتحدى كل محاولات التغيير والتعديل وربما يراها البعض إحدى ثوابت الأمة العقائدية التي يسعى (أعداء الإسلام لزعزعتها في نفوس أهل الإيمان!!).

وبينما يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في خطبته المشار إليها سابقا: (وَلَقَدْ قَرَنَ اللهُ تَعَالى بِهِ صلى الله عليه وآله مِذْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَك مِنْ مَلائكَتِهِ يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ وَمَحَاسِنَ أَخْلاَقِ الْعَالَمِ، لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّهِ، يَرْفَعُ لي فِي كُلِّ يَوْم عَلَماً مِنْ أَخْلاقِهِ، وَيَأْمُرُني بِالاقْتِدَاءِ بِهِ). وإذا كان الإمام الفخر الرازي يقول (وإذا كان هذا علم الولي بما بالك بعلم النبي؟؟) أي أن علم علي جاء من علم محمد تعليما وتربية هذا "أي محمد ص" يتلقى العلم وحيا من عند الله وذلك يتلقاه مباشرة من رسول الله من دون واسطة ولا نقل عن طرف ثالث فكيف يكون محمد صلى الله عليه وآله جاهلا بالحروف والكلمات؟.

أما أصل الفرية فهو معاوية بن أبي سفيان رأس الفتنة وأحد أهم أسباب البلاء الذي نزل بهذه الأمة حيث ينقل ابن أبي الحديد عن الواقدي أن معاوية لما عاد من العراق إلى الشام بعد بيعة الحسن (ع) واجتماع الناس إليه خطب فقال أيها الناس إن رسول الله (ص) قال لي إنك ستلي الخلافة من بعدي فاختر الأرض المقدسة فإن فيها الأبدال وقد اخترتكم فالعنوا أبا تراب فلعنوه فلما كان من الغد كتب كتابا ثم جمعهم فقرأه عليهم وفيه هذا كتاب كتبه أمير المؤمنين معاوية صاحب وحي الله الذي بعث محمدا نبيا وكان أميا لا يقرأ ولا يكتب فاصطفى له من أهله وزيرا كاتبا أمينا فكان الوحي ينزل على محمد وأنا أكتبه وهو لا يعلم ما أكتب فلم يكن بيني وبين الله أحد من خلقه فقال له الحاضرون كلهم صدقت يا أمير المؤمنين[1].

والهدف لا يخفى على اللبيب وهو الادعاء بوجود تلك الطبقة المزعومة من (أمناء الوحي) الذين لولاهم ما وصل إلينا كتاب الله عز وجل والفرية لا تكتمل إلا بالادعاء أن ابن آكلة الأكباد كان يكتب القرآن وأن محمدا صلى الله عليه وآله لم يكن يعلم ما يكتبه ذلك الأموي البغيض!!.

أما متى كتب ابن آكلة الأكباد الوحي وهو لم يدعي الإسلام إلا بعد فتح مكة أي في ختام مرحلة النبوة ولماذا احتاج القوم بعد ذلك إلى جمع القرآن من صدور الرجال بدلا من اللجوء إلى مدونات ابن أبي سفيان (أمين الوحي) فهذا ما لا يكترث أحد لتحقيقه والتثبت منه.

---

[1] شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد. ج١ ص ٣٦١ طبعة دار الأندلس ١٩٨٣.

معنى كلمة أمي:

وردت كلمة النبي الأمي في سورة الأعراف آية ١٥٧ (النبي الأمي) حيث يقـــول القرطبي: (الأمي) أي المنسوب إلى الأمة الأمية، التي هي على أصل ولادتها، لـــم تتعلـــم الكتابة ولا القراءة وقيل: نسب النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكة أم القرى ذكره النحاس. ثم انتقل القرطبي إلى تفسير قوله تعالى (وما كنت تتلو من قبلــه مــن كتــاب ولا تخطــه بيمينــك) وذكر قصة صلح الحديبية واعتراض كفار قريش على كلمة (محمد رســول الله) وأمره صلى الله عليه وآله لعلي بمحوها فمحاها وكتب ابن عبد الله (قال علماؤنا رضــي الله عنهم (والكلام للقرطبي): وظاهر هذا أنه عليه السلام محا تلك الكلمة التي هي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بيده وكتب مكانها ابن عبد الله وقد رواه البخاري بأظهر مــن هــذا فقال: فأخذ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم الكتاب فكتب وذكر القاضي عياض عن معاويــة أنه كان يكتب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: ألق الدواة وحرف القلــم وأقــم الباء وفرق السين ولا تُعور الميم وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم قال القاضي: وهــذا وإن لم تصح الرواية أنه صلى الله عليه وسلم كتب فلا يبعد أن يرزق علــم هــذا ويمنــع القراءة والكتابة).[٢]

رواية البخاري التي تؤكد أن النبي ص كان يكتب بيديه الكريمتين

(٢٥٥٢) - حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن الـــبراء رضي الله عنه قال:اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة، فــأبى أهــل مكــة أن يدعوه يدخل مكة، حتى قاضاهم على أن يقيم بها ثلاثة أيام، فلما كتبوا الكتاب كتبوا: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: لا نقر بها، فلو نعلم أنك رســول الله ما منعناك، لكن أنت محمد بن عبد الله، قال: (أنا رسول الله، وأنا محمد بن عبد الله). ثم قال لعلي: (امح: رسول الله). قال: لا والله لا أمحوك أبدا، **فأخذ رسول الله صلى الله عليــه وسلم الكتاب، فكتب**: (**هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله، لا يدخل مكة سلاح إلا فــي القراب، وأن لا يخرج من أهلها بأحد إن أراد أن يتبعه، وأن لا يمنع أحدا مــن أصحابــه أراد أن يقيم بها**). فلما دخلها ومضى الأجل أتوا عليا فقالوا: قل لصاحبك اخرج عنا فقــد

---

[٢] - الطبرى ، الجامع لاحكام القرآن ، ٢١٤-٢١٥/٥

مضى الأجل، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم، فتبعتهم ابنة حمزة: يا عم يا عم، فتناولها علي، فأخذها بيدها، وقال لفاطمة عليها السلام: دونك ابنة عمك احملي‌ها، فاختصم فيها علي وزيد وجعفر، فقال علي: أنا أحق بها، وهي ابنة عمي، وقال جعفر: ابنة عمي وخالتها تحتي، وقال زيد: ابنة أخي فقضى بها النبي صلى الله عليه وسلم لخالتها وقال (الخالة بمنزلة الأم) وقال لعلي: (أنت مني وأنا منك). وقال لجعفر: (أشبهت خلقي وخلقي). وقال لزيد: (أنت أخونا ومولانا).

هذا ما ذكره القرطبي حول هذه المسألة الخلافية التي تعددت فيها الآراء والروايات ما بين مثبت لقراءته وكتابته صلوات الله عليه وبين من ينفي هذا تمسكا بفهم مختلف عليه لنص قرآني يحتمل عدة معان!!.

يقول الراغب الأصفهاني في كتابه (المفردات)[٣] في معنى كلمة أمي: "يقال لكل ما كان أصلا لوجود أي شيء أو تربيته أو إصلاحه أو مبدأه أمّ" ثم تحدث عن معنى النبي الأمي "قيل منسوب إلى الأمة الذين لم يكتبوا كان على عادتهم كقولك عامي لكونه على عادة العامة وقيل سمي بذلك لأنه لم يكن يكتب ولا يقرأ".

إذا فالقول بأن كلمة أمي الواردة في كتاب الله لا تعني بالضرورة جهلا بالقراءة أو الكتابة وأنها إما نسبة إلى (أم القرى) أو نسبة (للأميين أي العرب) ليست بدعا ولا ابتكارا من كاتب الكتاب الذي قرر السيد الشاعر مهاجمته والقضاء عليه واستنفار الطاقات والهمم العلمية الأزهرية لإثبات عجز رسول الله صلى الله عليه وآله عن القراءة والكتابة في حين يتحدث الأستاذ بسبعة ألسن ويذيع من ست قنوات أرضية وفضائية!!!.

من أين جاءت فرية أمية رسول الله صلى الله عليه وآله؟؟

نحن ممن يؤمن بأن رسول الله ص مثل قمة الكمال البشري وعلى رأس هذا الكمال العلم {رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ} البقرة١٢٩ وأن علم النبوة لم يكن علما اكتسبه من البشر وكذا علم جميع الأنبياء وإلا فكيف خاطب عيسى عليه السلام الناس من مهده قائلا (إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا) إلا أن هذا لم يعجب الكفار والمنافقين الذين رد عليهم ربنا بقوله {وَلَقَدْ

---

[٣] **معجم مفردات القرآن ص ١٨. ط دار الكتاب العربي بيروت ١٩٧٢. تحقيق نديم مرعشلي.**

نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّما يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَـــذَا لِسَـانٌ عَرَبِـيٌّ مُّبِينٌ}١٠٣ النحل وقوله {وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِـــكَ إِذًا لَّارْتَــابَ الْمُبْطِلُونَ}العنكبوت ٤٨. والذين حاولوا واخترعوا لرسول الله صلى الله عليه وآله أســـتاذا للوحي هو الراهب النصراني ورقة بن نوفل وكنا نتمنى على المدافعين عن فرية أمية النبي دفاعا عن الإسلام بزعمهم أن يشهروا سيوفهم ردا على افتراءات هؤلاء لا أن يدعمها مـن حيث لا يدري.

لم يكف هؤلاء قديما وحديثا عن تكرار هذا الافتراء والأذى لمقام النبـــوة الخاتمـة {ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن* قل أذن خير لكم} ثم وجدت هذه الافـــتراءات طريقها إلى ما يسمى بالصحاح ومنها إلى كتابات المستشرقين والمبشرين وأين أنـــت يـا شاعر من الرد عليهم؟؟!!.

إنها الرواية التي تقول (ثُمَّ انْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيٍّ ــ وَهْوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ أَخُو أَبِيهَا، وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ فَيَكْتُبُ بِالْعَرَبِيَّةِ مِنَ الإِنْجِيلِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَـيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ ــ فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ أَيِ ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنِ ابْنِ أَخِيكَ. فَقَالَ وَرَقَةُ ابْنَ أَخِـي مَاذَا تَرَى فَأَخْبَرَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مَا رَأَى فَقَالَ وَرَقَةُ هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أُنْـزِلَ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا أَكُونُ حَيًّا، حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلـــى الله عليه وسلم " أو مُخْرِجِيَّ هُمْ ". فَقَالَ وَرَقَةُ نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمَـــا جِئْـتَ بِـهِ إِلاَّ عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَـــةُ أَنْ تُوُفِّـيَ، وَفَـتَرَ الْوَحْيُ فَتْرَةً حَتَّى حَزِنَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فِيمَا بَلَغَنَا حُزْنًا غَدَا مِنْهُ مِـرارًا كَـي يَتَرَدَّى مِنْ رُءُوسِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ، فَكُلَّمَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ لِكَيْ يُلْقِيَ مِنْهُ نَفْسَهُ، تَبَدَّى لَـهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا. فَيَسْكُنُ لِذَلِكَ جَأْشُهُ وَتَقِرُّ نَفْسُهُ فَـيَرْجِعُ، فَـإِذَا طَالَتْ عَلَيْهِ فَتْرَةُ الْوَحْيِ غَدَا لِمِثْلِ ذَلِكَ، فَإِذَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ). والرواية موجودة بتمامها في البخاري والتي أراد البعض أن يجعل منـــها أصـلا نصرانيا للرسالة الإسلامية ونحن نعتقد ببطلان هذا الرواية وفسادها من جذورها.

وإذا فليس في القرآن ولا في السنة الصحيحة ما يؤيد ما ذهـــب إليـــه المتشـــبثون برأيهم عن أمية النبي وكل ما جاء في كتاب الله عن رسول الله من نفي للكتابة أو التعلم من

البشر إنما هو نفي لبشرية الرسالة الإسلامية وإثبات لاتصالها المباشـر بـالوحي الإلـهي الصافي الذي {نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين}.

موقف أئمة أهل البيت

روى صاحب علل الشرائع عن جعفر بن محمد الصوفي قال سألت أبا جعفر محمد بن علي الرضا عليهما السلام فقلت يا ابن رسول الله لم سمي النبي الأمي؟؟ فقال ما يقـول الناس؟ قلت يزعمون أنه إنما سمي الأمي لأنه لم يحسن أن يكتب فقال عليه السلام كذبـوا أنى ذلك والله يقول في محكم كتابه {هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياتـه ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة} فكيف كان يعلمهم ما لا يحسن والله لقد كان رسول يقـرأ ويكتب باثنتين وسبعين لسانا وإنما سمي الأمي لأنه كان من أهل مكة ومكة مـن أمـهات القرى وذلك قول الله تبارك وتعالى {ولينذر أم القرى ومن حولها}.[٤]

ويبقى أننا ندعو القوم لمراجعة كتب السيرة النبوية وما جاء فيها من أخبـار عـن رسائل رسول الله صلى الله عليه وآله التي أرسلها للملوك يدعوهم فيها للإسلام وكل هـذا الأخبار وردت بصيغة (كتب رسول الله وقرأ رسول الله) وليجيبونـا عـن معنـى كتـب وقرأ؟؟!!.

الخلاصة: أنه ليس هناك ثمة إجماع أو حتى شبهة إجماع على هذا الادعاء بأميـة رسول الله صلى الله عليه وآله قراءة أو كتابة عند مفسري أهل السنة ولا محدثيهم وأولـهم البخاري الذي أثبت لرسول الله ص الكتابة والقراءة وهم الذين اختلفوا حول هـذه المسـألة فمنهم من أثبت كتابته بيده ومنهم من نفى هذا أما في مدرسة أهل البيت فـالأمر محسـوم تماما نفيا لهذه الأموية اللغوية وإثباتا لكمال علمه صلوات الله وسلامه عليه بتعليم إلـهي لا دخل فيه لبشر كائنا من كان لا من (ورقة) ولا من كتاب وهذا من تمام كماله وأعلام نبوتـه صلى الله عليه وآله وسلم.

---

[٤] - الشيخ الصدوق ،علل الشرائع ، ص ١٢٤.

وفاة رسول الله

يقول الإمام علي ع:

وَلَقَدْ عَلِمَ الْمُسْتَحْفَظُونَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّد (صلى الله عليه وآله) أَنِّي لَمْ أَرُدَّ عَلَى اللهِ وَلاَ عَلَى رَسُولِهِ سَاعَةً قَطُّ، وَلَقَدْ وَاسَيْتُهُ بِنَفْسِي فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي تَنْكُصُ فِيهَا الأَبْطَالُ وَتَتَأَخَّرُ الأَقْدَامُ، نَجْدَةً أَكْرَمَنِي اللهُ بِهَا.

وَلَقَدْ قُبِضَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وآله) وَإِنَّ رَأْسَهُ لَعَلَى صَدْرِي. وَلَقَدْ سَالَتْ نَفْسُهُ فِي كَفِّي، فَأَمْرَرْتُهَا عَلَى وَجْهِي.

وَلَقَدْ وُلِّيتُ غُسْلَهُ (صلى الله عليه وآله) وَالْمَلاَئِكَةُ أَعْوَانِي فَضَجَّتِ الدَّارُ وَالأَفْنِيَةُ، مَلأٌ يُهْبِطُ، وَمَلأٌ يَعْرُجُ، وَمَا فَارَقَتْ سَمْعِي هَيْنَمَةٌ مِنْهُمْ، يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى وَارَيْنَاهُ فِي ضَرِيحِهِ.

فَمَنْ ذَا أَحَقُّ بِهِ مِنِّي حَيّاً وَمَيِّتاً؟ فَانْفُذُوا عَلَى بَصَائِرِكُمْ، وَلْتَصْدُقْ نِيَّاتُكُمْ فِي جِهَادِ عَدُوِّكُمْ، فَوَ الَّذِي لاَ إِلهَ إِلاَّ هُوَ إِنِّي لَعَلَى جَادَّةِ الْحَقِّ، وَإِنَّهُمْ لَعَلَى مَزَلَّةِ الْبَاطِلِ.أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ! [٥]

أما الذين ردوا على رسول الله صلى الله عليه وآله قوله فمعروف من هم وهم الذين أقاموا الدنيا ولم يقعدوها يوم الحديبية قائلين (لم نعطي الدنية في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبين عدونا) وهم الذين رفعوا أصواتهم فوق صوت النبي وهم أيضا الذين طلب منهم رسولنا الأكرم أن يأتوه بكتاب يكتب فيه وصيته فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع فكان أن مات رسول الله مغموما مكروبا بسببهم.

إنه الموقف الذي رواه ابن سعد صاحب الطبقات الكبرى قال: أخبرنا أنس بن عياض أبو ضمرة الليثي قال حدثونا عن جعفر بن محمد عن أبيه قال لما بقي من أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث نزل عليه جبريل فقال يا أحمد إن الله أرسلني إليك إكراما لك وتفضيلا لك وخاصة لك يسألك عما هو أعلم به منك يقول لك كيف تجدك؟؟ قال أجدني يا جبريل مغموما وأجدني يا جبريل مكروبا. فلما كان اليوم الثاني هبط إليه جبريل فقال يا أحمد إن الله أرسلني إليك إكراما لك وتفضيلا لك وخاصة لك يسألك عما هو أعلم به منك يقول لك كيف تجدك؟؟ فقال أجدني يا جبريل مغموما وأجدني يا جبريل مكروبا. فلما كان اليوم الثالث نزل عليه جبريل وهبط معه ملك الموت ونزل معه ملك يقال له إسماعيل

---

٥ - نهج البلاغة ، خطبة ١٩٧.

يسكن الهواء لم يصعد إلى السماء قط ولم يهبط إلى الأرض منذ يوم كانت الأرض على سبعين ألف ملك ليس منهم ملك إلا على سبعين ألف ملك فسبقهم جبريل فقال يا أحمد إن الله أرسلني إليك إكراما لك وتفضيلا لك وخاصة لك يسألك عما هو أعلم به منك ويقول لك كيف تجدك؟؟ قال أجدني يا جبريل مغموما وأجدني يا جبريل مكروبا, ثم استأذن ملك الموت فقال جبريل يا أحمد هذا ملك الموت يستأذن عليك ولم يستأذن على آدمي كان قبلك ولا يستأذن على آدمي بعدك, قال ائذن له فدخل ملك الموت فوقف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله يا أحمد إن الله أرسلني إليك وأمرني أن أطيعك في كل ما تأمرني إن أمرتني أن أقبض نفسك قبضتها, وإن أمرتني أن أتركها تركتها, قال وتفعل يا ملك الموت؟؟ قال بذلك أمرت أن أطيعك في كل ما أمرتني, فقال جبريل يا أحمد إن الله قد اشتاق إليك قال فامض يا ملك الموت لما أمرت به, قال جبريل السلام عليك يا رسول الله هذا آخر مواطئي الأرض إنما كنت حاجتي من الدنيا.

فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءت التعزية يسمعون الصوت والحس ولا يرون الشخص السلام عليكم يا أهل البيت ورحمة الله وبركاته كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة إن في الله عزاء عن كل مصيبة وخلفا من كل هالك ودركا من كل ما فات فبالله فثقوا وإياه فارجوا إنما المصاب من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

لماذا غم رسول الله وكربه؟؟[٦]

أما سبب غمه وكربه صلى الله عليه وآله فيرويه ابن سعد أيضا في طبقاته قال:أخبرنا يحيى بن حماد أخبرنا أبو عوانة عن سليمان يعني الأعمش عن عبد الله بن عبد الله عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال اشتكى النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخميس فجعل ابن عباس يبكي ويقول يوم الخميس وما يوم الخميس اشتد بالنبي صلى الله عليه وسلم وجعه فقال ائتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده أبدا قال فقال بعض من كان عنده إن نبي الله ليهجر قال فقيل له ألا نأتيك بما طلبت قال أو بعد ماذا قال فلم يدع به.

وروى أيضا أخبرنا سفيان بن عيينة عن سليمان بن أبي مسلم خال بن أبي نجيح سمع سعيد بن جبير قال قال ابن عباس يوم الخميس وما يوم الخميس قال اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه في ذلك اليوم فقال ائتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتابا لا

---

٦ – ابن سعد ، مرجع سابق ، ١٤٥-١٤٧/ ١.

تضلوا بعده أبدا فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع فقالوا ما شأنه أهجر استفهموه فذهبوا يعيدون عليه فقال دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه وأوصي بثلاث قال أخرجوا المشركين من جزيرة العرب وأجيزوا الوفد بنحو مما كنت أجيزهم وسكت عن الثالثة فلا أدري قالها فنسيتها أو سكت عنها عمدا.

أخبرنا محمد بن عبد الله الأنصاري حدثني قرة بن خالد أخبرنا أبو الزبير أخبرنا جابر بن عبد الله الأنصاري قال لما كان في مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي توفي فيه دعا بصحيفة ليكتب فيها لأمته كتابا لا يضلون ولا يضلون قال فكان في البيت لغط وكلام وتكلم عمر بن الخطاب قال فرفضه النبي صلى الله عليه وسلم .

أخبرنا حجاج بن نصير أخبرنا مالك بن مغول قال سمعت طلحة بن مصرف يحدث عن سعيد بن جبير عن بن عباس قال كان يقول يوم الخميس وما يوم الخميس قال وكأني أنظر إلى دموع ابن عباس على خده كأنها نظام لؤلؤ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائتوني بالكتف والدواة أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده أبدا قال فقالوا إنما يهجر رسول الله صلى الله عليه وسلم. [٧]

أخبرنا محمد بن عمر حدثني هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم وبيننا وبين النساء حجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اغسلوني بسبع قرب وأتوني بصحيفة ودواة أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا فقال النسوة ائتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحاجته قال عمر فقلت اسكتهن فإنكن صواحبه إذا مرض عصرتن أعينكن وإذا صح أخذتن بعنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هن خير منكم.

أخبرنا محمد بن عمر حدثني إبراهيم بن يزيد عن أبي الزبير عن جابر قال دعا النبي صلى الله عليه وسلم عند موته بصحيفة ليكتب فيها كتابا لأمته لا يضلوا ولا يضلوا فلغطوا عنده حتى رفضها النبي صلى الله عليه وسلم.

أخبرنا محمد بن عمر حدثني أسامة بن زيد الليثي ومعمر بن راشد عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن بن عباس قال لما حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم الوفاة وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلم أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده فقال عمر إن رسول الله قد غلبه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله فاختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم

---

[٧] - ابن سعد ، مرجع سابق ، ١/١٥٥.

رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من يقول ما قال عمر فلما كثر اللغط والاختلاف وغموا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قوموا عني فقال عبيد الله فكان بن عباس يقول الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم أخبرنا محمد بن عمر حدثني إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في مرضه الذي مات فيه ائتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا فقال عمر بن الخطاب من لفلانة وفلانة مدائن الروم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بميت حتى نفتتحها ولو مات لانتظرناه كما انتظرت بنو إسرائيل موسى فقالت زينب زوج النبي صلى الله عليه وسلم ألا تسمعون النبي صلى الله عليه وسلم يعهد إليكم فلغطوا فقال قوموا فلما قاموا قبض النبي صلى الله عليه وسلم مكانه.[٨]

السبب الثاني لغم رسول الله صلى الله عليه وآله وكربه هو تقاعس القوم عن إنفاذهم بعث أسامة بن زيد وكما يروي ابن سعد في طبقاته.

فلما كان يوم الاثنين لأربع ليال بقين من صفر سنة إحدى عشرة من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالتهيؤ لغزو الروم فلما كان من الغد دعا أسامة بن زيد فقال سر إلى موضع مقتل أبيك فأوطئهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش فأغر صباحا على أهل أبنى وحرق عليهم وأسرع السير تسبق الأخبار فإن ظفرك الله فأقلل اللبث فيهم وخذ معك الأدلاء وقدم العيون والطلائع أمامك فلما كان يوم الأربعاء بدىء برسول الله صلى الله عليه وسلم فحم وصدع فلما أصبح يوم الخميس عقد لأسامة لواء بيده ثم قال أغز بسم الله في سبيل الله فقاتل من كفر بالله فخرج بلوائه وعقودا فدفعه إلى بريدة بن الحصيب الأسلمي وعسكر بالجرف فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين الأولين والأنصار إلا انتدب في تلك الغزوة فيهم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وقتادة بن النعمان وسلمة بن أسلم بن حريش فتكلم (قوم) وقالوا يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأولين فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا فخرج وقد عصب على رأسه عصابة وعليه قطيفة فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة ولئن طعنتم في إمارتي أسامة لقد طعنتم في إمارتي أباه من قبله وأيم الله إن كان للإمارة لخليقا وإن ابنه من بعده لخليق للإمارة وإن كان لمن أحب الناس إلي وإنهما

---

٨ - ابن سعد ، مرجع سابق. ٣/٢١٤.

لمخيلان لكل خير واستوصوا به خيرا فإنه من خياركم ثم نزل فدخل بيته وذلك يوم السبت لعشر خلون من ربيع الأول وجاء المسلمون الذين يخرجون مع أسامة يودعون رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول أنفذوا بعث أسامة فلما كان يوم الأحد اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه فدخل أسامة من معسكره والنبي مغمور وهو اليوم الذي لدوه فيه فطأطأ أسامة فقبله ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتكلم فجعل يرفع يديه إلى السماء ثم يضعهما على أسامة قال فعرفت أنه يدعو لي ورجع أسامة إلى معسكره ثم دخل يوم الاثنين وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم مفيقا صلوات الله عليه وبركاته فقال له اغد على بركة الله فودعه أسامة وخرج إلى معسكره فأمر الناس بالرحيل فبينا هو يريد الركوب إذا رسول أمه أم أيمن قد جاءه يقول إن رسول الله يموت فأقبل وأقبل معه عمر وأبو عبيدة فانتهوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يموت فتوفي صلى الله عليه وسلم يحبها ويرضاها حين زاغت الشمس يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول ودخل المسلمون الذين عسكروا بالجرف إلى المدينة ودخل بريدة بن الحصيب بلواء أسامة معقودا حتى أتى به باب رسول الله صلى الله عليه وسلم فغرزه عنده فلما بويع لأبي بكر أمر بريدة بن الحصيب باللواء إلى بيت أسامة ليمضي لوجهه فمضى به بريدة إلى معسكرهم الأول فلما ارتدت العرب كلم أبو بكر في حبس أسامة فأبى وكلم أبو بكر أسامة في عمر أن يأذن له في التخلف ففعل فلما كان هلال شهر ربيع الآخر سنة إحدى عشرة خرج أسامة فسار إلى أهل أبنى عشرين ليلة فشن عليهم الغارة وكان شعارهم يا منصور أمت.[٩]

ولماذا لا يغتم رسول الله وهو يأمر بالأمر فلا يطاع ويُرد أمره ويأمر بإنفاذ بعث أسامة فيتمرد القوم ولا ينفذه من سماه ابن سعد في هذه الروايات تارة بالاسم وتارة ب(قوم) رافضا إجابة طلبه صلى الله عليه وآله وسلم زاعما أن في كتاب الله ما يغني ويفيض قائلا أن رسول الله يهجر أي يهذي ولا يعي ما يقول فأي دين وأي إيمان يزعمون وبأي حديث بعده يؤمنون وأي نبي يقدسون وهم قد اختلفوا وتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع ثم يزعمون أن رسول الله مات وهو راض عن هؤلاء. وحسبنا الله ونعم الوكيل.

أما المصيبة الكبرى فهي إنكارهم لوصية رسول الله لأهل بيته ووصيه علي بن أبي طالب وزعمهم أنه مات ولم يوص مع أن كتاب الله حض المؤمنين على الوصية قبل الموت فهل أبلغ رسول الله الناس بما جاء في القرآن ولم يحرص على العمل به؟؟ {كُتِبَ

---

[٩] - ابن سعد ، مرجع سابق ، ١/٢١٤.

عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ} البقرة ١٨٠.

{يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِن بَعْدِ الصَّلاَةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لاَ نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلاَ نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللّهِ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الآثِمِينَ} المائدة ١٠٦.

وهل كان رسول الله ممن يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم فيترك هذه الفريضة الإلهية التي كتبها الله على عباده المؤمنين؟ وهل كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)كاذبا حين تحدث عن وصية رسول الله له والتي أهلته لأن يكون أحق الناس برسول الله حيا وميتا؟؟.

إثبات الوصية:

تلك الوصية التي أجهد القوم أنفسهم في نفيها والادعاء بأنه مات في حجر عائشة متجاهلين تلك الأخبار الصحيحة التي رواها الثقاة وذكرها ابن سعد في الطبقات قال:

* أخبرنا محمد بن عمر قال أخبرنا عبد العزيز بن محمد عن حرام بن عثمان عن أبي حازم عن جابر بن عبد الله الأنصاري أن كعب الأحبار قام زمن عمر فقال ونحن جلوس عند عمر أمير المؤمنين ما كان آخر ما تكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر سل عليا قال أين هو قال هو هنا فسأله فقال علي أسندته إلى صدري فوضع رأسه على منكبي فقال الصلاة الصلاة فقال كعب كذلك آخر عهد الأنبياء وبه أمروا وعليه يبعثون قال فمن غسله يا أمير المؤمنين قال سل عليا قال فسأله فقال كنت أغسله وكان العباس جالسا وكان أسامة وشقران يختلفان إلي بالماء.
* أخبرنا محمد بن عمر حدثني عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه ادعوا لي أخي قال فدعي له علي فقال ادن مني فدنوت منه فاستند إلي فلم يزل مستندا وإنه ليكلمني حتى إن بعض ريق النبي صلى الله عليه وسلم ليصيبني ثم نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم وثقل في حجري فصحت يا عباس أدركني فإني هالك فجاء العباس فكان جهدهما جميعا أن أضجعاه.[١٠]

---

[١٠] - ابن سعد . مرجع سابق ، ٢/٤٥.

* أخبرنا محمد بن عمر حدثني عبد الله بن محمد بن علي عن أبيه عن علي بن حسين قال قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأسه في حجر علي أخبرنا محمد بن عمر حدثني أبو الجويرية عن أبيه عن الشعبي قال توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأسه في حجر علي وغسله علي والفضل محتضنه وأسامة يناول الفضل الماء.[11]

* أخبرنا محمد بن عمر حدثني سليمان بن داود بن الحصين عن أبيه عن أبي غطفان قال سألت بن عباس أرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي ورأسه في حجر أحد قال توفي وهو لمستند إلى صدر علي قلت فإن عروة حدثني عن عائشة أنها قالت توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحري ونحري فقال بن عباس أتعقل؟! والله لتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنه لمستند إلى صدر علي وهو الذي غسله وأخي الفضل بن عباس وأبى أبي أن يحضر وقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمرنا أن نستتر فكان عند الستر.[12]

فمن ذا إذا أحق الناس برسول الله حيا وميتا من علي بن أبي طالب وأهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا؟؟.

وهل نزلت الملائكة إلا لتعزي أهل البيت عليهم السلام في مصابهم قائلة: السلام عليكم يا أهل البيت ورحمة الله وبركاته كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة إن في الله عزاء عن كل مصيبة وخلفا من كل هالك ودركا من كل ما فات فبالله فثقوا وإياه فارجوا إنما المصاب من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وهل كانت الملائكة لتعزي من أعرضوا عن إنفاذ أمر رسول حيا وميتا وضربوا بوصاياه عرض الحائط؟؟!!.

بعض من وصايا رسول الله:

لا شك أن القوم يخبطون خبط عشواء فهم تارة يقولون أن رسول الله لم يوص وتارة أخرى ينقلون عنه جملة من الوصايا بالأنصار وبغيرهم قالها في تلك اللحظات الفارقة في تاريخ الإسلام مما ينقض تماما كل تلك الادعاءات من أنه مات ولم يوص وترك أمته لشأنها تدبره كيف تشاء ولا شك أن وصاياه صلى الله عليه وآله كانت من علامات نبوته واضطلاعه على مستقبل هذه الأمة وما ستؤول إليه أمورها من تغلب الخط الانحرافي واستيلائه على مقاليد الأمة ولو إلى حين.

---

[11] - ابن سعد ، مرجع سابق ، ٢/٤٧.

[12] - ابن سعد ، مرجع سابق ، ٢/٥١.

الوصية بالأنصار كانت داخلة في هذا الإعلام النبوي الغيبي بأحوال الأمة بعد نبيها حيث يروى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) لمّا انتهت إليه أنباء السقيفة بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) فسأل: ما قالت الأنصار؟ قالوا: قالت: منا أمير ومنكم أمير.

قال (عليه السلام): فَهَلاَّ احتَجَجْتُمْ عَلَيهِمْ: بِأَنَّ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وآله) وَصَّى بِأَنْ يُحْسَنَ إِلَى مُحْسِنِهِمْ، وَيُتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ؟

قالوا: وما في هذا من الحجّة عليهم؟

فقال(عليه السلام): لَوْ كَانَتِ الإمارة فِيهِمْ لَمْ تَكُنِ الْوَصِيَّةُ بِهِمْ.

ثم قال: فَمَاذَا قَالَتْ قُرَيْشٌ؟

قالوا: احتجت بأنها شجرة الرسول(صلى الله عليه وآله).

فقال (عليه السلام): احتَجُّوا بِالشَّجَرَةِ، وَأَضَاعُوا الثَّمَرَةَ.[١٣]

أما وصية رسول الله بالأنصار فيذكرها ابن سعد في طبقاته فيقول:

أخبرنا محمد بن عمر أخبرنا مسلمة بن عبد الله بن عروة عن أبي الأسود عن عروة عن عائشة قالت أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نصب عليه من سبع قرب من سبع آبار ففعلنا فلما اغتسل وجد الراحة فصلى بالناس ثم خطبهم واستغفر للشهداء من أصحاب أحد ودعا لهم ثم أوصى بالأنصار فقال يا معشر المهاجرين إنكم أصبحتم تزيدون وأصبحت الأنصار لا تزيد على هيئتها التي هي عليها اليوم هم عيبتي التي أويت إليها أكرموا كريمهم وتجاوزوا عن مسيئهم.

* أخبرنا محمد بن عمر حدثني معمر ومحمد بن عبد الله عن الزهري عن عبد الله بن كعب عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عاصبا رأسه فقال يا معشر المهاجرين إنكم أصبحتم تزيدون وأصبحت الأنصار لا تزيد على هيئتها التي هي عليها اليوم وإن الأنصار عيبتي التي أويت إليها فأكرموا كريمهم وأحسنوا إلى محسنهم.
* أخبرنا محمد بن عمر حدثني عبد الرحمن بن عبد العزيز عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمد بن لبيد عن أبي سعيد الخدري قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس مستكفون يتخبرون عنه فخرج مشتملا قد طرح طرفي ثوبه على عاتقه عاصبا رأسه بعصابة بيضاء فقام على المنبر وثاب الناس إليه حتى امتلأ المسجد قال فتشهد

---

[١٣] - نهج البلاغة ،خطبة٦٦.

رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا فرغ قال يا أيها الناس إن الأنصار عيبتي ونعلي وكرشي التي آكل فيها فاحفظوني فيهم اقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم.[١٤]

كانت هذه هي وصية رسول الله صلى الله عليه وآله بالأنصار وهي الوصية التي تدحض حجة من يزعم أن رسول الله صلى الله عليه وآله مات ولم يوص بشيء ولا شك أن ما يحاول القوم نفيه هو وصيته بولاية علي بن أبي طالب تلك الوصية التي حاول رسول الله صلى الله عليه وآله أن يثبتها كتابة فأبى القوم إلا تمردا وإعراضا عن إنفاذ أمر رسول الله.

مراثي رسول الله:

الإمام يرثي رسول الله

لا شك أن ثقافتنا الدينية هي ثقافة الأفراح والليالي الملاح وهي ثقافة ليس للحزن فيها نصيب.

وباستثناء شيعة محمد وآل محمد فلا أحد من هذه الأمة وتحديدا أولئك الذين يرون أنفسهم شعب الله المختار أو الفئة الوحيدة الناجية من النار يمكن له أن يفتش عن أحزان هذه الأمة أو أن يرد على لسانه ذكر أولئك الذين جعلوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حزينا مغموما مكروبا في تلك اللحظات الأخيرة من لحظات حياته في هذه الدنيا!!.

كيف هذا وهم يرون أن الخطر الأكبر على (إسلامهم) يأتي من رسول الله صلى الله عليه وآله أو ما يسمونه بالغلو في الصالحين وهم يحلمون بيوم يتمكنون فيه من هدم ضريح رسول الله ويحرمون التوسل به ويرون في ذلك شركا مخرجا من الملة؟؟!!.

ولا أدري عن أي ملة يتحدثون؟؟.

ملة إبراهيم حنيفا أم ملة بني أمية؟؟!!.

وهاهو علي بن أبي طالب يرثي رسول الله ويبكيه وهو يلي غسله وتكفينه ويعالج بنفسه مصيبة فراق رسول الله والفتنة التي نزلت بالأمة من بعده فيقول:

بأبي أنت وأمي، لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك من النبوة والأنباء وأخبار السماء... خصصت حتى صرت مسليا عمن سواك، وعممت حتى صار الناس فيك سواء...

---

[١٤] - ابن سعد ، مرجع سابق ، ٥٤-٢/٥٥.

وَلَوْ لاَ أَنَّكَ أَمَرْتَ بِالصَّبْرِ، وَنَهَيْتَ عَنِ الْجَزَعِ، لأَنْفَدْنَا عَلَيْكَ مَاءَ الشُّؤُونِ (منابع الدمع)، وَلَكَانَ الدَّاءُ مُمَاطِلاً، وَالْكَمَدُ مُحَالِفاً، وَقَلاَّ (قليل) لَكَ! وَلَكِنَّهُ مَا لاَ يُمْلَكُ رَدُّه، وَلاَ يُسْتَطَاعُ دَفْعُهُ!.

بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي! اذْكُرْنَا عِنْدَ رَبِّكَ، وَاجْعَلْنَا مِنْ بَالِكَ!.

وهاهو يرثيه مرة ثانية عند دفنه لسيدة نساء العالمين فاطمة بنت محمد عند موتها بعد أبيها سيد الكونين والثقلين من عرب ومن عجم بعد ذلك بأيام قلائل.

السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ عَنِّي، وَعَنِ ابْنَتِكَ النَّازِلَةِ فِي جِوَارِكَ، وَالسَّرِيعَةِ اللَّحَاقِ بِكَ!

قَلَّ يَا رَسُولَ اللهِ، عَنْ صَفِيَّتِكَ صَبْرِي، وَرَقَّ عَنْهَا تَجَلُّدِي، إلاَّ أَنَّ لِي فِي التَّأَسِّي بِعَظِيمِ فُرْقَتِكَ وَفَادِحِ مُصِيبَتِكَ مَوْضِعَ تَعَزٍّ فَلَقَدْ وَسَّدْتُكَ فِي مَلْحُودَةِ قَبْرِكَ، وَفَاضَتْ بَيْنَ نَحْرِي وَصَدْرِي نَفْسُكَ.

إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، فَلَقَدِ اسْتُرْجِعَتِ الْوَدِيعَةُ، وَأُخِذَتِ الرَّهِينَةُ! أَمَّا حُزْنِي فَسَرْمَدٌ، وَأَمَّا لَيْلِي فَمُسَهَّدٌ، إِلَى أَنْ يَخْتَارَ اللهُ لِي دَارَكَ الَّتِي أَنْتَ بِهَا مُقِيمٌ.

وَسَتُنَبِّئُكَ ابْنَتُكَ بِتَضَافُرِ أُمَّتِكَ عَلَى هَضْمِهَا فَأَحْفِهَا السُّؤَالَ وَاسْتَخْبِرْهَا الْحَالَ، هذَا وَلَمْ يَطُلِ الْعَهْدُ، وَلَمْ يَخْلُ مِنْكَ الذِّكْرُ.

وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمَا سَلاَمَ مُوَدِّعٍ، لاَ قَالٍ وَلاَ سَئِمٍ، فَإِنْ أَنْصَرِفْ فَلاَ عَنْ مَلاَلَة، وَإِنْ أُقِمْ فَلاَ عَنْ سُوءِ ظَنٍّ بِمَا وَعَدَ اللهُ الصَّابِرِينَ.

أروى بنت عبد المطلب

لعمرك ما أبكي النبي لموته * ولكن لهرج كان بعدك آتيا**

كأن على قلبي لذكر محمد * وما خفت من بعد النبي المكاويا**

أفاطم صلى الله رب محمد * على جدث أمسى بيثرب ثاويا**

أبا حسن فارقته وتركته * فبك بحزن آخر الدهر شاجيا**

فدا لرسول الله أمي وخالتي * وعمي ونفسي قصرة ثم خاليا**

صبرت وبلغت الرسالة صادقا * وقمت صليب الدين أبلج صافيا**

فلو أن رب الناس أبقاك بيننا * سعدنا ولكن أمرنا كان ماضيا**

عليك من الله السلام تحية * وأدخلت جنات من العدن راضيا**

عاتكة بنت عبد المطلب:

عينــــــي جودا طوال الدهر وانهمرا * سكبا وسحا بدمع غير تعذيـــــر

يا عين فاسحنفري بالدمع واحتفلي * حتى الممات بسجل غير منــــــزور

يا عين فانهملي بالدمع واجتهدي * للمصطفى دون خلق الله بالنــــــور

فاذهب حميدا جزاك الله مغفرة * يوم القيامة عند النفخ في الصـــــور

وقالت أيضا:

يا عيــن جودي ما بقيــت بعبرة * سحـــــا علــى خير البرية أحمــد

يا عيــن فاحتفلي وسحي واسجمي * وابكي علــــى نور البلاد محمــــــد

أنى لك الويـــــــلات مثــل محمد * في كل نائبة تنــــوب ومشهـــــد

فابكــي المبارك والموفق ذا التقــى * حامــــي الحقيقة ذا الرشاد المرشــد

من ذا يفــك عــن المغلـــل غلــه * بعد المغيــب في الضريح الملحـــــد

أم من لكــل مدفـــع ذي حاجـــة * ومسلسل يشكـــــــو الحديد مقيد

أم من لوحي الله يترك بيننــــــا * في كل ممسى ليلة أو فـــــــي غد

فعليـــــك رحمة ربنا وسلامـــــه * يا ذا الفواضل والندى والســـــودد

هلا فـــداك المــــوت كل ملعن * شكس خلائقه لئيم المحتـــــــــد

وقالـــت:

أعيني جودا بالدموع السواجم على المصطفى بالنور من آل هاشم

على المرتضى للبر والعدل والتقى وللدين والإسلام بعد المظالم

على الطاهر الميمون ذي الحلم والندى وذي الفضل والداعي لخير التراحم

أعيني ماذا بعدما قد فجعتما به تبكيان الدهر من ولد آدم

فجودا بسجل واندبا كل شارق ربيع اليتامى في السنين البوازم

صفية بنت عبد المطلب:

لهـــف نفســـي وبت كالمسلوب * آرق الليل فعلة المحــــــــروب

من همــــوم وحســرة ردفتني * ليت أنـــــي سقيتها بشعـــوب

حين قالوا إن الرسول قـــد أمسى * وافقته منيـــة المكتـــــــوب

إذ رأينــــا أن النبي صريـــع * فأشـــاب القـــذال أي مشيـــب

إذ رأينا بيوتــــــــه موحشات * ليس فيهن بعد عيـــش حبيبـــــي

أورث القلـــب ذاك حزنا طويـــــلا * خالط القلب فهو كالمرعـــــوب

ليت شعري كيف أمسي صحيحـــا * بعد أن بين بالرســـول القريـــب

أفاطـــم ابكـــي ولا تسأمي * بصبحــك ما طلــــع الكوكـــب

هـــو المـــرء يبكـــي وحق * هو الماجـد السيــد الطيـــب

فأوحشـــت الأرض من فقده * وأي البريـــــة لا ينكـــــب

فمـــا لي بعدك حتى الممات * إلا الجوى الداخل المنصـــب

فبكـــــى الرسول وحقت له * شهود المدينـــــــة والغيـــب

لتبكيـــــك شمطاء مضرورة * إذا حجـــب النـــاس لا تحجـــب

ليبكيــك شيـــخ أو ولــده * يطــــوف بعقوتــــه أشهـــب

ويبكيـــك ركـــب إذا أرملوا * فلـــم يلـــف ما طلب الطلـــب

وتبكـــي الأباطـــح من فقده * وتبكيــــه مكــــة والأخشـــب

وتبكـــي وعيـــرة من فقده * بحــــزن ويسعده الميثــــب

فعينـــــي ما لك لا تدمعين * وحـــق لدمعـــك يستسكـــب

وقالت أيضا:

أرقـــت فبـــت ليلـــي كالسليـــب * لوجد في الجوانح ذي دبـــيب

فشيبنـــــي وما شابت لداتي * فأمسى الرأس مني كالعسيـــب

لفقد المصطفى بالنـــــور حقـــا * رســــول الله مـــا لك من ضريب

كريـــــم الخيم أروع مضرحي * طويــــل البـــاع منتجب نجيب

مال المعدميـــــــن وكل جار * ومأوى كل مضطهـــد غريـــب

فـــإن تمـــس في جدث مقيما * فقدما عشت ذا كـــرم وطيـــب

وكنـــت موفقـــا فـي كل أمر * وفيما ناب من حدث الخطـــوب

هند بنت الحارث بن عبد المطلب:

يـــا عين جودي بدمع منك وابتدري * كمـــا تنزل ماء الغيث فانثعبـــا

أو فيض غرب علـــى عادية طويت * في جدول خرق بالماء قد سربـــا

لقد أتتني من الأنباء معضلـــة * أن بن آمنة المأمون قد ذهبـــا

أن المبارك والميمون في جـــدث * قد ألحفوه تراب الأرض والحدبـــا

أليس أوسطكم بيتا وأكرمكم خــــالا * وعما كريما ليس مؤتشبـــــا

الذين ارتدوا على أدبارهم

يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ع:

فَانْظُرُوا إِلَى مَوَاقِعِ نِعَمِ اللهِ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِمْ حِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولاً، فَعَقَدَ بِمِلَّتِهِ طَاعَتَهُمْ، وَجَمَعَ عَلَى دَعْوَتِهِ أُلْفَتَهُمْ، كَيْفَ نَشَرَتِ النِّعْمَةُ عَلَيْهِمْ جَنَاحَ كَرَامَتِهَا، وَأَسَالَتْ لَهُمْ جَدَاوِلَ نَعِيمِهَا، وَالْتَفَّتِ الْمِلَّةُ بِهِمْ فِي عَوَائِدِ بَرَكَتِهَا، فَأَصْبَحُوا فِي نِعْمَتِهَا غَرِقِينَ، وَفِي خُضْرَةِ عَيْشِهَا فَكِهِينَ، قَدْ تَرَبَّعَتِ الأُمُورُ بِهِمْ، فِي ظِلِّ سُلْطَانٍ قَاهِرٍ، وَآوَتْهُمُ الْحَالُ إِلَى كَنَفِ عِزٍّ غَالِبٍ، وَتَعَطَّفَتِ الأُمُورُ عَلَيْهِمْ فِي ذُرَى مُلْكٍ ثَابِتٍ، فَهُمْ حُكَّامٌ عَلَى الْعَالَمِينَ، وَمُلُوكٌ فِي أَطْرَافِ الأَرَضِينَ يَمْلِكُونَ الأُمُورَ عَلَى مَنْ كَانَ يَمْلِكُهَا عَلَيْهِمْ، وَيُمْضُونَ الأَحْكَامَ فِيمَنْ كَانَ يُمْضِيهَا فِيهِمْ! لاَ تُغْمَزُ لَهُمْ قَنَاةٌ، وَلاَ تُقْرَعُ لَهُمْ صَفَاةٌ!

أَلاَ وَإِنَّكُمْ قَد نَفَضْتُمْ أَيْدِيَكُمْ مِنْ حَبْلِ الطَّاعَةِ، وَثَلَمْتُمْ حِصْنَ اللهِ الْمَضْرُوبَ عَلَيْكُمْ، بِأَحْكَامِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ قَدْ امْتَنَّ عَلَى جَمَاعَةِ هذِهِ الأُمَّةِ فِيمَا عَقَدَ بَيْنَهُمْ مِنْ حَبْلِ هذِهِ الأُلْفَةِ الَّتِي يَنْتَقِلُونَ فِي ظِلِّهَا وَيَأْوُونَ إِلَى كَنَفِهَا، بِنِعْمَةٍ لاَ يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ لَهَا قِيمَةً، لأَنَّهَا أَرْجَحُ مِنْ كُلِّ ثَمَنٍ، وَأَجَلُّ مِنْ كُلِّ خَطَرٍ.

وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ صِرْتُمْ بَعْدَ الْهِجْرَةِ أَعْرَاباً، وَبَعْدَ الْمُوَالاَةِ أَحْزَاباً، مَا تَتَعَلَّقُونَ مِنَ الإِسْلاَمِ إِلاَّ بِاسْمِهِ، وَلاَ تَعْرِفُونَ مِنَ الإِيمَانِ إِلاَّ رَسْمَهُ، تَقُولُونَ: النَّارَ وَلاَ الْعَارَ! كَأَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُكْفِئُوا الإِسْلاَمَ عَلَى وَجْهِهِ،

انْتِهَاكاً لِحَرِيمِهِ، وَنَقْضاً لِمِيثَاقِهِ الَّذِي وَضَعَهُ اللهُ لَكُمْ حَرَماً فِي أَرْضِهِ، وَأَمْناً بَيْنَ خَلْقِهِ.

وَإِنَّكُمْ إِنْ لَجَأْتُمْ إِلَى غَيْرِهِ حَارَبَكُمْ أَهْلُ الْكُفْرِ، ثُمَّ لاَ جَبْرَائِيلُ وَلاَ مِيكَائِيلُ وَلاَ مُهَاجِرُونَ وَلاَ أَنْصَارٌ يَنْصُرُونَكُمْ إِلاَّ الْمُقَارَعَةَ بِالسَّيْفِ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَكُمْ.

وَإِنَّ عِنْدَكُمُ الأَمْثَالَ مِنْ بَأْسِ اللهِ تَعَالَى وَقَوَارِعِهِ، وَأَيَّامِهِ وَوَقَائِعِهِ، فَلاَ تَسْتَبْطِئُوا وَعِيدَهُ جَهْلاً بِأَخْذِهِ، وَتَهَاوُناً بِبَطْشِهِ، وَيَأْساً مِنْ بَأْسِهِ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَلْعَنِ الْقَرْنَ الْمَاضِيَ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ إِلاَّ لِتَرْكِهِمُ الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَلَعَنَ السُّفَهَاءَ لِرُكُوبِ الْمَعَاصِي وَالْحُلَمَاءَ لِتَرْكِ التَّنَاهِي!

أَلاَ وَقَدْ قَطَعْتُمْ قَيْدَ الإِسْلاَمِ، وَعَطَّلْتُمْ حُدُودَهُ، وَأَمَتُّمْ أَحْكَامَهُ.

أَلاَ وَقَدْ أَمَرَنِيَ اللهُ بِقِتَالِ أَهْلِ الْبَغْيِ وَالنَّكْثِ وَالْفَسَادِ فِي الأَرْضِ، فَأَمَّا النَّاكِثُونَ فَقَدْ قَاتَلْتُ، وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَقَدْ جَاهَدْتُ، وَأَمَّا الْمَارِقَةُ فَقَدْ دَوَّخْتُ، وَأَمَّا شَيْطَانُ الرَّدْهَةِ فَقَدْ

كُفيتَهُ بصَعْقَة سَمِعْتَ لَهَا وَجْبَةَ قَلْبِهِ وَرَجَّةَ صَدْرِه، وبَقِيَتْ بَقِيَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْبَغْي وَلَئِنْ أَذِنَ اللهُ فِي الْكَرَّةِ عَلَيْهِمْ لأُدِيلَنَّ مِنْهُمْ إلاَّ مَا يَتَشَذَّرُ فِي أَطْرَافِ الأَرْضِ تَشَذُّراً!.

ولو أننا تأملنا في تاريخ الإسلام الذي ذكرناه آنفا لأدركنا الدور الرئيسي الذي قام به بنو هاشم رهط النبي بدءا من الأجداد ثم الآباء ومرورا بالأبناء والأحفاد ووصولا إلى اللحظات الأخيرة قبل انتقال رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الرفيق الأعلى وهو يطلب من القوم قلما ليكتب لهم وصيته الأخيرة فيرفضون ويتمردون وتعلو أصواتهم فوق صوت النبي وتلك هي قاصمة الدهر أو الرزية التي وقعت يوم الخميس فصارت كل أيامنا رزايا وبلايا فصار القوم بَعْدَ الْهِجْرَةِ أَعْرَاباً، وَبَعْدَ الْمُوَالاَةِ أَحْزَاباً، مَا يَتَعَلَّقُونَ مِنَ الإِسْلاَمِ إِلاَّ بِإسْمِهِ، وَلاَ يَعْرِفُونَ مِنَ الإِيمَانِ إِلاَّ رَسْمَهُ، يَقُولُونَ: النَّارَ وَلاَ الْعَارَ! فأَكفأوا الإِسْلاَمَ عَلَى وَجْهِهِ، انْتِهَاكاً لِحَرِيمِهِ، وَنَقْضاً لِمِيثَاقِهِ الَّذِي وَضَعَهُ اللهُ لَكُمْ حَرَماً فِي أَرْضِهِ، وَأَمْناً بَيْنَ خَلْقِهِ.

هذه هي الحقيقة التي يرفض القوم قبولها والاعتراف بها فما بالك بالإقرار بمسئوليتهم عن حدوثها.

الحقيقة التي يعرفها القوم الذين لَجَئوا بالفعل إِلَى غَيْرِ الله وساروا على غير الطريق الذي رسمه لهم رسول الله فحَارَبَهُمْ أَهْلُ الْكُفْرِ، والآن لاَ جَبْرَائِيلُ وَلاَ مِيكَائِيلُ وَلاَ مُهَاجِرُونَ وَلاَ أَنْصَارٌ يَنْصُرُونَهمْ إِلاَّ الْمُقَارَعَةَ بِالسَّيْفِ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَهم وهو خير الحاكمين.

الحقيقة التي ينكرها القوم أن العرب الذين لم يكونوا يقرءون كتابا ولم يكن لهم ثمة وجود ولا كيان سياسي يجمع شتاتهم ولولا النعمة التي أنعم الله بها عليهم بفضل محمد وآل محمد وجهادهم وصبرهم على البلايا والرزايا والمكاره ولكن القوم تنكروا لكل هذا وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر.

إنها الحقيقة التي تحدث عنها كتاب الله عز وجل وهي وقوع حالة من الانحراف عن المسار الصحيح للدين وهو الانقلاب الذي ظهرت معالمه في الكثير من السلوكيات المعوجة التي مارسها القوم أثناء حياة رسول الله ص والتي بلغت قمتها في رزية يوم الخميس وما أدراك ما رزية يوم الخميس!!.

يقول سبحانه:

{إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ * فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ

اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ * أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ * وَلَوْ نَشَاء لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ * وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ }محمد) (٢٥- ٣٣)

لقد تفرغت الطبقة المتغلبة على الإسلام والمسلمين من يومها إلى يومنا هذا في صياغة (إسلام بديل) أو (إسلام مواز) لا مكان فيه لأهل البيت عليهم السلام...

إسلام يقوم على أكتاف الآخرين بعجرهم وبجرهم وعلمهم وجهلهم وكان لهم أغلب ما أرادوا وليس كل ما أرادوا لأن الله تبارك وتعالى غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

يروي ابن أبي الحديد في شرح النهج عن شيخه أبو جعفر قال: وقد روي أن معاوية بذل لسمرة بن جندب مائة ألف درهم حتى يروي أن هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيا وَ يُشْهِدُ اللَّهَ عَلى ما فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصامِ وَإِذا تَوَلَّى سَعى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيها وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسادَ} وأن الآية الثانية نزلت في ابن ملجم وهي قوله تعالى {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ} فلم يقبل فبذل له مائتي ألف درهم فلم يقبل فبذل له ثلاثمائة ألف فلم يقبل فبذل له أربعمائة ألف فقبل و روى ذلك.

قال وقد صح أن بني أمية منعوا من إظهار فضائل علي (ع) وعاقبوا على ذلك الراوي له حتى أن الرجل إذا روى عنه حديثا لا يتعلق بفضله بل بشرائع الدين لا يتجاسو على ذكر اسمه فيقول عن أبي زينب.[١٥]

هذه هي الحقيقة التي يعرفها كل من له أدنى إلمام أو معرفة بعلوم الدين وتاريخ الإسلام الذي قام على أكتاف هؤلاء العظماء من بني هاشم وانتهى بإقامة نظام سياسي لا يَتَعَلَّقُ مِنَ الإِسْلاَمِ إِلاَّ بِاسْمِهِ، وَلاَ يَعْرِفُ مِنَ الإِيمَانِ إِلاَّ رَسْمَهُ ولا هم له إلا محاربة شيعة محمد وآل محمد أو تشويه صورتهم إن عجز عن حربهم بصورة مباشرة.

---

[١٥] - ابن ابى الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٣/٥٧. الطبعة السابقة

واجب المؤمنين نحو نبيهم

الواجب الأول: تجديد العهد مع رسول الله

كان أمير المؤمنين يدعو بهذا الدعاء:اللَّهُمَّ دَاحِيَ الْمَدْحُوَّاتِ وَدَاعِمَ الْمَسْمُوكَاتِ وَجَابِلَ الْقُلُوبِ عَلَى فِطْرَتِهَا شَقِيِّهَا وَسَعِيدِهَا.

اجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِكَ، وَنَوَامِيَ بَرَكَاتِكَ، عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، الْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ، وَالْفَاتِحِ لِمَا انْغَلَقَ، وَالْمُعْلِنِ الْحَقَّ بِالْحَقِّ، وَالدَّافِعِ جَيْشَاتِ الأَبَاطِيلِ، وَالدَّامِغِ صَوْلاَتِ الأَضَالِيلِ، كَمَا حُمِّلَ فَاضْطَلَعَ، قَائماً بِأَمْرِكَ، مُسْتَوْفِزاً فِي مَرْضَاتِكَ، غَيْرَ نَاكِلٍ عَنْ قُدُمٍ، وَلاَ وَاهٍ فِي عَزْمٍ، وَاعِياً لِوَحْيِكَ حَافِظاً لِعَهْدِكَ مَاضِياً عَلَى نَفَاذِ أَمْرِكَ; حَتَّى أَوْرَى قَبَسَ الْقَابِسِ وَأَضَاءَ الطَّرِيقَ لِلْخَابِطِ وَهُدِيَتْ بِهِ الْقُلُوبُ بَعْدَ خَوْضَاتِ الْفِتَنِ وَأَقَامَ مُوضِحَاتِ الاَعْلاَمِ وَنَيِّرَاتِ الأَحْكَامِ، فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ وَخَازِنُ عِلْمِكَ الْمَخْزُونِ، وَشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ وَبَعِيثُكَ بِالْحَقِّ وَرَسُولُكَ إِلَى الْخَلْقِ.

اللَّهُمَّ أفْسَحْ لَهُ مَفْسَحاً فِي ظِلِّكَ، وَاجْزِهِ مُضَاعَفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ.اللَّهُمَّ أَعْلِ عَلَى بِنَاءِ الْبَانِينَ بِنَاءَهُ، وَأَكْرِمْ لَدَيْكَ مَنْزِلَتَهُ، وَأَتْمِمْ لَهُ نُورَهُ، وَاجْزِهِ مِنَ ابْتِعَاثِكَ لَهُ مَقْبُولَ الشَّهَادَةِ، مَرْضِيَّ المَقَالَةِ، ذَا مَنْطِقٍ عَدْلٍ، وَخُطَّةٍ فَصْلٍ.

اللَّهُمَّ اجْمَعْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ فِي بَرْدِ الْعَيْشِ، وَقَرَارِ النِّعْمَةِ، وَمُنَى الشَّهَوَاتِ، وَأَهْوَاءِ اللَّذَّاتِ، وَرَخَاءِ الدَّعَةِ وَمُنْتَهَى الطُّمَأْنِينَةِ، وَتُحَفِ الْكَرَامَةِ.[١٦]

الصلاة على النبي وآله الطاهرين:

يقول ابن كثير[١٧] في تفسير قوله تعالى {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ على النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تسليما} الأحزاب ٥٦.

الْمَقْصُود مِنْ هَذِهِ الْآيَة أَنَّ اللَّه سُبْحَانه وَتَعَالَى أَخْبَرَ عِبَاده بِمَنْزِلَة عَبْده وَنَبِيّه عِنْده فِي الْمَلأ الْأَعْلَى بِأَنَّهُ يُثْنِي عَلَيْهِ عِنْد الْمَلَائِكَة الْمُقَرَّبِينَ وَأَنَّ الْمَلَائِكَة تُصَلِّي عَلَيْهِ ثُمَّ أَمَرَ تَعَالَى أَهْل الْعَالَم السُّفْلِيّ بِالصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيم عَلَيْهِ لِيَجْتَمِع الثَّنَاء عَلَيْهِ مِنْ أَهْل الْعَالَمَيْنِ الْعُلْوِيّ وَالسُّفْلِيّ جَمِيعًا.

---

[١٦] - نهج البلاغة . خطبة ٧١.

[١٧] تفسير ابن كثير ج٣, ص: ٥٠٧ عيسى البابي الحلبي. بدون تاريخ.

وَقَدْ أَخْبَرَ سُبْحَانه وتَعَالَى بِأَنَّهُ يُصَلِّي عَلَى عِبَاده الْمُؤْمِنِينَ فِي قَوْله تَعَالَى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اُذْكُرُوا اللَّه ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَة وَأَصِيلًا هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَته} الْآيَة وَقَالَ تَعَالَى: {وَبَشِّرْ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَة قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَات مِنْ رَبّهمْ } الْآيَة.

وَقَدْ جَاءَتْ الْأَحَادِيث الْمُتَوَاتِرَة عَنْ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْأَمْرِ بِالصَّلَاة عَلَيْهِ وَكَيْفِيَّة الصَّلَاة عَلَيْهِ وَنَحْنُ نَذْكُر مِنْهَا إِنْ شَاءَ اللَّه مَا تَيَسَّرَ وَاَللَّه الْمُسْتَعَان قَالَ الْبُخَارِيّ عِنْد تَفْسِير هَذِهِ الْآيَة حَدَّثَنَا سَعِيد بْن يَحْيَى بْن سَعِيد أَخْبَرَنَا أَبِي عَنْ مِسْعَر عَنْ الْحَكَم عَنْ اِبْن أَبِي لَيْلَى عَنْ كَعْب بْن عُجْرَة قَالَ : قِيلَ يَا رَسُول اللَّه أَمَّا السَّلَام عَلَيْك فَقَدْ عَرَفْنَاهُ فَكَيْف الصَّلَاة ؟ قَالَ قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَعَلَى آل مُحَمَّد كَمَا صَلَّيْت عَلَى آل إِبْرَاهِيم إِنَّك حَمِيد مَجِيد اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّد وَعَلَى آل مُحَمَّد كَمَا بَارَكْت عَلَى آل إِبْرَاهِيم إِنَّك حَمِيد مَجِيد.

وَقَالَ الْإِمَام أَحْمَد حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن جَعْفَر حَدَّثَنَا شُعْبَة عَنْ الْحَكَم قَالَ: سَمِعْت اِبْن أَبِي لَيْلَى قَالَ لَقِيَنِي كَعْب بْن عُجْرَة فَقَالَ أَلَا أُهْدِي لَك هَدِيَّة؟ خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْنَا يَا رَسُول اللَّه قَدْ عَلِمْنَا أَوْ عَرَفْنَا كَيْف السَّلَام عَلَيْك فَكَيْف الصَّلَاة؟ فَقَالَ قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَعَلَى آل مُحَمَّد كَمَا صَلَّيْت عَلَى آل إِبْرَاهِيم إِنَّك حَمِيد مَجِيد اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّد وَعَلَى آل مُحَمَّد كَمَا بَارَكْت عَلَى آل إِبْرَاهِيم إِنَّك حَمِيد مَجِيد وَهَذَا الْحَدِيث قَدْ أَخْرَجَهُ الْجَمَاعَة فِي كُتُبهمْ مِنْ طُرُق مُتَعَدِّدَة عَنْ الْحَكَم وَهُوَ اِبْن عُتَيْبَة زَادَ الْبُخَارِيّ وَعَبْد اللَّه بْن عِيسَى كِلَاهُمَا عَنْ عَبْد الرَّحْمَن بْن أَبِي لَيْلَى.

ثم ذكر ابن كثير مِنْ طَرِيق سَعِيد بْن مَنْصُور وَيَزِيد بْن هَارُون وَزَيْد بْن الْحُبَاب ثَلَاثَتهمْ عَنْ نُوح بْن قَيْس حَدَّثَنَا سَلَامَة الْكِنْدِيّ أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّه عَنْهُ كَانَ يُعَلِّم النَّاس هَذَا الدُّعَاء:

اللَّهُمَّ دَاحِي الْمَدْحُوَّات وَبَارِئ الْمَسْمُوكَات وَجَبَّار الْقُلُوب عَلَى فِطْرَتهَا شَقِيّهَا وَسَعِيدهَا اجْعَلْ شَرَائِف صَلَوَاتك وَنَوَامِي بَرَكَاتك وَرَأْفَة تَحَنُّنك عَلَى مُحَمَّد عَبْدك وَرَسُولك الْفَاتِح لِمَا أُغْلِقَ وَالْخَاتَم لِمَا سَبَقَ وَالْمُعْلِن الْحَقّ بِالْحَقِّ وَالدَّامِغ لِجَيْشَات الْأَبَاطِيل كَمَا حَمَلَ فَاضْطَلَعَ بِأَمْرِك بِطَاعَتِك مُسْتَوْفِزًا فِي مَرْضَاتك غَيْر نَكِل فِي قَدَم وَلَا وَهَن فِي عَزْم وَاعِيًا لِوَحْيِك حَافِظًا لِعَهْدِك مَاضِيًا عَلَى نَفَاذ أَمْرك حَتَّى أَوْرَى قَبَسًا لِقَابِس , آلَاء اللَّه تَصِل بِأَهْلِهِ أَسْبَابه بِهِ هُدِيَتْ الْقُلُوب بَعْد خَوْضَات الْفِتَن وَالْإِثْم وَأَبْهَج مُوضِحَات الْأَعْلَام

وَنَائِرَات الْأَحْكَام وَمُنِيرَات الْإِسْلَام فَهُوَ أَمِينك الْمَأْمُون وَخَازِن عِلْمك الْمُخْزُون وَشَهِيدك يَوْم الدِّين وَبَعِيثُك نِعْمَة وَرَسُولُك بِالْحَقِّ رَحْمَة اللَّهُمَّ أَفْسِحْ لَهُ فِي عَدْنك وَاجْزِه مُضَاعَفَات الْخَيْر مِنْ فَضْلِك مُهَنَّآت غَيْر مُكَدَّرَات مِنْ فَوْز ثَوَابك الْمَحْلُول وَجَزِيل عَطَائِك الْمَلُول اللَّهُمَّ أَعْلِ عَلَى بِنَاء النَّاس بِنَاءَهُ وَأَكْرِمْ مَثْوَاهُ لَدَيْك وَنُزُله وَأَتْمِمْ لَهُ نُوره وَاجْزِه مِنْ ابْتِعَاثِك لَهُ مَقْبُول الشَّهَادَة مَرْضِيّ الْمَقَالَة ذَا مَنْطِق عَدْل وَخُطَّة فَصْل. وَحُجَّة وَبُرْهَان عَظِيم.

قال ابن كثير: هَذَا مَشْهُور مِنْ كَلَام عَلِيّ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ وَقَدْ تَكَلَّمَ عَلَيْهِ اِبْن قُتَيْبَة فِي مُشْكِل الْحَدِيث وَكَذَا أَبُو الْحَسَن أَحْمَد بْن فَارِس اللُّغَوِيّ فِي جُزْء جَمَعَهُ فِي فَضْل الصَّلَاة عَلَى النَّبِيّ صَلَّى اللَّه.[18]

الواجب الثاني:

المودة في القربى

{ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ} الشورى ٢٣.

تفسير القرطبي:

قال القرطبي في تفسيره: الْقُرْبَى قَرَابَة الرَّسُول صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيْ لَا أَسْأَلكُمْ أَجْرًا إِلَّا أَنْ تَوَدُّوا قَرَابَتِي وَأَهْل بَيْتِي كَمَا أَمَرَهُم بِإِعْظَام ذَوِي الْقُرْبَى. وَهَذَا قَوْل عَلِيّ بْن حُسَيْن وَعَمْرو بْن شُعَيْب وَالسُّدِّيّ. وَفِي رِوَايَة سَعِيد بْن جُبَيْر عَنْ اِبْن عَبَّاس: لَمَّا أَنْزَلَ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ "قُلْ لَا أَسْأَلكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّة فِي الْقُرْبَى" قَالُوا: يَا رَسُول اللَّه مَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ نَوَدّهمْ؟ قَالَ: (عَلِيّ وَفَاطِمَة وَأَبْنَاؤُهُمَا) وَيَدُلّ عَلَيْهِ أَيْضًا مَا رُوِيَ عَنْ عَلِيّ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ: شَكَوْت إِلَى النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَسَدَ النَّاس لِي فَقَالَ: (أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُون رَابِع أَرْبَعَة أَوَّل مَنْ يَدْخُل الْجَنَّة أَنَا وَأَنْتَ وَالْحَسَن وَالْحُسَيْن وَأَزْوَاجنَا عَنْ أَيْمَاننَا وَشَمَائِلنَا وَذُرِّيَّتنَا خَلْف أَزْوَاجنَا) وَعَنْ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (حُرِّمَتْ الْجَنَّة عَلَى مَنْ ظَلَمَ أَهْل بَيْتِي وَآذَانِي فِي عِتْرَتِي وَمَنْ اصْطَنَعَ صَنِيعَة إِلَى أَحَد مِنْ وَلَد عَبْد الْمُطَّلِب وَلَمْ يُجَازِه عَلَيْهَا فَأَنَا أُجَازِيه عَلَيْهَا غَدًا إِذَا لَقِيَنِي يَوْم الْقِيَامَة).

وَقَالَ الْحَسَن وَقَتَادَة : الْمَعْنَى إِلَّا أَنْ يَتَوَدَّدُوا إِلَى اللَّه عَزَّ وَجَلَّ وَيَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِطَاعَتِهِ فـ(الْقُرْبَى" عَلَى هَذَا بِمَعْنَى الْقُرْبَة يُقَال: قُرْبَة وَقُرْبَى بِمَعْنًى; كَالزُّلْفَةِ وَالزُّلْفَى .

[18] – ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٥٢٤–٣/٥٢٨.دار مصرللطباعة ، القاهرة . بدون تاريخ .

وَرَوَى قَزَعَةَ بْن سُوَيْد عَنْ ابْن أَبِي نَجِيح عَنْ مُجَاهِد عَنْ ابْن عَبَّاس عَنْ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (قُلْ لَا أَسْأَلكُمْ عَلَى مَا آتَيْتُكُمْ بِهِ أَجْرًا إِلَّا أَنْ تَوَادُّوا وَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ). وَرَوَى مَنْصُور وَعَوْف عَنْ الْحَسَن "قُلْ لَا أَسْأَلكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّة فِي الْقُرْبَى} قَالَ: يَتَوَدَّدُونَ إِلَى اللَّه عَزَّ وَجَلَّ وَيَتَقَرَّبُونَ مِنْهُ بِطَاعَتِهِ وَقَالَ قَوْم الْآيَة مَنْسُوخَة وَإِنَّمَا نَزَلَتْ بِمَكَّة وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يُؤْذُونَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَة , وَأَمَرَهُمْ اللَّه بِمَوَدَّة نَبِيّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصِلَة رَحِمه , فَلَمَّا هَاجَرَ آوَتْهُ الْأَنْصَار وَنَصَرُوهُ وَأَرَادَ اللَّه أَنْ يُلْحِقهُ بِإِخْوَانِهِ مِنْ الْأَنْبِيَاء حَيْثُ قَالُوا {وَمَا أَسْأَلكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْر إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبّ الْعَالَمِينَ} الشُّعَرَاء: ١٠٩ فَأَنْزَلَ اللَّه تَعَالَى {قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْر فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّه} سَبَأ: ٤٧ فَنُسِخَتْ بِهَذِهِ الْآيَة وَبِقَوْلِهِ : {قُلْ مَا أَسْأَلكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْر وَمَا أَنَا مِنْ الْمُتَكَلِّفِينَ} ص: ٨٦ , وَقَوْله {أَمْ تَسْأَلهُمْ خَرْجًا فَخَرَاج رَبّك خَيْر} الْمُؤْمِنُونَ: ٧٢ وَقَوْله {أَمْ تَسْأَلهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَم مُثْقَلُونَ} الطُّور: ٤٠ قَالَهُ الضَّحَّاك وَالْحُسَيْن بْن الْفَضْل وَرَوَاهُ جُوَيْبِر عَنْ الضَّحَّاك عَنْ ابْن عَبَّاس, قَالَ الثَّعْلَبِيّ: وَلَيْسَ بِالْقَوِيِّ وَكَفَى قُبْحًا بِقَوْلِ مَنْ يَقُول إِنَّ التَّقَرُّب إِلَى اللَّه بِطَاعَتِهِ وَمَوَدَّة نَبِيّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَهْل بَيْته مَنْسُوخ وَقَدْ قَالَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (مَنْ مَاتَ عَلَى حُبّ آل مُحَمَّد مَاتَ شَهِيدًا وَمَنْ مَاتَ عَلَى حُبّ آل مُحَمَّد جَعَلَ اللَّه زُوَّار قَبْره الْمَلَائِكَة وَالرَّحْمَة وَمَنْ مَاتَ عَلَى بُغْض آل مُحَمَّد جَاءَ يَوْم الْقِيَامَة مَكْتُوبًا بَيْن عَيْنَيْهِ أَيِس الْيَوْم مِنْ رَحْمَة اللَّه وَمَنْ مَاتَ عَلَى بُغْض آل مُحَمَّد لَمْ يَرِحْ رَائِحَة الْجَنَّة. وَمَنْ مَاتَ عَلَى بُغْض آل بَيْتِي فَلَا نَصِيب لَهُ فِي شَفَاعَتِي) قُلْت وَذَكَرَ هَذَا الْخَبَر الزَّمَخْشَرِيّ فِي تَفْسِيره بِأَطْوَل مِنْ هَذَا فَقَالَ: وَقَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ مَاتَ عَلَى حُبّ آل مُحَمَّد مَاتَ شَهِيدًا أَلَا وَمَنْ مَاتَ عَلَى حُبّ آل مُحَمَّد مَاتَ مُؤْمِنًا مُسْتَكْمِل الْإِيمَان . أَلَا وَمَنْ مَاتَ عَلَى حُبّ آل مُحَمَّد بَشَّرَهُ مَلَك الْمَوْت بِالْجَنَّةِ ثُمَّ مُنْكَر وَنَكِير أَلَا وَمَنْ مَاتَ على حُبّ آل مُحَمَّد يُزَفّ إِلَى الْجَنَّة كَمَا تُزَفّ الْعَرُوس إِلَى بَيْت زَوْجهَا أَلَا وَمَنْ مَاتَ عَلَى حُبّ آل مُحَمَّد فُتِحَ لَهُ فِي قَبْره بَابَانِ إِلَى الْجَنَّة أَلَا وَمَنْ مَاتَ عَلَى حُبّ آل مُحَمَّد جَعَلَ اللَّه قَبْره مَزَار مَلَائِكَة الرَّحْمَة أَلَا وَمَنْ مَاتَ عَلَى حُبّ آل مُحَمَّد مَاتَ عَلَى السُّنَّة وَالْجَمَاعَة أَلَا وَمَنْ مَاتَ عَلَى بُغْض آل مُحَمَّد جَاءَ يَوْم الْقِيَامَة مَكْتُوبًا بَيْن عَيْنَيْهِ آيِس مِنْ رَحْمَة اللَّه أَلَا وَمَنْ مَاتَ عَلَى بُغْض آل مُحَمَّد مَاتَ كَافِرًا أَلَا وَمَنْ مَاتَ عَلَى بُغْض آل مُحَمَّد لَمْ يَشَمّ رَائِحَة الْجَنَّة).

وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً : أيْ يَكتَسِب وَأصلُ القَرْف الكَسْب, وَقَالَ ابْــن عَبَّــاس: {وَمَــنْ يَقْتَرِف حَسَنَة} قَالَ المَوَدَّة لِآلِ مُحَمَّد صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا : أيْ نُضَاعِف لَهُ الحَسَنَة بِعَشْرِ فَصَاعِدًا.[19]

ابن كثير:

وَقَالَ ابن كثير في تفسيره عن السُّدِّيّ عَنْ أَبِي الدَّيْلَم قَالَ: لَمَّا جِــيء بِعَلِــيّ بْــن الْحُسَيْن رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أَسِيرًا فَأُقِيمَ عَلَى دَرَج دِمَشْق قَامَ رَجُل مِنْ أَهْل الشَّام فَقَالَ الْحَمْــد لِلَّهِ الَّذِي قَتَلَكُمْ وَاسْتَأْصَلَكُمْ وَقَطَعَ قَرْن الْفِتْنَة فَقَالَ لَهُ عَلِيّ بْن الْحُسَيْن رَضِيَ اللَّــه عَنْــهُ أَقَرَأْت الْقُرْآن؟ قَالَ نَعَمْ قَالَ أَقَرَأْت آلَ حم؟ قَالَ قَرَأْت الْقُرْآن وَلَمْ أَقْرَأ آلَ حم قَالَ مَا قَــرَأْت {قُلْ لَا أَسْأَلكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّة فِي الْقُرْبَى}؟ قَالَ وَإِنَّكُمْ لَأَنْتُمْ هُمْ ؟ قَالَ نَعَمْ وَقَالَ أَبُــو إِسْحَاق السَّبِيعِيّ سَأَلْت عَمْرو بْن شُعَيْب عَنْ قَوْله تَبَارَكَ وَتَعَالَى {قُلْ لَا أَسْأَلكُمْ عَلَيْهِ أَجْــرًا إِلَّا الْمَوَدَّة فِي الْقُرْبَى} فَقَالَ قُرْبَى النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ رَوَاهُمَا ابْن جَرِير.[20]

و لا شك أن وجوب الصلاة على النبي وآله هو دليل لا يقبل التأويل على استحالة فصل النبوة عن امتدادها في الذرية والآل وهي النبوة التي ابتدأت في حضن الذرية والآل وكان لــهم رضوان الله عليهم أكبر الفضل وأبلغ الأثر في رعاية هذه النبتة والمحافظة عليها حتى أثمــرت هذا الخير العميم الذي عم المسلمين أولا وانتقل إلى غيرهم من الأمم.

الآن أصبح لدينا ذلك الإسلام النصوصي الذي يمكن لكل من كان أن يأتي النصوص مباشــرة أو يضع هو ما يريد من النصوص التي تخدم قضيته ويتغافل عما نزل من عنـــد الله أو مـــا قالــه رسول الله حقا وصدقا ثم يقيم على ذلك الركام دينا يحمل عليه الناس ويقول هذا حـــلال وهــذا حرام بعد أن جرى إزاحة أهل البيت عليهم السلام عن موضعهم المفروض لهم من عند الله عــز وجل وهكذا فقد أصبح الدين قراطيس وأوراق يجري إخفاء بعضها عند اللـــزوم وإظــهار مــا يحتاجه القوم {وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُواْ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنــزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُــم مَّا لَمْ تَعْلَمُواْ أَنتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ قُلِ اللّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ}(٩١)

الإســلام الحقيقــي هو الإسلام الذي يجمع بين البعد النظري المتمثل فــي كتــاب الله وسنة رسول الله والبعد العملي المتمثل في موالاة النبي وأهل بيته صلاة وسلاما وثناء عليـــهم وإقرارا لهم بالفضل ومودة لهم وبغضا لأعدائهم.

---

[19] – القرطبي ، مرجع سابق ، ٢٥-١٦/٢٧.

[20] – ابن كثير ، مرجع سابق، ١١٢-٤/١١٣.

خاتمة

تزامن هذا الكتاب مع الضجة التي أثارتها رسوم الكاريكاتير المسيئة لرسولنا الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

نحن ممن يؤمنون أن تصحيح صورة الإسلام تبدأ من الداخل من خلال تصحيح فهم المسلمين لدينهم وإصلاح أوضاعهم الفاسدة والمضطربة في كل المجالات لا أستثني مجالا واحدا لا في الدين ولا في السياسة أو الاقتصاد وصولا إلى عالم الأخلاق.

نحن من يزرع الشوك الذي يدمي أقدامنا ويعوق مسيرنا ويصيب أعيننا فيعوق إبصارنا.

الصحوة الحقيقية للأمة تبدأ من داخلها بتصحيح قراءتها للدين بدلا من المكابرة والإصرار على الخطأ.

لا يجوز بحال من الأحوال أن نطالب الغرب أو الشرق بتصحيح صورة الإسلام بينما نصر نحن على الاحتفاظ بما يسيء إلى مقام النبوة وأهل بيت النبوة والدفاع عن قتلة أهل البيت عليهم السلام وظالميهم.

{يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ * وَآمِنُواْ بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُمْ وَلاَ تَكُونُواْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ * وَلاَ تَلْبِسُواْ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُواْ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ * وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ * أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ} (البقرة ٤٠-٤٤)

صدق الله العلي العظيم.

دكتور أحمد راسم النفيس

المؤلفات الفكرية:

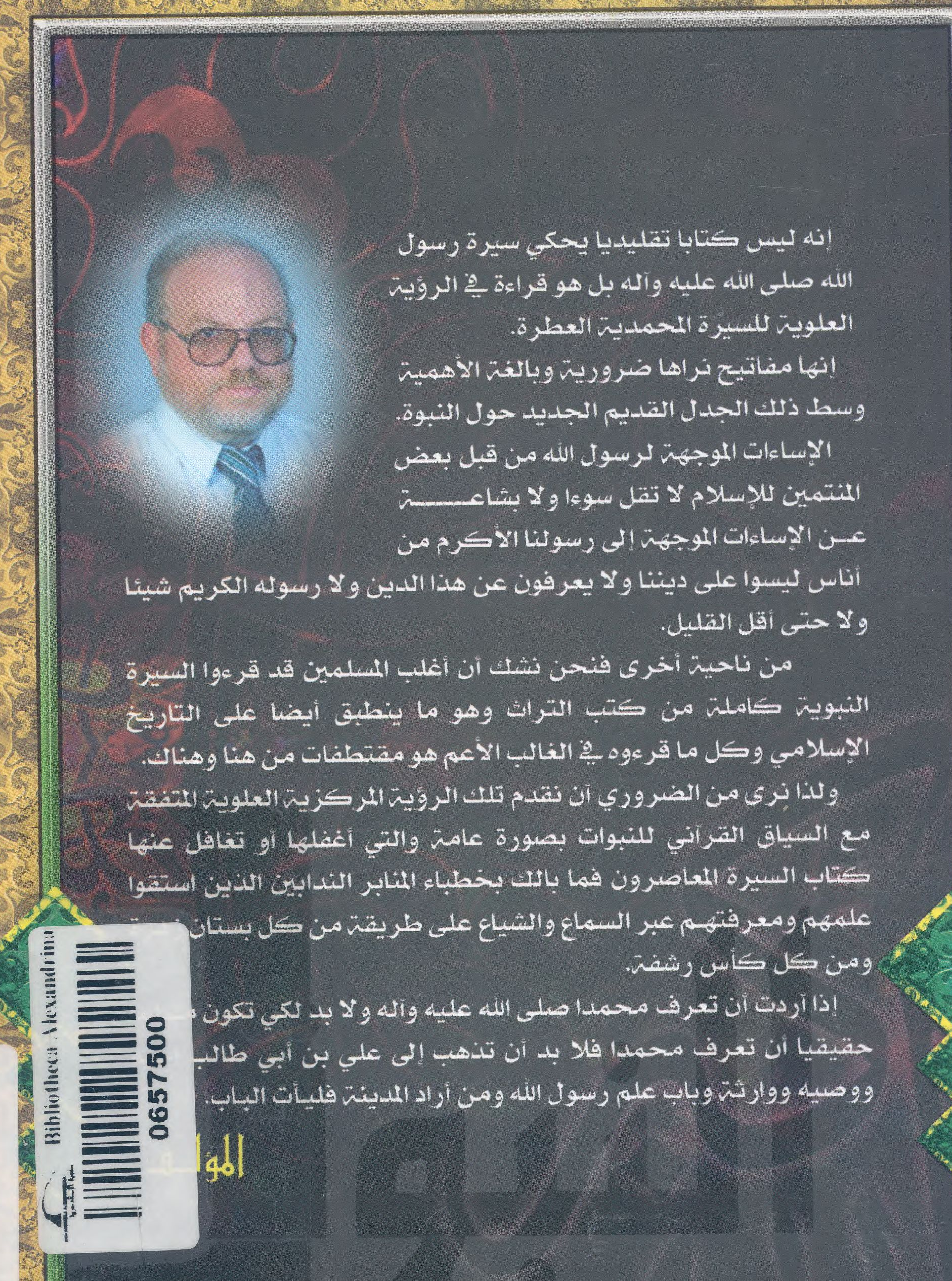
١- الطريق إلى مذهب أهل البيت. طبع
٢- رحلتي مع الشيعة والتشيع في مصر. طبع
٣- على خطى الحسين. طبع
٤- المهدي المنتظر و معركة تحرير القدس. طبع
٥- الشيعة و الثورة (ما بعد استشهاد الإمام الحسين). طبع
٦- الجمل و فقه الطابور الخامس. مخطوط
٧- التحكيم – قراءة في الفقه التاريخي للأمة الإسلامية. طبع
٨- الجماعات الإسلامية – محاولة استمساخ الأمة الإسلامية. طبع
٩- من أسس لثقافة العنف. طبع
١٠- المصريون والتشيع الممنوع (طبع).
١١- شرح دعاء السَحَر لأبي حمزة الثمالي مخطوط.
١٢- علي بن أبي طالب و أخلاقيات السياسة طبع.
١٣- المسلمون و الآخر مخطوط.
١٤- رسالة من أب لابنه (رسالة تربوية) مخطوط
١٥- علي بن أبي طالب و العدالة الاجتماعية (مؤتمر الإمام علي بن أبي طالب طهران مارس ٢٠٠١).
١٦- الزهراء سيدة نساء العالمين.
١٧- الشيعة والثورة الجزء الثاني.
١٨- الشيعة في العراق. طبع في مصر.
١٩- مقالات في الفكر والدين والسياسة.
٢٠- القرضاوي (وكيل الله أم وكيل بني أمية؟؟!!) ردا على كتابه تاريخنا المفترى عليه. طبع
٢١- الشيعة والتشيع. تحت الطبع
٢٢- الإرهاب لا يمكن أن يكون شيعيا.

٢٣- عندما يحكم العبيد. طبع
٢٤- نقض الوهابية. طبع
٢٥- النبوة في نهج البلاغة.
٢٦- مأساة الحج والأماكن المقدسة.
٢٧- أماكننا المقدسة.. المدنسة.
٢٨- فقه التغيير- دراسة مقارنة بين السيد محمد باقر الحكيم و سيد قطب. مقال منشور في مجلة المنهاج.
٢٩- الشهيد الصدر و دينامية الصراع الاجتماعي (مؤتمر الذكرى العشرين لاستشهاد السيد محمد باقر الصدر طهران يناير ٢٠٠١).
٣٠- هل حقا أن ابن خلدون هو أول من أسس علم الاجتماع والعمران؟؟.

بالإضافة إلى عشرات المقالات السياسية والفكرية المنشورة في جريدة القاهرة القاهرية ومجلة البداية وجريدة نهضة مصر وصوت الأمة فضلا عن المقالات العلمية المنشورة بمجلة العربي الكويتية وآخرها (ساعة الأعمار) نوفمبر ٢٠٠٣ (أبناؤنا قاماتهم وقوامهم) مايو ٢٠٠٣ السكر المر يناير ٢٠٠٤ (مشكلة تأخر البلوغ عند المراهقين).

تليفون منزل و فاكس ٠٠٢٠٥٠٢٢٤٤٨٣٩
محمول ٠٠٢٠١٢٣٩١٣٠٢٩
عيادة ٠٠٢٠٥٠٢٢٢٢٩١٠

فصول الكتاب



Bibliotheca Alexandrina
0657500